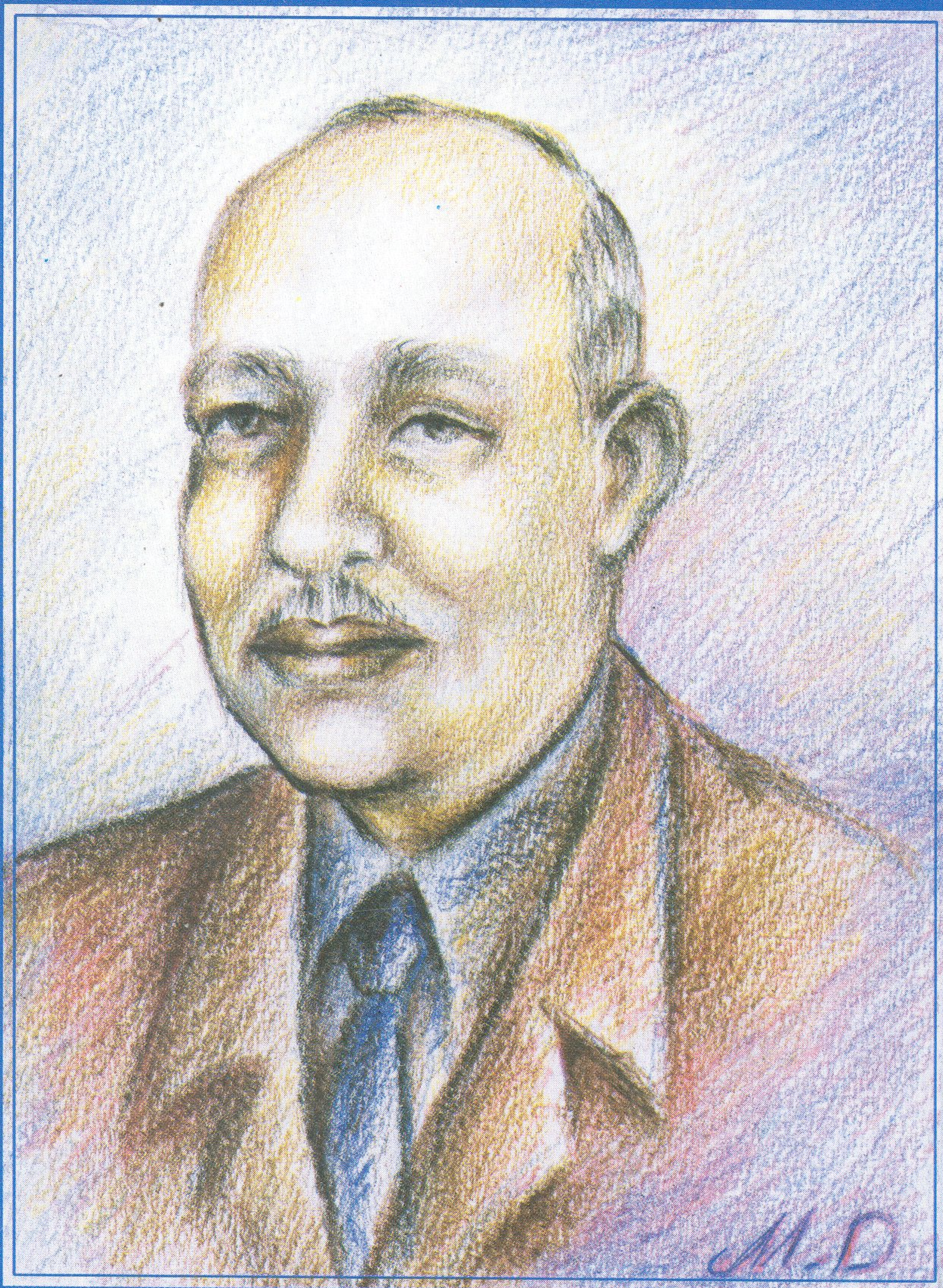
إبــراهيم أنـــيس

حياته وأعماله



السيد المخزنجى

المجلس الأعلى للثقافة

إبـراهيـم أنيـس

حياته وأعماله

تـأليـف

السيد أحمد المخزنجى



٢٠٠٢

الإهداء

إلى العالم الجليل

الأستاذ الدكتور / شوقى ضيف

الذى مازال يغرس فى أرض فصحانا فسائل

تنبت ثمارًا يانعة وأزهارًا فيحاء -

فى تراثنا ، وأدبنا ، ونقدنا ، ولغتنا العربية المعاصرة.

المخزنجى

استهلال من القرآن الكريم

قال تعالى : (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء* تؤتى أكلها كل حينٍ بأذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون)

« سورة إبراهيم ، الآيتان ٢٤ /٢٥ »

(من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) .

« سورة فاطر ، جزء من الآية /١٠ »

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً(*) أولئك لهم جنات عدنٍ تجرى من تحتهم الأنهار يحلّون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندسٍ واستبرقٍ متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا)

« سورة الكهف ، الآيتان / ٣٠ ، ٣١ »

وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له » .

« رياض الصالحين للإمام النووى »

فى دوحة الشعر (أنيس)

قد كان « إبراهيم » حجة قومه يجلو بآلات الحساب عسيراً
أحصى الحروف ونظمها فى نطقنا حتى غدا بين الثقات خبيرا
يا رائد البحث الحديث تحية فاحت شذى من ذكركم وعبيرا
من يقف الآثار فى أبحاثكم يصبح بهديك عالما نحريرا
أنشأت مدرسة « بدار علومنا » تعطى على مر الزمان كثيرا
مهما تجاوزت المدى مترحما عد الدعاء لفضلكم تقصيرا
يا من رجعت إلى إلهك راضيا يجزيك ربك جنة وحريرا (*)

* * * *

لقد كنت العزوف عن الدنايا وكنت مسالما من ذا جفاكا
ولم يبهرك فى الدنيا ضياء وكان صدى الحقيقة مبتغاكا
بكاك الخالدون شجى وحزنا « ودار العلم » أشجى من بكاكا (**)

(*) من قصيدة للدكتور / إبراهيم الدمرداش ، عضو المجمع ، فى تأبين د. إبراهيم أنيس رحمه الله.

(**) من قصيدة للدكتور / عبد الله درويش ، عميد دار العلوم الأسبق ، فى تأبين د. إبراهيم أنيس .

مقدمة

لهذا البحث المتواضع قصة أرى أنها تستحق أن تذكر لما تحمله من طرافة وواقعية فى نفس الوقت !! فقد قرأت منذ عدة شهور خبراً مختصراً (إعلان) عن مسابقة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة موضوعها : شخصية الدكتور / إبراهيم أنيس – عضو المجمع وأعماله اللغوية .

ثم جاءت المرحلة الثانية من مراحل هذا العمل العلمى الجاد والصعب فى نفس الوقت ألا وهى القراءة الأولى للكتب والمراجع التى جمعتها أو حصلت عليها من مصادرها ، وكانت هذه القراءة بمثابة « فرز » بطبيعة الحال للأعمال والكتابات والمؤلفات التى تصلح للاعتماد عليها فى هذا البحث .

وأثناء ذلك بدأت تنثال علىّ الأفكار ، فرحت أكتب عدة مسودات « لخطة » هذا البحث ، ثم أمزقها ، لأكتب مسودات غيرها .. وهكذا إلى أن استقر رأيى على الخطة » الحالية الموجودة بهذا الكتاب ، على أنه لا يفوتنى الإشارة إلى بعض الصعوبات ، بل المفاجآت الصادمة – بالنسبة لى على الأقل – التى واجهتنى أثناء رغبتى فى جمع بعض المعلومات والوثائق المتعلقة بموضوع د. أنيس سواء فى كلية اللغة العربية بالقاهرة – بجامعة الأزهر أو فى دار العلوم – ثم مكتبة مجمع اللغة العربية بالزمالك ، وفى هذا الصدد يجدر بى أن اسجل بعض الملاحظات السلبية التالية :

- يسجل الباحث أسفه الشديد لرفض وكيل كلية اللغة العربية بالقاهرة (جامعة الأزهر) التصريح له بتصوير بعض الصفحات التى تتعلق بالدكتور / أنيس فى رسالة ماجستير بعنوان (إبراهيم أنيس لغويا) للباحث / على سيد جعفر التى تقدم بها للكلية عام ١٩٨٤ وتمت إجازتها آنذاك .
- وكذلك يسجل الباحث أسفه الشديد لعدم وجود نسخة أخرى من نفس الرسالة فى مكتبة دار العلوم بجامعة القاهرة ، وكذلك الأبحاث والمقالات وأيضا بعض

الموضوعات غير المنشورة للدكتور / إبراهيم أنيس ضمن « وثائق » مكتبة الكلية حيث علم أن ابنه د. / حسين قد سلمها لإدارة الكلية ومعها جزء من مكتبة والده الخاصة بعد وفاته .

- أما مكتبة مجمع اللغة العربية فبرغم اعترافى بالاستفادة منها كثيرا ، إلا أننى لاحظت خلو أرففها من هذه الرسالة عن د. إبراهيم أنيس باعتباره من أعضاء المجمع الذين كان لهم دور بارز فى خدمة لغتنا الفصحى ، وإثراء مجالاتها وعلومها المختلفة .

ولعلى لا أكون مخطئا إذا قلت إن هذه الملاحظة تنسحب على معظم - إن لم يكن « كل » - أعضاء المجمع ، وهى خلو مكتبته من الرسائل الجامعية التى أعدت عن أعمال بعضهم وجهودهم اللغوية والعلمية .

ومن ثم يأمل الباحث أن يتدارك المسئولون بإدارتى كلية دار العلوم ومجمع اللغة العربية هذه الملاحظة السلبية بالنسبة لباقى الأعضاء ، ويعملوا على توافر ما يستطيعون الحصول عليه من معلومات أو مخطوطات أو مؤلفات منشورة وغير منشورة هناك ، حتى يمكنوا الباحثين من الاطلاع على هذا التراث العلمى الخاص بكل أستاذ أو عضو من أعضاء المجمع فيتناولوه بالدراسة والتحليل للخروج منه بما يفيد فى كل مجال من مجالات البحث العلمى واللغوى على حدة !!

بقى أن أشير فى « كلمة البدء » هذه إلى أننى تناولت فى هذا البحث (الدكتور / إبراهيم أنيس - عضو المجمع - بحوثه وأعماله اللغوية) فى بابين رئيسيين يندرج تحت كل باب منهما عدة فصول على النحو التالى :

الباب الأول

إبراهيم أنيس من البداية وحتى مجمع اللغة العربية

وفيه خمسة فصول :

- الفصل الأول : من هو إبراهيم أنيس ؟
- الفصل الثاني : الدكتور / إبراهيم أنيس (درعميا) .
- الفصل الثالث : الدكتور / إبراهيم أنيس (مجمعيا) .
- الفصل الرابع : الدكتور / إبراهيم أنيس في مرآة المجمعيين .
- الفصل الخامس : الدكتور / إبراهيم أنيس والإبداع الأدبي (أعماله المسرحية) .

الباب الثاني

قراءة في مؤلفات الدكتور / إبراهيم أنيس اللغوية

وفيه ستة فصول :

- الفصل الأول : الأصوات اللغوية .
- الفصل الثاني : في اللهجات العربية .
- الفصل الثالث : مع د. أنيس في قضايا لغوية (قضية الإعراب) من واقع كتابه (من أسرار اللغة) .
- الفصل الرابع : مع الدكتور إبراهيم أنيس في موسيقى الشعر .
- الفصل الخامس : الدكتور إبراهيم أنيس ومستقبل اللغة العربية المشتركة .
- الفصل السادس : الدكتور إبراهيم أنيس بين (اللغة القومية والعالمية) .

أما بالنسبة إلى مصادر هذا البحث ومراجعه فتجدر الإشارة إلى أنني قسمتها أيضا إلى قسمين هما :

مصادر البحث : وهى التى اشتملت على مؤلفات د. إبراهيم أنيس المطبوعة وغير المطبوعة ومحاضرات وبحوث دورات ومؤتمرات مجمع اللغة العربية ، وكذلك أعداد مجلة المجمع بدءا من العدد رقم (٨) وحتى العدد رقم (٤٠) منها ، وهى منشور بها أعمال وبحوث عديدة لغوية للدكتور / إبراهيم أنيس ، ثم رسالة الماجستير للدكتور / على سيد جعفر التى تقدم بها إلى كلية اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٨٤ وموضوعها (إبراهيم أنيس لغويا) وكذلك المجمعيون فى ثلاثين عاما ، والتراث المجمعى فى خمسين عاما ، و« فى أصول اللغة » ، ومجموعة القرارات العلمية فى خمسين عاما .. إلخ من اصدارات المجمع **وكذلك أحاديث خاصة أجراها الباحث مع أفراد أسرة المرحوم د . أنيس ومنهم ابنه الدكتور / حسين أنيس الأستاذ بكلية الهندسة جامعة القاهرة ، وشقيقه الدكتور / عبد العظيم أنيس الأستاذ بكلية العلوم جامعة عين شمس** ، كما أن أعمال ندوة مجمع اللغة العربية عن « الدكتور / إبراهيم أنيس وأعماله اللغوية » التى شارك فيها ببحوث جمهرة من أعضاء المجمع وخبرائه ، والتى نظمت فى ديسمبر ٩٩ الماضى كانت من بين المصادر المباشرة لهذا البحث .

أما المراجع الأخرى فهى المراجع المباشرة ، وقسمتها إلى مايلى :

- (أ) المعاجم :
- (ب) كتب اللغة وعلومها وفقهها .
- (ج) كتب النحو والصرف .
- (د) كتب البلاغة والنقد .
- (هـ) كتب أخرى .

والله تعالى أسأل أن يحظى هذا البحث المتواضع القبول ، وأن ينال الاستحسان بين يدى قارئيه .

« وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين »

الباب الأول

إبراهيم أنيس .. حياته ولغوياته

الفصل الأول

- من هو إبراهيم أنيس ؟
- تمهيد
- تحقيق لقب (أنيس)
- ملامح شخصيته .. وعاداته وهواياته .
- إبراهيم أنيس .. والسياسة .
- شخصيات فى حياة إبراهيم أنيس .
- إبراهيم أنيس وجائزة الدولة التقديرية .
- مكتبة إبراهيم أنيس .. ومذكراته .

الفصل الأول

من هو إبراهيم أنيس ؟ !

تمهيد

قبل أن نتعرض – فى هذا البحث – لأعمال الدكتور إبراهيم أنيس وبحوثه اللغوية التى أثرى بها مجمع اللغة العربية ، والمكتبة العربية ، لابد أن نسبق ذلك بالحديث عن « الدكتور إبراهيم – حياته وشخصيته » والعوامل الاجتماعية والثقافية المختلفة التى أثرت فيها ، وساهمت فى تكوينه ، على النحو التالى :

ولد د . إبراهيم أنيس بن أحمد محمد أنيس[1] بحى الحسين بالقاهرة فى الحادى والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٠٦[2] ، وكان والده يشتغل بأعمال المقاولات .. ثم انتقلت أسرته بعد ذلك إلى حى السكاكينى[*] القريب من العباسية، والذى قضى فيه فترة شبابه الأولى ، ولم يترك فى شخصيته سوى تأثير محدود ، والسبب فى ذلك أن الفترة التى انتقلت فيها الأسرة إلى حى السكاكينى قضاها معظمها فى الخارج أثناء بعثته .

فالتأثير الأكبر فى شخصية الدكتور إبراهيم أنيس – رحمه الله – كان لحى الحسين ، وإن كان ابنه الدكتور حسين أنيس يقرر أن قصة « إيناس أو ضحية المجتمع » التى كتبها د . أنيس ، كتبت فى فترة وجود والده بحى السكاكينى ، ونتيجة لتجربة شخصية (عاطفية) للدكتور إبراهيم أنيس ، مع أحد الجيران ، فالقصة لها جذور واقعية[3] .

---

(١) عن شهادة إجازة التدريس التى منحت له ، بتاريخ ١٩٣٠/٧/٣م من وزارة المعارف العمومية فى مصر .

(٢) عن مستخرج رسمى من شهادة الميلاد الخاصة به ، بالإنجليزية سنة ١٩٣٣ م (قسم الجمالية) بالقاهرة .

(*) يذكر الدكتور إبراهيم الدسوقى الأستاذ المساعد بقسم الدراسات السامية والشرقية ، بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، فى بحثه : (إبراهيم أنيس ودراسة اللهجات) أن د. أنيس ولد بحى الدرب الأحمر بالقاهرة فى ذات التاريخ .. وأنه حصل على هذه المعلومات من ملف المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس بكلية دار العلوم .

انظر : البحث الذى ألقاه د . إبراهيم الدسوقى فى الندوة الثقافية الأولى عن الدكتور أنيس ، بمجمع اللغة العربية بتاريخ ١٩٩٩/١٢/٤م ، ص ١ هامش / ١ (غير منشور) .

(٣) من حديث خاص أجراه « المؤلف » مع د. حسين أنيس ، ابن د . إبراهيم أنيس ، بمكتبة بكلية الهندسة ، جامعة القاهرة ، يوم الأحد الموافق ٢٠٠٠/٢/٢٠ م

على أن التأثير الأساسى فى تعليم الدكتور إبراهيم أنيس ، كان لخاله الأستاذ / زكى المهندس – رحمه الله – وليس لوالده ، فقد كان (المهندس) عميداً لدار العلوم ، ثم نائباً لرئيس مجمع اللغة العربية آنذاك .

فالمؤثرات التعليمية كلها – كما يؤكد د . حسين أنيس[٤] – كان مصدرها الخال وليس الأب (أى جده) الذى كان يعمل فى المقاولات ، ومن ثم ، فخاله أول من تعهده بالرعاية والنصح ، وتوجيهه وجهة دار العلوم .

كما كان لوالدة الدكتور إبراهيم أنيس – رغم تعليمها المحدود – أثر كبير فى دفعه إلى العلم بطريقة كانت أكثر مما يفعل والده ، وكان – رحمه الله – يتحدث عنها بحب عميق ، وأثّر فى نفسه كثيراً وفاتها ، وهى فى سن الأربعين من عمرها ، أثناء وجوده فى إنجلترا للبعثة ، فشعر أنه حرم منها مبكراً .

أيضاً كان للدكتور إبراهيم أنيس جدة لأبيه ، لها تأثير كبير على شخصيته ، خصوصاً فى فترة الطفولة ، فقد كانت قريبة إلى نفسه ، وكان يأخذ عنها بعض الحكايات الشعبية والقصص والحواديت .. وعادة ما كان يحكى لابنيه (حسين وصلاح) عنها ويقول لهما « كما قالت ستى « أو » جدتى كانت تقول كذا وكذا » .. إلخ .

• تحقيق لقب (أنيس)

وكلمة « أنيس » ليست اسما لأحد أجداده وإنما هو لقب أطلق على أحدهم ، ثم أصبح علما على كل فرد من أفراد الأسرة[٥] .

فالذى بدأ باسم أنيس هو جد الدكتور إبراهيم ، وهو محمد على ، أطلق عليه اسم أنيس ، وكان – رحمه الله – يتحدث عن جده بقوله : « جدى أنيس » ، وكان يطلق عليه كلمة « أنيس » وكان يلقبه الناس بـ « أنيس » ، وينادونه « أنيس » والعجيب أننا لم نسمع أى شىء عن الأسرة قبل هذا الجد ، فكل القصص وكل ما نعلمه عنها يبدأ بهذا الجد ، فمثلا المنزل الذى كانوا يسكنونه بناه هذا الجد ، والمدفن الذى تدفن به الأسرة – حتى الآن – بناه هذا الجد ، وكأن الأسرة بدأت بهذا الجد »[٦] .

---

(٤) حديث الدكتور حسين أنيس مع (المؤلف) ، سابق الإشارة إليه .

(٥) إبراهيم أنيس لغويا ، رسالة ماجستير ، للدكتور على سيد جعفر ، كلية اللغة العربية ، القاهرة، جامعة الأزهر ، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م ، المجلد الأول ص ٣

(٦) من حديث الدكتور حسين أنيس مع (المؤلف).

وبالرغم من أن الدكتور إبراهيم أنيس اتجه إلى البحث الأكاديمي ، وكان ذا ميول أدبية ولغوية ، إلا أن عقله كان علميا قبل أن يكون أدبيا ، فقد دفع إلى هذا التيار الأدبي بتأثير خاله الأستاذ / زكي المهندس ، على نحو ما أشرنا من قبل .

وربما مهد ذلك للخطوة الأولى فى استخدامه للحاسب الآلى ، واستخدامه الكمبيوتر فى دراسة ألفاظ القرآن الكريم ، وكذلك دراساته الإحصائية عن جذور اللغة ، فكل دراساته أساسها « علمي » وليس أدبيًا بالدرجة الأولى .

أما الشيء الأهم من ذلك والذى أفاده كثيرًا، فيما بعد ، فى دراساته وبحوثه الفكرية واللغوية ، فهو حفظه للقرآن الكريم كله فى صغره .

- **ملامح شخصيته :**

والدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - من صفاته وملامح شخصيته أنه كان هادئ الطبع ، رصينًا فى نقده واجتهاده ، لا يعنف ، منصف ، سمح ، صادق الرؤية ، نافذ البصيرة ، ثاقب النظرة ، واضح العبارة ، عف اللسان .

ومن صفاته أيضًا أنه - رحمه الله - كان هاشًا باشًا ، ودائمًا ما يلقى الناس بوجه طلق ، وبابتسامة خفيفة معبرة .. يميل إلى الإنصات وسماع الغير أولاً ، ولم يبتل - قط - كما يقول الدكتور إبراهيم بيومى مدكور - رحمه الله ، بشهوة الكلام .

- **عاداته وهواياته :**

وإلى جانب ذلك ، كان د . أنيس محبًا جداً للفكاهة ، و« للقفشات » ، و« النكتة » .. رغم أنه لم يكن اجتماعياً بالدرجة الأولى !! .

ويفسر ابنه الدكتور حسين أنيس هذا الاتجاه عند والده بأنه فى حالة ميله إلى الانطواء أو العزلة ، إنما ليجتر أفكاره ، بحيث يصل إلى « اتفاقية مع النفس » على حد تعبيره .

فالدكتور إبراهيم أنيس كان مُقلاً فى علاقاته الاجتماعية ، وما يتاح له من وقت يقضيه فى صلة شقيقاته ، أما إخوته الذكور فكان يلتقى بهم فى بيته .

ومن عـادات الدكـتـور إبراهيم أنيس الطريفـة أنه كـان يحب الاسـتـمـاع إلى الموسيقى ، وقراءة القرآن ويـهوى التمثيل[٧] ، ويحب « الرسم » . أما رياضته المفضلة فكانت رياضـة « المشى » ولكن هذه الأمـور اخـتـفت فى العـشـرين سنة الأخـيـرة من حياته ، لانشغاله بالبحث العلمى واللغوى ، حيث كان تركيزه على الناحية العلمية والأكاديمية أكثر .

- **إبراهيم أنيس .. والسياسة :**

والدكـتـور أنيس كـان له – قبل سـفـره فى بعـثـتـه لإنجلـتـرا سنة ١٩٢٣ م ، بعض الاهتمامات السياسية ، التى عبر عنها شعراً ونثراً ، وربما لم يعرف كثيرون عنه ذلك فقد ألقى – وهو طالب فى دار العلوم قـصـيـدة فى « بيت الأمـة » فى حـضـرة سـعـد زغلول ومصطفى النحاس ، جاء فيها هذان البيتان :

زعـــيم الـشـــعب بين يديـك وافى
جنودك مـــخلصين لك الهـتـــامًـا
أتيـنا كـــعـــبـــة الوطـن المفـــدى
فـدعنا نلتـــمس فـيـهـا الطوافـا[*]

أما النثر فقد قال لى أيضًا الدكتور عبد العظيم أنيس ، الأستاذ بكلية العلوم جامعة عين شمس ، إن للدكتور إبراهيم أنيس مسرحية عن « عصر نابليون وحكمه فى مصر » ومسرحية أخرى منشورة فى أحد أعداد صحيفة دار العلوم ، مما يؤكد أن الدكتور إبراهيم أنيس كانت له مشاركات ظاهرة على مسرح الحياة السياسية ، فى تلك الفترة المعاصرة من تاريخ مصر السياسى قبل ثوة ١٩٥٢م ، وهذا يعنى أن د. أنيس – رحمه الله – كـان يتمتع بموهبة أدبية ، كما سنبين ذلك فى موضعه من البحث عند حديثنا – إن شاء الله – « عن د . إبراهيم أنيس والإبداع الأدبى ».

---

(٧) وفى ذلك يذكر الدكتور / محمد مهدى علام (نائب رئيس المجمع) الأسبق ، رحمه الله ، « لقد كنت مشرفًا على جمعية التمثيل التى كان رئيسًا لها (يعنى د . إبراهيم) وكان له تمثيلية من قلمه بعنوان « الشيخ المتصابى » قام بدور البطل فى تمثيلها .. »

انظر : المجمعيون فى خمسين عامًا ، للدكتور مهدى علام ، ط / ١ ، ١٩٨٤ م ، ص ٤

(*) ذكر لى شقيقه د . عبد العظيم أنيس هذه الأبيات ، فى حديث خاص معه .

وفى هذا الصدد ذكر لى الدكتور حسين أنيس أن والده الدكتور إبراهيم كان يتحدث عن زعماء الوفد بشيء من الطرافة ، فحكى أنه ذات مرة كان يصلى الجمعة فى المسجد الذى كان يصلى فيه النحاس باشا ، وأثناء خروج النحاس من المسجد التفت حوله الجماهير ، فتدخل رجال الأمن لإبعادهم عنه ، فما كان من النحاس إلا أن راح يضرب رجال الأمن هؤلاء ، ويقول لهم « هو أنتم فاكرينى إسماعيل صدقى » ؟

فكتب الدكتور إبراهيم أنيس مقالة هاجم فيها منع رئيس الوزراء - إسماعيل صدقى - النحاس باشا من التواجد فى المساجد أو الأماكن التى له فيها شعبية .. يقول فيها : « أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى » ؟!

ولعل هذا كان أحد أسباب التقارب بين د . أنيس والعقاد (الوفدى) فى وجهات النظر وموقفهما (المعارض / المتحفظ) على ثورة يوليو ١٩٥٢ م .

وهكذا كان الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه اللّه - يتميز بالجرأة فى التعبير ، والرأى الحر ، والصراحة فى الحق ، وهو ما كان يجر عليه الكثير من المشاكل ، خصوصا فى وسط مجتمع يتسم أفراده بالمجاملة « ومن دلائل جرأته أنه كان يرى أن الذين قاموا بثورة ١٩٥٢ م ليس لهم القدرة على حكم مصر ، وكان يدلل على ذلك بكلام علمى وتحليل سياسى سليم ، لأنه كان له بعض التحفظات على عهد الثورة(*) !!

من هنا ندرك سبب قلة كتابات الدكتور إبراهيم أنيس فى الصحف القومية ، كالأهرام ، مثلا ، فقد كان جد مقلا فى ذلك ، ومن مقالاته القليلة فى هذا الشأن أن الكاتب الشهير محمد حسنين هيكل كتب فى أحد مقالاته السياسية بالأهرام - تعبير « القوتان الأعظم » ، فانتقده البعض آنذاك ورأوا أن الصواب أن يقال القوتان العظميان ولكن الدكتور إبراهيم أنيس كتب مقالة ضخمة أيد فيها صحة استخدام هذا التعبير « القوتان الأعظم(**) » .

(*) من حديث خاص للدكتور حسين أنيس عن والده مع (المؤلف) .

(**) قال لى د . حسين أنيس : إن هذه المقالة موجودة لديه .

• شخصيات فى حياة إبراهيم أنيس :

فى حياة الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - شخصيات تتلمذ عليها فى بداياته المبكرة ، وأخرى تأثر بها وصادقها فترة طويلة من عمره ، ومن الصنف الأول كان الشيخ إبراهيم النواوى من رجال الأزهر ، والدكتور مهدى علام الذى وصفه بقوله : « والدكتور إبراهيم أنيس تلميذ يفاخر به » . والدكتور محمد كامل حسين وأحمد أمين ، وأحمد لطفى السيد ، وخاله الأستاذ / زكى المهندس ، ومع ذلك كان له بعض التحفظ على الأزهريين ، فلم يكن يرتاح لكثيرين منهم ، ربما لأسباب خاصة به .

وكان موقفه من الدكتور طه حسين على عكس موقف خاله الأستاذ / زكى المهندس فالدكتور أنيس يرى أن د . طه حسين حظى بتدليل كبير من الأمة والدولة ، بينما كان يرى خاله أن د. طه عُذِّب وأصابه أذى كثير بسبب عمى بصره .

أما الفريق الثانى من هؤلاء الأعلام الذى صاحبهم د . أنيس فكان الأستاذ / عباس محمود العقاد - رحمه الله - فى مقدمتهم ، وكان قريبا من قلبه ، وكان العقاد يرى فى الدكتور أنيس شبابه ، وأيضا كان حبه شديداً للشاعرين أحمد شوقى وحافظ إبراهيم ، وكان يحضر ندواتهما الشعرية ، وحضر مناسبة تتويج « شوقى » أميراً للشعراء العربى آنذاك .

• إخوة وأبناء إبراهيم أنيس :

وفى هذا الصدد يجدر بنا أن نشير إلى أن الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - كان له ثلاثة أشقاء هم : المهندس حسن أنيس ، مدير سابق بمصلحة المساحة بالقاهرة ، مازال على قيد الحياة ، ولكنه مريض والدكتور محمد أنيس أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب - جامعة القاهرة (توفى) . والدكتور عبد العظيم أنيس أستاذ الرياضيات بكلية العلوم - جامعة عين شمس من مواليد ١٩٢٣ م (*) . (٧٧ سنة) متعة الله بالصحة .

(*) وهو من كُتَّاب مجلة الهلال البارزين ، حيث يكتب (مقالة) شهرية بها .

وكذلك للدكتور إبراهيم أربع شقيقات هن : فتحية أنيس ، وعائشة أنيس ، وفاطمة أنيس ، وسعاد أنيس ، الوحيدة التي على قيد الحياة ، حيث كانت تشغل وظيفة مدير عام بديوان عام وزارة التربية والتعليم بالقاهرة .

أما ابنا الدكتور إبراهيم أنيس فهما : الدكتور حسين أنيس(٨) الأستاذ بكلية الهندسة جامعة القاهرة وصلاح أنيس ، حاصل على بكالوريوس الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة ، ويعمل في بنك تجارى بالقاهرة .

• إبراهيم أنيس وجائزة الدولة التقديرية :

بالرغم من أن الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - رشحه مجمع اللغة العربية لنيل جائزة الدولة التقديرية أواخر سنة ١٩٧٦ ، ، إلا أن المنية عاجلته فلم يتسلمها ، وبالتالى فإن الدكتور إبراهيم أنيس رشح للجائزة ، لكنه لم يحصل عليها ، وقال لى ابنه الدكتور حسين أنيس : إن الدكتور مهدى علام - رحمه الله - كان دائما ما يقول لوالده د . إبراهيم إنه هو السبب فى تأخر حصوله على الجائزة ، حتى أنه قال بالحرف الواحد « أنا عطلتك كثيراً يادكتور إبراهيم » !! ، وكان « المجمع » يرشح شخصا واحداً من أعضائه للجائزة منعا للحرج ، وكان الذى رشحه المجمع هو الدكتور مهدى علام لعدة مرات ، إلى أن حصل عليها فى وقت متأخر جداً ، وهذا هو السبب الذى ضاعف زمن التأخير بالنسبة للدكتور إبراهيم أنيس ، أضف إلى هذا أن قانون المجلس الأعلى للثقافة يقضى بأن من يمنح تلك الجائزة لابد أن يكون على قيد الحياة وقت فوزه بها ، وإذا توفى يسقط ترشيحه !!

• مكتبة إبراهيم أنيس .. ومذكراته :

بقى أن نشير إلى أن الدكتور إبراهيم أنيس كان عنده مكتبة ضخمة جداً ، بها بضعة آلاف من أمهات الكتب ، كونها بعد عودته من إنجلترا ، وكانت تحوى - بطبيعة

---

(٨) وهو من مواليد القاهرة سنة ١٩٤٥ م حاصل على بكالوريوس الهندسة بسنة ١٩٦٦ م ، وعلى درجتى الماجستير والدكتوراه من جامعة ميجل بكندا فى الفترة من عام ١٩٧٠ م - ١٩٧٣ م وعضو هيئة التدريس بجامعة القاهرة منذ عام ١٩٧٤ م وحاصل على جائزة الدولة التشجيعية ، وجائزة التفوق العلمى فى مجال التخصص ، وله عدة أبحاث ، وكتاب مطبوع عن « الجهد العالى والطاقة الكهربية » ، بالولايات المتحدة الأمريكية . (والمعلومات من حديث خاص معه) .

الحال – كتب التراث العربى والإسلامى ، والذخائر ، مثل الأغانى للأصفهانى ، والأمالى لعلى القالى ، ولسان العرب لابن منظور ، والكامل للمبرد ، والكتاب لسيبويه ، والخصائص وسر صناعة الإعراب لابن جنى ، والمزهر والاتقان للسيوطى ، وشرح المفصل لابن يعيش ، والكشاف للزمخشرى ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وغيرها من تلك الأمهات ، بالاضافة إلى الكتب الإسلامية الأخرى التى كانت تشكل قسما آخر من مكتبته .

وبالنسبة للجزء الأول منها فقد أهداه ابنه الدكتور حسين إلى مكتبة دار العلوم ، بواسطة الدكتور عبد الصبور شاهين الأستاذ بالكلية ، بينما احتفظ لنفسه بالجزء الآخر منها والخاص بالكتب الثقافية والإسلامية .

وعلى الرغم من حياة الدكتور إبراهيم أنيس الحافلة بالعمل والبحث والكفاح الطويل ، وخدمة اللغة العربية إلا أنه لم يكتب مذكراته عن تلك المرحلة الطويلة ، والمهمة من تاريخ مصر ، وللأسف الشديد لم نعثر على أية أجزاء أو كتابات بخط يده – حتى عند ابنه الدكتور حسين أنيس – باعتباره كان الأقرب إليه .

ويرد الدكتور حسين بعض أسباب ذلك – وإن كان لا يخفى ندمه على عدم تنبيه والده الدكتور إبراهيم إلى كتابة تلك المذكرات – إلى ظروف سفره – هو – خارج مصر لاستكمال دراسته العلمية بكندا ، فى أغسطس عام ١٩٦٨ م لمدة ست سنوات ، حيث لم يسعفه الوقت لتدارك هذا الخطأ بعد عودته لمصر عام ١٩٧٤ م ، لأن المنية عاجلت والده رحمه الله فى ٨ يونيه ١٩٧٧ م .

الفصل الثانى

إبراهيم أنيس (در عميا)

- إبراهيم أنيس فى دار العلوم .
- د . أنيس ودكتوراه الفلسفة .
- إبراهيم أنيس عميدا لدار العلوم .
- د. إبراهيم أنيس وبحوثه اللغوية .
  - (أ) مؤلفات غير مطبوعة .
  - (ب) كتب عدة طبعات .
- بحوث ومقالات متفرقة للدكتور أنيس .
- بحوث أخرى أعاد د. أنيس كتابتها .

الفصل الثانى

إبراهيم أنيس (درعميا)

• إبراهيم أنيس فى دار العلوم :

التحق الدكتور إبراهيم أنيس بالمدرسة التجهيزية التى كانت ملحقة آنذاك بدار العلوم[*] ولما أتم دراسته بها دخل دار العلوم ، وحصل على دبلومها سنة ١٩٣٠م ، واشتغل عقب تخرجه بتدريس اللغة العربية فى بعض المدارس الثانوية[١].

وفى سنة ١٩٣٣ م فاز إبراهيم أنيس فى المسابقة التى عقدتها وزارة المعارف لاختيار أعضاء لبعثة دراسية فى أوربا ، فذهب إلى إنجلترا ، ودرس بجامعة لندن ، وحصل منها على المؤهلين العلميين الآتيين :

١ - بكالوريوس الشرف .B.A.HONS سنة ١٩٣٩ .

٢ - دكتوراه الفلسفة PH. D سنة ١٩٤١ .

وظهر للدكتور إبراهيم أنيس أثناء دراسته بإنجلترا بعض النشاط الاجتماعى ، فانتخب رئيسا للنادى المصرى بلندن سنة ١٩٣٨ م[٢] .

• د . أنيس ودكتوراه الفلسفة :

حصل إبراهيم أنيس من جامعة لندن على البكالوريوس فى اللغة العبرية والآرامية والسريانية سنة تسع وثلاثين وتسعمائة وألف (١٩٣٩) ، وحصل

(*) المدرسة التجهيزية ، كانت تسمى « تجهيزية دار العلوم » ، وهى مرحلة دراسية مدتها سنتان للراغب فى الالتحاق بدار العلوم ، أو مدرسة دار العلوم العليا آنذاك ، وتمنح درجة « دبلوم » يجيز لصاحبه الالتحاق بدار العلوم ، جامعة فؤاد الأول ، ثم تغير اسمها بعد ذلك إلى كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة.

(١) مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما ، للدكتور مهدى علام وآخرين ، ط / ١٩٦٦ م (٢) ، القاهرة، ص ١ .

(٢) د . مهدى علام ، المرجع السابق ، نفسه .

أيضـا على الدكـتوراه فى (المقارنات السامية) سنة إحدى وأربعـين وتسعمائة وألف (١٩٤١) ، وعاد من بعثته فى السنة نفسها ، وعين مدرسا بدار العلوم فى فبراير سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة وألف (١٩٤٢)(٣) .

ثم نقل إلى كلية الآداب جامعة فاروق (جامعة الإسكندرية) حاليا ، وظل بها لمدة سنتين من ١٩٤٢ - ١٩٤٤ ، . « وأثناء تلك الفترة القصيرة ساهم فى إنشاء معمل الأصوات بالكلية ، فكان المعمل لبنة من لبناته »(٤) .

كما ساهم د . أنيس فى إدخال الدراسة الصوتية بمعهد التدريب الإذاعى المصرى ، رغبة منه فى أن يقف المذيعون على أمثل الطرق للنطق بأصوات اللغة ، ومعرفة طبيعة كل صوت ، وكيفية إخراجه والسيطرة على جهاز النطق ، ومخارج الألفاظ ، سيطرة تامة(٥) . أيضا كان للدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - نشاط آخر فقد عين رئيسا لنادى أعضاء هيئة التدريس بعد عودته من إنجلترا ، وكان مدرسا بدار العلوم فى ذلك الوقت ، وحدث أن اعتصم طلبة كلية الطب ، بالجامعة ، فكلف من قبل إدارة الجامعة بالتفاوض مع هؤلاء الطلاب لإنهاء هذا الاعتصام . وبدأت المفاوضات بينه وبين رئيس اتحاد الطلاب آنذاك ، وكان د. يوسف إدريس ، ونجح د . أنيس فى إنهاء هذا الاعتصام (٦) .

- **إبراهيم أنيس عميدا لدار العلوم :**

بعد المدة القصيرة التى قضاها الدكتور إبراهيم أنيس بجامعة الإسكندرية ، عاد إلى كلية دار العلوم ، وأخذ يترقى فى الدرجات العلمية ، فعين أستاذا مساعدا فى شهر يوليو سنة سبع وأربعين وتسعمائة وألف (١٩٤٧ م) ثم عين أستاذا لكرسى الدراسات السامية والشرقية ، فى يوليو سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة وألف (١٩٥٢م) ،

---

(٣) إبراهيم أنيس ودراسة اللهجات ، للدكتور إبراهيم الدسوقى بحث سابق ذكره ، ص ١ .

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية ، كلمة د. عبد الله درويش ، فى تأبين د . إبراهيم أنيس ، ج/ ٤٠ ، ص ٢٠٦

(٥) الأصوات اللغوية ، د . إبراهيم أنيس ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط/٥ ، ١٩٩٥ م ، ص ١

(٦) من حديث خاص للدكتور حسين أنيس معْ (المؤلف) .

واختير عميدا لدار العلوم فى نوفمبر سنة خمس وخمسين وتسعمائة وألف (١٩٥٥م) (*) ، ثم عين عميدا للمرة الثانية سنة (١٩٥٨) وحتى عام ١٩٦٢ ، وظل فى هذا المنصب إلى أن انتدب للتدريس بجامعة الأردن آنذاك(٧) .

وحين ولى الدكتور إبراهيم أنيس عمادة دار العلوم ، أحسن ولايتها ، وأدارها بحكمة وحزم ، ووهب كل وقته لها ، فكان يغدو إلى مكتبه مستهل ساعات الدراسة ، ولا يزال فيه إلى منتهاها ، لا يغادره إلا لمحاضرة أو لإجابة دعوة إلى الجامعة(٨) ، وكانت تقام فى الكلية دورات دراسة تدريبية لطائفة من مدرسى اللغة العربية ، يحضرونها مساء ، لأسابيع من الصيف ، وكان له الإشراف عليها .

وكان – رحمه الله – لا يأخذ فى أداء واجباته بالرخص ، بل بالعزائم ، يحمل نفسه عليها ، ويلتزم بها ، قبل أن يفكر فى دعوة الآخرين إليها ، ولعله فى هذا كان يتمثل قوله تعالى (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)(٩) .

• موقف أبى :

ومن مواقف الدكتور إبراهيم أنيس – رحمه الله – التى تكشف عن مدى اعتداده بنفسه ، واعتزازه بكرامته – كعالم – يعرف قدر نفسه وقيمتها ، أنه وهو عميد لدار العلوم – فى الفترة الأولى – كان هناك أحد العسكر بين المسئولين فى إدارة الجامعة، ذو كلمة مسموعة ، وأمر نافذ ، (ويبدو أنه كان من كتاب التقارير ورفعها إلى الرئيس عبد الناصر) فاعتاد عمداء الكليات بالجامعة أن يختلفوا إلى مكتبه فى المناسبات الجامعية ، كتقليد مجامل ، فيما عدا د. أنيس عميد دار العلوم ، الذى لم يكن – رحمه الله – يفعل ذلك عن تعال فيه أو استكبار .

(*) تاريخ التعيين ١٩٥٥/١١/٢٧ م

(٧) المجمعيون فى خمسين عاما ، المرجع السابق ، ص ٤

(٨) على النجدى ناصف ، من كلمته فى تأبين د . إبراهيم أنيس ، فى ٢ فبراير ١٩٧٧م ، مجلة المجمع ، المرجع السابق ، ع / ٤٠ ، ٢٠٢ .

(٩) سورة الصف ، آية / ٣ .

وقد لاحظ هذا « المسئول » الكبير عدم وجود د. أنيس عنده مع هؤلاء العمداء ، فاعتبر ذلك تقصيراً منه أو ترفعا عليه ولما علم – هو – بذلك لم يعدل عن منهجه ، فما لبث أن وجد العراقيل جعلت تأخذ طريقها إلى أعماله الإدارية ، وتعوق سيرها ، وتعطل ما كان يريد إنجازه من الأمور « فتبين آنئذ أنه أمر يراد بل كيد يكاد له ، فما كان من د . أنيس إلا أن قرر الاستقالة من منصبه »(١٠) .

وبعد أن أحيل الدكتور إبراهيم أنيس إلى التقاعد من دار العلوم لبلوغه السن القانونية شارك فى التدريس بجامعات : الكويت سنة ١٩٧١ ، حيث ألقى بحثه المهم : « بين القافية فى الشعر العربى والقافية فى الشعر الإنجليزى »(١١) .

وكذلك درّس فى السودان ، والأردن ، كأستاذ زائر هناك ، وبعد عودته عين د. أنيس أستاذاً غير متفرغ بدار العلوم ، وحصل على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٥٨ عن كتابه « دلالة الألفاظ » (١٢) .

ولم تشغل المناصب الإدارية الدكتور إبراهيم أنيس – رحمه الله – عن متابعة نشاطه العلمى والبحثى فى علوم اللغة ، ومجالاتها المختلفة ، وقد زخرت العديد من المجلات المصرية والعربية ببحوثه ومقالاته ، وآرائه الجريئة فى بعض قضايا اللغة ومشكلاتها الشائكة ومجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة – كما سنفصل لذلك لاحقا – خير دليل على ذلك ، وكذلك صحيفة دار العلوم ، فله بها – على سبيل المثال – « نفى النفى تأكيد للنفى »(١٣) ، وله أيضا بمجلة المجمع العلمى ، بسورية مقال بعنوان « لغة عالمية (١٤) .

وكذلك بحثه « نشأة الكلام » بصحيفة دار العلوم(١٥) ، ومقاله بعنوان « صراع الناس مع معانى الكلمات (١٦) ، بمجلة « قافلة الزيت » بالسعودية .

* * *

---

(١٠) على النجدى ناصف ، المرجع السابق ، ص ٢٠٣

(١١) موسيقى الشعر ، د . إبراهيم أنيس ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط/٥ ، ١٩٨١ ، مقدمة « الطبعة الرابعة ».

(١٢) انظر « دلالة الألفاظ » د . إبراهيم أنيس ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ١٩٩٧ ، (تصدير) .

(١٣) السنة (١١) ، عام ١٩٤٤ ، المجلد (١ – ٢)

(١٤) المجلد رقم (٤٠) جـ ١ سنة ١٩٦٥

(١٥) السنة التاسعة ، العدد الرابع ، أكتوبر – ديسمبر ١٩٤٢ ، ص ٤٠ – ٤٨

(١٦) عدد نوفمبر ، سنة ١٩٧٠ ، ص ١٧ – ٢٨

ومن شمائل الدكتور إبراهيم أنيس – رحمه الله – أنه كان « أنيسا فى لقائه ، أنيسا فى مجلسه ، إذا تكلم تحدث عن بينة ، يحرص على الأصالة ما وسعه ذلك ، ويمقت التكرار والإعادة ، ويصدر عن ذوق سليم ، وحسن صادق»(١٧) .

وهكذا كان – رحمه الله – متسما بالتواضع الشديد ، حتى فى اختيار عناوين مؤلفاته مثل : (فى اللهجات العربية) ، ولم يقل : اللهجات العربية ، (ومن أسرار اللغة)(١٨) ولم يقل : أسرار اللغة ، و(من طرق تنمية الألفاظ فى اللغة) .. والدكتور إبراهيم أنيس – كما يصفه الدكتور مهدى علام – رحمه الله – : « عالم ثبت ، وصديق وفى .. »(١٩) .

● **خلاصة :**

من كل ما سبق ، يتضح لنا أن الدكتور إبراهيم أنيس قضى شطراً من حياته طالبا للعلم ، فأخذ علوم العربية فى أصالتها ونقاء معدنها ، واتساع آفاقها ، على يد جمع من شيوخ دار العلوم وأعلامها ، « ثم سافر إلى لندن ، فلقى بعض المستعربين ، وسمع منهم وقرأ لهم بحوثا فى اللغات السامية ، وقرأ لآخرين من علماء الغرب بحوثا فى لغاتهم القديمة والحديثة ، واطلع على محاولاتهم تفسير الظواهر اللغوية عندهم ، على قدر من نظائرها فى اللغات الأخرى ، فأضاف من ذلك علما إلى علمه ، وآراء إلى آرائه »(٢٠) ، واطلع على ضروب من مناهج التفكير ، وطرائق العرض ، توافق أو تخالف ماعنده من ذلك قليلا أو كثيرا .

الدكتور إبراهيم أنيس وبحوثه اللغوية

(أ) مؤلفات غير مطبوعة

للدكتور إبراهيم أنيس عدة كتب علمية ، جلها فى الدراسات اللغوية ، وتشتمل على طائفة قيمة من البحوث والدراسات المتعمقة ، لا يتهيأ مثلها لغير ذى فكر مستنير ، وعلم غزير ، وهى تتسم فى معظمها باستقامة المنهج ، وعبقرية التفكير ونضج الموهبة .

---

(١٧) د . إبراهيم بيومى مدكور ، فى كلمته فى تأبين د . أنيس ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ع/٤٠، ص ١٩٨

(١٨) د . عبد الله درويش ، مجلة المجمع ، المرجع السابق ، ص ٢٠٦

(١٩) د . مهدى علام ، المجمعيون فى خمسين عاما ، المرجع السابق ، ص (ط) فى « المقدمة » .

(٢٠) على النجدى ناصف ، المرجع السابق ، ص ٢٠٣

وكلها طبع عدة طباعات ، فيما عدا أربعة منها ،

الأول : وهو كتابه : إيناس أو ضحية المجتمع ، وهى مسرحية نثرية ».

أما **الثانى** فهو كتابه : (المنصور الأندلسى) ، وهى أيضا مسرحية نثرية تتناول صفحات مجيدة من تاريخنا العربى فى الأندلس ، فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى(*) .

وأما الثالث فهو : القواعد النحوية فى لهجة مصر العامية ، وهى رسالته للدكتوراه فى إنجلترا ، جامعة لندن ، باللغة الإنجليزية ، وتعد أول عمل علمى له فى اللهجات الحديثة (٢١) مطبقا عليه المنهج الصوتى فى الدراسة اللغوية ، وربط بينه وبين اللهجات العربية القديمة من جهة ، والفصحى من جهة أخرى .

والرابع هو كتاب : مبتكر التطبيق على قواعد اللغة العربية ، وهو عبارة عن تطبيقات صرفية ونحوية لكثير من قواعد اللغة العربية ، ألفه د . أنيس مع زميل له (**) ، عندما كانا مدرسين فى مدرسة كلية « فكتوريا » بالإسكندرية ، بسنة ١٩٣٢.

أما بقية كتب الدكتور إبراهيم أنيس التالية فقد طبعت عدة طبعات على النحو التالى :

(ب) كتب طبعت عدة طبعات :

أما مؤلفات الدكتور إبراهيم أنيس – **رحمه الله** – التى طبعت عدة طبعات فهى :

(*) هذا الكتاب طبع مرة واحدة فقط وبدون تاريخ نشر وتوجد منه نسخة بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، تحت رقم ٩٢٣/٢٠٨٥٨ – من – أ .

(٢١) قال الدكتور / على سيد جعفر فى رسالته للماجستير ، إنه ساعد فى ترجمتها إلى اللغة العربية ، بإذن الدكتور / حسين أنيس ، وهى نسخة يتيمة لديه ، وتقع فى مائتى صفحة من القطع الكبير .

انظر : ص ١٠ من الرسالة ، هامش رقم (٥) ، مرجع سابق .

(**) يشير د . على سيد جعفر إلى أنه توجد من هذا الكتاب ثلاث نسخ بدار الكتاب ورمزها (هـ) ، تحت أرقام ١٩٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، مطبعة دار الرحمانية ، بالقاهرة ، بسنة ١٩٣٢ ، واشترك معه فى هذا الكتاب زميله : السيد شحاته .

انظر : رسالته للماجستير ، المجلد الأول ، ص ١٠ ، كتبه ، / هامش رقم (٤) مرجع سابق .

- **الأصوات اللغوية** : وهو كتاب[٢٢] ، يتناول فيه د . أنيس بالبحث والدراسة الأصوات ومقاييس تصنيفها ، ومنهج القدماء فيها ، وكذلك موسيقى الكلام ، وتكون الأصوات عند الأطفال والكبار .
- **فى اللهجات العربية** : وهو دراسة متخصصة [٢٣] ، ومعمقة ، تتناول بالشرح والتفسير العلمى المعاصر ، حال العربية قبل الإسلام ، وواقع اللهجات فيها ، كما تبحث فى القراءات القرآنية من الناحية الصوتية ، وتنظر فى اختلاف الدلالة والبنية فى اللهجات .
- **موسيقى الشعر** : وهو كتاب يبحث فى عروض الشعر وتيسيره[٢٤] ، فيجتزئ مصطلحاته الكثير مما يشيع فى شعر المعاصرين ، ويعفيهم من عبء الرجوع إلى الكتب الضخمة ، صعبة الأسلوب .

ويتضمن كذلك بعض ملاحظات طريفة على آراء القدماء والمستشرقين ، اعتمد فيها د.أنيس على علم اللغة الحديث .

- **من أسرار اللغة** : كتاب يتناول بالدراسة والنقد عوامل نمو اللغة ، والإعراب وعلاقته بالمعنى والجملة فى أجزائها ، ونظام تأليفها[٢٥] .
- **دلالة الألفاظ** : كتاب يفصل البحث فى أنواع الدلالات[٢٦] ، ويبين كيف تكون الدلالة عند الأطفال ، وعند الكبار ، وكيف تتطور مع الزمن ، ويشرح

---

(٢٢) طبع لأول مرة بمطبعة نهضة مصر بسنة ١٩٤٦ ، والطبعة الخامسة منه صدرت بمكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، بسنة ١٩٩٥ م ، وتقع فى حوالى ٢٨٠ صفحة من القطع المتوسط ، مقاس (٢٣× ١٦ بسم) .

(٢٣) طبع لأول مرة بسنة ١٩٤٧ ، حسب فهرس المؤلف ، بالمكتبة المركزية لجامعة القاهرة ، نشر دار الفكر العربى ، مطبعة الرسالة ، والطبعة التاسعة منه صدرت بمكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٥ م وتقع فى ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط ، مقاس (٢٣ × ١٦ بسم) .

(٢٤) طبع لأول مرة سنة ١٩٤٩م ، وصدرت الطبعة الخامسة منه ، بمكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨١ م ، وتقع فى ٣٦٤ صفحة من القطع المتوسط ، مقاس (٢٣ × ١٦ بسم) .

(٢٥) طبع لأول مرة بسنة ١٩٥١ م ، بمطبعة لجنة البيان العربى بالقاهرة ، وصدرت الطبعة السابعة منه بمكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٤ م ، وتقع فى ٣٥٦ صفحة من القطع المتوسط ، مقاس (٢٣ × ١٦ سم) .

(٢٦) طبع لأول مرة بسنة ١٩٥٨ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، وصدرت منه طبعة حديثة عن نفس الناشر عام ١٩٩٧م ، وتقع فى حوالى ٢٧٠ صفحة من القطع المتوسط ، مقاس (٢٣ × ١٦ سم).

فـيه د . أنيس أثر الدلالة فى الترجمة ، ثم يتحدث عن أشهر المعجمات العربية ، بترتيب عصورها ، وقد حصل به على جائزة الدولة التشجيعية سنة ١٩٥٨[*] .

- **مستقبل اللغة العربية المشتركة** : وهو بحث علمى يقوم على رؤية كاشفة ، ووضع د . أنيس على هداها أن اللغة العربية مصيرها إلى التوحيد نطقا[٢٧] ، بحيث تكون لغة العرب جميعا ، وهى نبرة تغلب عليها روح التمنى العاطفى القومى أكثر ثم يصف الحال التى يتوقع أن تكون عليها هذه اللغة صياغة وأداء فى المستقبل .
- **طرق تنمية الألفاظ فى اللغة** : وهو عبارة عن عشر محاضرات[٢٨] ، ألقاها د . إبراهيم أنيس – رحمه الله – على طلبة معهد الدراسات العربية ، تناول فيها بعض قضايا اللغة ، كالقياس والاشتقاق ، وكان قد أخذها من كتابه « من أسرار اللغة » .
- **اللغة بين القومية والعالمية** : أما هذا الكتاب[٢٩] ، فيبين فيه د . أنيس دور اللغة فى تكوين القومية ، وتوثيق صلة المجتمعات العربية بعضها ببعض ، ويتنبأ فيه – بما يسميه بـ « اللغة العالمية » ، بفضل السرعة المذهلة لوسائل المواصلات وعلوم الاتصال الحديثة التى تيسر سبل التخاطب بين الأفراد عن بُعد ، ويرى فيه أن اللغة العربية هى اللغة المرشحة لهذا الدور القومى الإنسانى العالمى . (ويعد هذا الكتاب أول مؤلف ، فى تاريخ صدوره ، يتناول وظيفة اللغة فى إطار القومية والعالمية)[٣٠] .

(*) انظر : تصدير الكتاب ، فى الطبعة السابقة / ١٩٩٧

(٢٧) وهو عبارة عن عدة محاضرات ألقاها د . أنيس على طلبة معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية (قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية) ، القاهرة ، ١٩٦٩ م . ثم أصدرها فى كتاب عام ١٩٦٠ م ، وقد علقت عليه د . بنت الشاطئ ، وأثنت عليه فى كتابها بعنوان « لغتنا والحياة » ، ط/٢ دار المعارف ، القاهرة / ١٩٩١ ، ص ٢٠٥ – ٢٠٩.

(٢٨) وتقع فى كتيب صغير (٤٧ صفحة) مقاس (٢٠ × ١٤ سم) ، طبعت عام ١٩٦٦ م وتوجد منه نسخة بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، برقم ٤١٠ – ١ ب – م ، ورقم خاص ١٣٢١.

(٢٩) صدر هذا الكتاب فى طبعة واحدة ، عن دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ م ويقع فى ٢٣٥ صفحة من القطع المتوسط مقاس (٢٢ × ١٤ سم).

(٣٠) انظر : على النجدى ناصف ، مجلة المجمع ، ج / ٤٠ ، ص ٢٠٥

● بحوث ومقالات متفرقة للدكتور أنيس أثناء عرضه لموضوعات مماثلة لما تضمنته مؤلفاته اللغوية فهى :

١ – **اللغة بوصفها وسيلة اتصال** : بحث بخط يده يقع فى ست وعشرين صفحة ، يبدو أنه كان مسودة للفصل الأول من كتابه (اللغة بين القومية والعالمية ، وعنوانه : (اللغة) .

٢ – **اشتقاق حروف العلة** : أورد د . أنيس جزءاً كبيراً منه فى كتابه (الأصوات اللغوية)[٣١] ، وهو بحث صوتى ، حاول فيه تطبيق نظريتى السهول والشيوع على ما يسمى بالأصل الاشتقاقى لحروف العلة .

٣ – **قضية اليائية / الواوية**[٣٢] : وهو بحث يقع فى سبع وستين صفحة ، عالج فيه صوتيا ، مسائل تعتبر من وجهة نظر الدرس اللغوى التقليدى قضايا صرفية ، وتمثل ذلك فى أربعة حروف لها صلة وثيقة ببعضها وهى : الهمزة ، الهاء ، الياء ، الواو ، على الترتيب ، فتحدث د . أنيس عن قلب الياء واوا أو همزة ، وقلب الهمزة ياء أو واوا ، وقلب الواو والياء ألفا ، وقد طبق د . أنيس نظريات علم اللغة الحديث على معالجته لكل مسألة من تلك المسائل .

٤ – **نظرات فى باب الممنوع من الصرف** : وهو بحث يقع فى إحدى وثلاثين صفحة ، عالج فيه د . أنيس ما يسماه علماؤنا الأوائل بالممنوع من الصرف ، حيث حاولوا جاهدين أن يضعوا له القواعد والأحكام ، ورأى د . أنيس – رحمه الله – أن الهدف من منع الكلمات من التنوين يتمثل فى إرادة التنغيم أو (الغنة) ، وهو بهذا يعالج تلك المسائل الهامة فى الصرف العربى من وجهة نظر صوتية .

٥ – **الإحصاء اللغوى** : بحث فى ست صفحات ، يتحدث فيه د . أنيس عن أهمية استخدام الإحصاء فى بعض قضايا اللغة ، مثل : القلب ، الإبدال ، الافتراض .

٦ – **منهج الإحصاء فى البحث اللغوى** : بحث فى خمس صفحات ، يتناول فيه دور الإحصاء الرياضى وكيفية الاستفادة منه فى عدة مسائل لغوية ، مثل : أبواب الثلاثى ، صيغ الاسم الثلاثى ، جموع التكسير ، أوزان الشعر .

(٣١) انظر : ط/٥ ، ص ٢٣٨ – ٢٥٠ ، وقد نشره د . أنيس لأول مرة بمجلة كلية الآداب ، جامعة فاروق الأول (الإسكندرية) حاليا ، المجلد الثانى سنة ١٩٤٤ م .

(٣٢) إبراهيم أنيس لغويا / د . على سيد جعفر ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، ص ١٧ وما بعدها .

٧ – **أثر العادات الصوتية فى تعلم اللغات الأجنبية**: وهو عبارة عن سلسلة محاضرات ألقاها د . أنيس فى معهد التربية للمعلمين ، فى آداب الإسكندرية ، وضمنها كتابه (الأصوات اللغوية)[٣٣] .

٨ – **معجم ألفاظ الشعر الجاهلى** : ويقع فى خمس صفحات ، ألقاه د . أنيس فى الجامعة الأردنية .

٩ – **الحاسبات الالكترونية فى البحوث اللغوية** : بحث يقع فى سبع صفحات ، نشره د . أنيس فى مجلة المجمع المصرى للثقافة العلمية[٣٤] ، ويتحدث فيه عن دور الجداول الرياضية الإحصائية التى يقوم بعملها الحاسب الإلكترونية أو (الكمبيوتر) من خلال العقل الإنسانى ، فى تفسير بعض ظواهر اللغة[*] .

١٠ – **بحثه حول (الخنف)** -الأخنف – الخنفاء – الخنف : ويقع فى ثلاث صفحات ، عبر فيه د . أنيس عن دهشته من أن الأقلام تستعمل – حديثا – هذه الكلمات مع دلالاتها المشهورة بيننا الآن ، رغم أن المعاجم العربية قد ندت ، قديمها وحديثها عن تلك الدلالة المشهورة فى مادة (خنف) ، إذ تقرر أن (الخنف) هو : انضمام أحد جانبى الصدر أو الظهر ، ويخلص فيه إلى أن هذه الكلمات بدلالاتها المشهورة الآن فى معظم البلاد العربية، علينا أن نرد لها اعتبارها ، وألا نتردد فى استعمالها على أرقى الأساليب ، وأفصح مستوى من اللغة [**] .

١١ – **توفيق الحكيم** : تناول الدكتور إبراهيم أنيس فى هذا المقال الذى يقع فى أربع صفحات (فولسكاب) حياة هذا الكاتب الشخصية والعلمية ، وآثاره على الأدب عموما ، والمسرح العربى الحديث ، بوجه خاص ، وسرد أهم أعمال الحكيم ، مشيرا إلى أنها تعدت حدود العالم العربى إلى حضارات أخرى ، فترجم بعضها إلى

---

(٣٣) انظر : ط / ٥ ، ص ٢٥٨ – ٢٦٩

(٣٤) العدد / ٤٢ ، ص ١٩٧ – ٢٠٣

(*) نشر هذا البحث أيضا فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج٢٩ ، بعنوان « مسطرة اللغوى» ود .أنيس – رحمه الله – كان يتمتع بعقلية رياضية كبيرة ، راجع ص ٢٥ من هذا الكتاب .

(**) لعل د . أنيس – رحمه الله – كان يقصد بذلك المطالبة بأن تعتمد المعاجم كلمة (خنف) ضمن كلماتها الحديثة ،عملا بسنة التطور اللغوى ، وهو ما قام به بالفعل ، الأستاذ الدكتور / أحمد مختار عمر (عضو مجمع اللغة العربية) وآخرون ، حيث تضمن معجمهم الموسوم بـ (المعجم العربى الأساسى – لاروس) هذه الكلمة وأشار إلى معناها الذى ذكرناه هنا .

انظر : معجم لاروس ، مادة (خ.ن.ف) حرف « الخاء » ، نشره : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ط/١٩٨٨ ، ص ٤٢٦.

الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والأسبانية والروسية العبرية ، وأخيراً أشار إلى بعض آراء الحكيم فى مجمع اللغة العربية الذى انتخب عضوا عاملا به سنة ١٩٥٤ ، وقد رشح مجلس جامعة القاهرة شخصيتين أدبيتين كبيرتين لنيل كل منهما جائزة الدولة التقديرية ، فكتب إبراهيم أنيس عنهما تقرير مجلس جامعة القاهرة ، بشأن ترشيح كل من :

١ - الأستاذ / عباس محمود العقاد ، لجائزة الدولة التقديرية فى الآداب ، لعام ١٩٥٩ م .

٢ - الأستاذ / توفيق الحكيم ، لعام ١٩٦٠(*) .

(جـ) بحوث أخرى أعاد د . أنيس كتابتها :

ويضاف إلى ما سبق أن الدكتور إبراهيم أنيس قد أعاد كتابة بعض البحوث التى نشرها قبل ذلك فى كتبه ، بطريقة مطولة ، وفى ثوب وإطار جديدين ، وهى على الإجمالى ما يلى(٣٥) :

١ - موقف اللغة العربية من اللغات قديما .

٢ - العربية فى ذروة مجدها التاريخى .

٣ - نظرة اللغويين إلى الشعوبية .

٤ - العروبة ومراكزها التاريخية .

٥ - مراحل تاريخية للعروبة بعد الإسلام .

٦- العربية فى العصر الحديث .

٧ - الموسيقية فى تراثنا الأدبى .

٨ - مستقبل الكتابة أو الرسم .

(*) هذا التقرير كتبه د . أنيس نيابة عن مجلس الجامعة تمهيدا لإرساله فى ذاك الوقت للجهات المسئولة عن الجائزة ، وهى وزارة الثقافة ، وهو غير (المقال) الذى كتبه من قبل عن توفيق الحكيم .

- انظر : د . على سيد جعفر ، المرجع السابق ، المجلد الأول ، ص ٢١/ هامش (١) .

(٣٥) انظر للمزيد والتفصيل ، المرجع السابق ، ص ١٩ وما بعدها .

٩ – عناصر الموسيقى فى الشعر العربى .

١٠ – مطية الشعراء .

١١ – إنشاء الشعر .

١٢ – الموسيقى الداخلية فى أبيات القصيدة .

١٣ – الصلة بين موضوع الشعر ووزنه .

١٤ – من سمات الشعر .

١٥ – معنى السليقة اللغوية لدى المعاصرين من اللغويين .

١٦ – اقتراض اللغات بعضها من بعض .

١٧ – إلى أى مدى يرتبط اللفظ بمعناه .

١٨ – عملية التفاهم بين المتكلم والسامع .

١٩ – من مشكلات الترجمة .

وتتراوح صفحات تلك المقالات من أربع إلى ست وعشرين صفحة لكل منها ... ويبدو أنها كانت بمثابة مشروعات علمية لبعض كتبه ومؤلفاته ، مثل : « من أسرار اللغة » ، و« مستقبل اللغة العربية المشتركة » ، و« اللغة بين القومية والعالمية » ، و« موسيقى الشعر » ... إلخ ، وهو ما سنعرض له فى موضعه من هذا البحث ، إن شاء اللّه ، تحت عنوان (مع د . أنيس فى بعض قضايا اللغة) .

هذا ، وللدكتور إبراهيم أنيس – رحمه اللّه – عدة مقالات أخرى فى مجال الثقافة الإسلامية ، ألقاها فى بعض الكليات أو المعاهد العلمية المتخصصة ، سواء فى مصر أو فى العالم العربى ، وكذلك فى بعض مؤتمرات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والمؤتمرات الأخرى .

وسأكتفى بالإشارة إليها هنا . ومنها : « رأى حول تفسير القرآن الكريم »(*) ، والخليفة المأمون وحرية الفكر ، وكلمة عن أبى العلاء المعرى ، وأسماء بنت أبى بكر ، ونسيبة بنت كعب .

(*) فى النية إنجاز بحث مستقل عن (الفكر الإسلامى عند إبراهيم أنيس) إن شاء اللّه .

الفصل الثالث

الدكتور / إبراهيم أنيس (مجمعيًا)

أولا : الدكتور / إبراهيم أنيس خبيرا وعضوا في المجمع

- أعماله في مجلة (المجمع) .

(أ) بحوثه المنشورة .

(ب) موضوعات (تصدير) د . أنيس لمجلة المجمع .

- دراسات ومذكرات د . أنيس في مؤتمرات ودورات المجمع .

- حول بحث المرحوم الأستاذ / أحمد أمين (اقتراح ببعض الإصلاح في متن اللغة) .. وتعليق د . أنيس عليه .

- دعوة إلى قياسية بعض الصيغ .

ثانيا : مشاركات وأبحاث أخرى في قضايا لغوية بالمجمع

الفصل الثالث

الدكتور إبراهيم أنيس (مجمعيا)

• الدكتور إبراهيم أنيس خبيرًا وعضوًا فى المجمع :

حديثنا عن الدكتور إبراهيم أنيس مجمعيا ، يبدأ منذ اختياره خبيرا فيه(*) .. فقد عمل الدكتور إبراهيم أنيس خبيراً فى مجمع اللغة العربية منذ سنة ١٩٤٨م ، فى لجنتي اللهجات والأصول(١) ، ثم عين عضواً عاملا بالمجمع سنة ١٩٦١م(٢) ، وظل عضواً بهاتين اللجنتين(٣) .

كما أختير د . أنيس عضواً مشاركا بالمجمع العلمى العراقى ، فى الأول من ديسمبر سنة ١٩٦٩م ، وبعد أن أحيل إلى التقاعد سنة ١٩٦٢ م ، لبلوغه السن القانونية فى دار العلوم عين مستشاراً بمعهد البحوث الإحصائية لاستخدام (الكمبيوتر) فى البحوث اللغوية(٤) .

وقد مثل الدكتور إبراهيم أنيس – رحمه الله – مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى لجنة وزارة التربية والتعليم بمصر ، فى مجال تطوير مناهج اللغة العربية .

(*) حسب خطاب بذلك من الأستاذ / أحمد لطفى السيد ، الذى ترأس المجمع فى سنة ١٩٤٥ م ، خلفا للدكتور محمد توفيق رفعت .

(١) مجمع اللغة العربية : فى ثلاثين عاما ، د . مهدى علام ، مرجع سابق ، ص ٢

(٢) بموجب قرار رئيس الجمهورية رقم (٥٧) ، بتاريخ ١٩٦١/٧/١١ م ،

(٣) مجمع اللغة العربية فى خمسين عاما ، للدكتور شوقى ضيف ، ص ٣٢ ، وتجدر الإشارة إلى أنه لم يشر إلى أن د . أنيس عين عضوا عاملا بالمجمع فى هذا التاريخ ، بينما ذكر ذلك بوضوح الدكتور إبراهيم بيومى مدكور ، فى كتابه « مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما – ماضيه وحاضره – ج/١ ، ص ٢٦ ، فقد أشار أن د . إبراهيم أنيس رقمه (٣٤) ضمن الأعضاء الذين عينوا لملء كراس خالية . (انظر : ص ٢٢ ، المرجع السابق) .

(٤) إبراهيم أنيس لغوياً ، مرجع سابق ، ص ٧

كما أوصى المجمع الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) بتكوين لجنة مشتركة من أعضائه وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية لدراسة مشروع تدوين اللغات الإفريقية وتوحيد أبجديتها ، واختار مجلس المجمع لتمثيله في هذه اللجنة ، الدكتور إبراهيم أنيس[٥] .

ومن ثم فقد ساهم الدكتور إبراهيم أنيس – رحمه الله – مساهمة فعالة في أعمال لجنة الأصول ، ولجنة اللهجات منذ أن أختير خبيراً بهما بالمجمع ، وبعد أن أصبح عضواً به انضم إلى لجنة المعجم الكبير ، وله في أعمالها الكثير من المذكرات ، كما امتد نشاطه العلمي إلى المجلس والمؤتمر الذى ألقى فيه الكثير من البحوث اللغوية [٦].

وإلى جانب هذا ، أختير – رحمه الله – للإشراف على مجلة المجمع منذ العدد الثاني والعشرين ، الصادر في سنة ١٩٦٧م ، خلفا للأستاذ / زكى المهندس ، الذى طلب إعفاءه من الإشراف عليها آنذاك . كما كان – رحمه الله – واحداً من أربعة أشرفوا على إخراج معجمين من معاجم المجمع وهما :

١ – المعجم الوسيط(الطبعة الثانية) سنة ١٣٣٢ هـ – ١٩٧٢ م . وهؤلاء الأربعة هم :

(أ) د . إبراهيم أنيس .

(ب) د . عبد الحليم منتصر .

(جـ) الأستاذ / عطية الصوالحى .

(د) الأستاذ / محمد خلف الله أحمد .

٢ – المعجم الوجيز ، وكانت اللجنه المشكلة لذلك تضم كلا من :

(أ) د . إبراهيم أنيس .

(ب) الأستاذ / محمد خلف الله أحمد .

(جـ) الأستاذ / على الجندى ناصف .

(د) د . أحمد الحوفى ولكنه توفى – رحمه الله – .

---

(٥) انظر : مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، مرجع سابق ، ج/٢٠ ، ص ٣٥٤ – ٣٥٥ .

(٦) المجمعيون ، د . مهدى علام ، المرجع السابق ، ص ٥

قبل أن يظهر المعجم إلى النور ، حيث صدر بسنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

كذلك شارك الدكتور أنيس فى الدراسة لكتاب المجمع (الألفاظ والأساليب) فى طبعته الأولى بسنة ١٩٧٧م ، ضمن لجنة الألفاظ والأساليب ، التى ضمت كلا من :

(أ) د . إبراهيم أنيس .

(ب) د / أحمد بدوى .

(جـ) د / أحمد الحوفى .

(د) الشيخ / عبد الرحمن تاج .

(هـ) الأستاذ / عبد السلام هارون .

(و) الأستاذ / عطية الصوالحى

(ز) الأستاذ / على النجدى ناصف .

(ح) الأستاذ / محمد شوقى أمين .

(ط) الطبيب الأديب / د . محمد كامل حسين .

(ى) الأستاذ /الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

(ك) الأستاذ / مصطفى مرعى(٧) .

على أن الدكتور إبراهيم أنيس لم تشغله المناصب الإدارية سواء أثناء توليه عمادة دار العلوم ، أو إشرافه على مجلة مجمع اللغة العربية ، أو لما كان مستشارا بمعهد البحوث الإحصائية لاستخدام (الكمبيوتر) ، فظل يواصل نشاطه العلمى وإسهاماته اللغوية فى المجلات العربية المتخصصة ، وفى مقدمتها بالطبع مجلة « مجمع الخالدين » بالقاهرة ، حيث استأثرت بقدر وافر من هذا النشاط العلمى الكبير . وسبق هذا - من حيث المرحلة الزمنية - إسهاماته فى مجلتى (دار العلوم) والمجمع العلمى العراقى .

وبناء على ما تقدم ، فإننا نعرض ، فى هذا الصدد ، لجهود الدكتور إبراهيم أنيس (المجمعية) منطلقين من ثلاثة مصادر رئيسية هنا ، هى على الترتيب التالى :

(٧) انظر : تقديم كتاب المجمع : الألفاظ والأساليب ، ص ج / د .

أولا : أعماله فى مجلة (المجمع) وتشمل :

(أ) بحوثه المنشورة .

(ب) موضوعات (تصديره) للمجلة .

ثانيا : دراساته ومذكراته العلمية فى مؤتمرات ودورات المجمع وآراؤه المجاز فى (مجموعة القرارات العلمية) فى « أصول اللغة » .

ثالثا : مشاركات وأبحاث أخرى للدكتور أنيس ، فى بعض القضايا اللغوية بالمجمع ومؤتمراته ، وتفصيل ذلك على النحو التالى :

• أعمال د . أنيس فى مجلة (المجمع)

(أ) بحوثه المنشورة :

للدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - بحوث كثيرة نشرها بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، نذكر منها ما يلى :

١ - أبواب الثلاثى[٨] .

٢ - الارتجال فى ألفاظ اللغة[٩] .

٣ - رأى فى الإعراب بالحركات[١٠] .

٤ - صيغ الاسم الثلاثى المجرد[١١] .

٥ - وحى الأصوات فى اللغة[١٢] .

---

(٨) انظر : مجلة المجمع ، ج/٨ ، ص ١٧٢ - ١٨٠ و « الهامش » ، وهذا البحث ألقى ونوقش فى الجلسة السادسة لمؤتمر المجمع ، فى ٩ يناير ١٩٥٠ م ، ثم ووفق على إحالته إلى لجنة اللهجات لدرسه ، (الجلسة الخامسة عشرة للمؤتمر) ١٩٥٠/١/٢٩ م .

(٩) انظر نفس العدد (ج/٨) ص ٣٠٦ - ٣١٤ ، وهذا البحث ألقى فى الجلسة الخامسة لمؤتمر المجمع (٢ من يناير ١٩٥١ م) .

(١٠) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثامنة لمؤتمر المجمع ، فى دورته العشرين ، انظر : مجلة المجمع (ج/١٠) ص ٥٥ - ٥٦ .

(١١) انظر نفس العدد (ج/١٠) ص ٨٣ - ٩٠ ، وألقى هذا البحث فى مؤتمر المجمع ، الدورة العشرون ، الجلسة الخامسة .

(١٢) انظر : مجلة المجمع (ج/١٠) ص ١٢٧ - ١٣٧ .

٦ – تطوير البنية فى الكلمات العربية [١٣] .

٧ – تعدد الصيغ فى اللغة العربية [١٤] .

٨ – جهود علماء العرب فى الدراسة الصوتية [١٥] .

٩ – حروف تشبه الحركات[١٦] .

١٠ – فى القياس اللغوى – صيغة فعيل[١٧] .

١١ – دراسة فى بعض صيغ اللغة[١٨] .

١٢ – هل اللغة العربية لغة بدوية[١٩] ؟!!

١٣ – بين القافية فى الشعر العربى والقافية فى الشعر الإنجليزى[٢٠] .

١٤ – أبيب[٢١] .

(ب) موضوعات (تصدير) د . أنيس لمجلة المجمع:

بعد أن تولى الدكتور إبراهيم أنيس الإشراف على مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (رئيس تحرير) خلفا للأستاذ / زكى المهندس ، منذ العدد الثانى والعشرين ، وحتى العدد السادس والثلاثين منها ، كتب أكثر من (تصدير) .

(١٣) انظر : مجلة المجمع (ج/١١) ص ١٦٥ – ١٧٣ .

(١٤) انظر : مجلة المجمع (ج/١٣) ص ١٥٩ – ١٦٥ .

(١٥) انظر : مجلة الجمع (ج/١٥) ص ٤١ – ٤٩ .

(١٦) انظر : مجلة المجمع (ج/١٥) ص ١٣ – ١٨ .

(١٧) انظر : مجلة المجمع (ج/١٦) ص ٨١ – ٨٨ .

(١٨) انظر : مجلة (المجمع) ، (ج/٢٢) ، ص ٨٧ – ١٠٤ .. وهذا البحث قدم إلى مؤتمر المجمع فى دورته غير العادية ، ببغداد ، فى نوفمبر سنة ١٩٦٥ م ، وأحيل إلى لجنة الأصول بالمجمع لدراسته آنذاك .

(١٩) انظر : مجلة المجمع ، (ج/٢٤) ص ١٧٢ – ١٨٠ ، ومجموعة البحوث والمحاضرات ، مطبوعات المجمع العلمى العراقى ، مؤتمر الدورة (٣٢) – بغداد – ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م (١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م) ، الجلسة الرابعة « خاصة» وتضمنت ثلاثة بحوث ، كان فى مقدمتها بحث د . إبراهيم أنيس « دراسة فى بعض صيغ اللغة » ص ١٩٣ – ٢١٢. وانظر : التعقيبات على البحث ، بذات العدد ، ص ٢١٣ – ٢١٩ ، وقد أحاله د .إبراهيم مدكور إلى لجنة الأصول للاستكمال ، فوافقت « اللجنة » .

(٢٠) انظر : مجلة المجمع ، (ج/٢٥) ، ص ٥٧ – ٧٣ .

(٢١) انظر : مجلة المجمع ، (ج/٢٦) ، ص ٧ – ٢٩ .

وفى الحقيقة فإن هذا (التصدير) لم يكن تصديراً أو مجرد افتتاحية عادية للمجلة ، وإنما كان بمثابة تفجير لقضية أو إثارة البحث نحو موضوع من تلك الموضوعات المتعلقة باللغة وعلومها بوجه عام ، فلم يكن د . أنيس – رحمه الله – يكتفي ببحث واحد له فى هذه المجلة « ليس رغبة منه فى النشر لذات النشر ، وإنما حرصاً منه على إثارة التفكير والنقاش بين العلماء والمتخصصين ، اتفاقًا معه أو اختلافًا ، حول تلك القضايا والموضوعات اللغوية التى كانت تشغله ويعنى بها ، فيطرحها على الجميع من خلال هذا (التصدير) .

ومن تلك الموضوعات تصدير د . أنيس للجزء الثالث والعشرين من مجلة المجمع ، وفيه : « معجم ألفاظ الأدب الجاهلى » – ص (أ – د)(*) ، وتصديره للجزء الرابع والعشرين للمجلة وفيه « المصطلح العلمى » (٧ – ١٠) ، وأيضًا تصديره للجزء الخامس والعشرين وفيه « فى الترتيب المعجمى » (ص ٨ – ١٠) ، وتصديره للجزء السادس والعشرين للمجلة ، وفيه شرح مسهب لكلمة (أبيب) التى يرى د . أنيس أن لها شاهداً قرآنيا **فى قوله تعالى : « وفاكهة وأبًا »** وكذلك تصديره للجزء السابع والعشرين للمجلة ، وفيه تأصيل لكلمة « حنيفًا مسلمًا » (ص ٧ – ١٠) وتصديره للجزء الثامن والعشرين للمجلة وفيه حديث عن أهمية و « دور الكمبيوتر » فى البحث اللغوى » (ص ٧ – ١٠) ، وتصديره للجزء التاسع والعشرين للمجلة ، وفيه حديث عما يسميه د .أنيس بـ « مسطرة اللغوى » (ص ٧ – ١٢) ، وكذلك تصديره للجزء الثلاثين للمجلة وفيه « عود إلى الإحصاءات اللغوية » (ص ٧ – ١٣) وتصديره للجزء الحادى والثلاثين للمجلة ، وفيه شرح لمعنى « ملك » ملاك ، ملائك ، وملائكة » ، (ص ٧ – ١٤)، وتصديره للجزء الثانى والثلاثين للمجلة ، وفيه يفرق بين كلمتى « ألكنى إليها بالسلام » و « ألكنى إليها السلام » أى ألقى إليها بالسلام ، (ص ٧ –١٢) وكذلك تصديره للجزء الثالث والثلاثين من المجلة ، وفيه بيان أصل كلمة « دفرسوار » ، حيث يرى أنها « فرنسية » الأصل وحرفت بالعامية المصرية ، (ص ٧ – ١٢) ، أيضا تصدير د . أنيس للجزء الرابع والثلاثين للمجلة ، وفيه يحاول

(*) كذلك للدكتور إبراهيم أنيس عدة (تصديرات) أخرى لبعض الكتب ، منها : تصديره لكتاب (ديوان الأدب) أول معجم عربى مرتب بحسب الأبنية ، لأبى إبراهيم اسحاق الفارابى ت عام ٣٥٠ هـ تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر ، ط / القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ويقع فى أربعة أجزاء . وتصديره لكتاب « دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر ، للدكتور / على حلمى موسى ، ط ، القاهرة ، ١٩٧٩ م ، (ص ٤ – ٥) ، وتصدير لكتاب (الويس) ترجمة الدكتور تمام حسان .

الإجابة عن « ما السر فى هذه الجموع » ؟ (ص ٧ - ١٤) ، وكذلك تصديره للجزء الخامس والثلاثين للمجلة ، وفيه حديث مستفيض عن « صيغة الجمع » (ص ٧ - ١٥) ، ثم أخيرا تصديره للجزء السادس والثلاثين للمجلة وفيه تفسير لكلمة « عبرى » (ص ٧ -١٢) .

دراسات ومذكرات د . أنيس العلمية فى مؤتمرات ودورات المجمع .

بيد أن جهود الدكتور إبراهيم أنيس البحثية وأعماله اللغوية لم تقف عند هذا الحد ، وإنما تعدت ذلك إلى دورات مؤتمرات المجمع وجلساته أيضا ، منذ أختير عضواً عاملا فيه سنة ١٩٦١ م ، كما أشرنا من قبل ، وحتى وافته المنية فى يونيه ١٩٧٦ م ، وكان ذلك بدءاً من الدورة (١٦) للمؤتمر [٢٢] ، والدورة (١٧) له [٢٣] ، والدورة (٢٠) للمؤتمر[٢٤] ، وفيها بحثان[٢٥]

أيضا للدكتور أنيس بحث بعنوان (على هدى الفواصل القرآنية)[٢٦] ، وأصوات اللغة عند ابن سينا[٢٧] ، ودراسة فى صيغة فعيل : كشريب وسكير[٢٨] ، وتوهم أصالة الحروف ، وتوهم زيادتها[٢٩] . ثم فى موضوع « النحت »[٣٠] ، و « حول الرأى فى قولهم « سافر محمد على حسن »[٣١] ، وقدم فيها د . أنيس مذكرة يوافق عليها على تسكين بعض الأعلام ، كما فى قول : (سافر محمد على حسن) ، وكذلك

---

(٢٢) انظر : محاضرات الجلسات ، ص ٤٢٦ ، بحثه (أبواب الثلاثى) ، سبقت الإشارة إليه ، ص ٨٠ من هذا البحث .

(٢٣) انظر : محاضرات الجلسات ، ص ٣٦٠ ، بحثه (الارتجال فى ألفاظ اللغة) .

(٢٤) انظر : محاضرات الجلسات ، ص ٤١٦ ، بحثه (صيغ الاسم الثلاثى المجرد) ، سبقت الإشارة إليه فى « أولا » ص ٨٠ من البحث .

(٢٥) البحث الأول سبقت الإشارة إليه .. انظر (ص ٨٠) من هذا البحث وفى نفس الدورة بحثه بعنوان « رأى فى الإعراب بالحركات » ،

انظر : محاضرات الجلسات ، ص ٤٨٩ وانظر أيضا : التراث المجمعى فى خمسين عاما للأستاذ /إبراهيم الترزى ، أمين عام المجمع ، ص ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣ .

(٢٦) المرجع السابق ، ص ٣٨ ، وانظر : الدورة (٢٨) للمؤتمر ، البحوث والمحاضرات ، ص ١٠٧

(٢٧) انظر : البحوث والمحاضرات للمؤتمرات ، الدورة (٢٩) ١٩٦٢ - ١٩٦٣ ، ص ١٧٥-١٨٧.

(٢٨) انظر : البحوث والمحاضرات ، المرجع السابق ، الدورة (٣٠) ١٩٦٣ - ١٩٦٤ ، ص ٢٧٥ - ٢٨٢ والتعقيبات عليه فى ص ٢٨٣ - ٢٨٦ .

(٢٩) انظر : البحوث والمحاضرات ، مؤتمر الدورة (٣١) ١٩٦٤ - ١٩٦٥ ، ص ١٩٥ - ١٩٧ ، وهو تعقيب على بحث الشيخ عبد القادر المغربى بعنوان « بين اللغة والنحو » ج/١١ ، دورة ١٤ لمؤتمر المجمع .

(٣٠) نفس المرجع ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣

(٣١) الدورة (٣١) للمؤتمر ، البحوث والمحاضرات ، ص ٢١٧ ، وانظر : التراث المجمعى ، المرجع السابق ، ص ٦٣ .

بحث د . أنيس : الاشتقاق من أسماء الأعيان[٣٢] ، واسم الآلة والأداة[٣٣] ، ومذكرته حول بحث الأستاذ / أحمد أمين بعنوان : « اقتراح بعض الإصلاح فى متن اللغة[٣٤] . وبحثه حول معنى القول المأثور « لغة الضاد »[٣٥].

وأيضا تأصيل د . أنيس لكلمة « السماء »[٣٦] ، ثم بحثه عن « الإحصاء اللغوى »[٣٧] .

• آراء مجازة للدكتور أنيس فى (مجموعة القرارات العلمية) فى "أصول اللغة" (*) .

لقد شارك الدكتور إبراهيم أنيس – رحمه الله – فى « مجموعة القرارات العلمية » فى خمسين عاما ، والتى أصدرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، بدءاً من الدورة التاسعة والعشرين وحتى الدورة الرابعة والثلاثين ، فى أقيسة اللغة وأوضاعها العامة ، وفى الألفاظ والأساليب ، معلقا عليها تارة ومقدما فى شأنها بعض البحوث والمذكرات .

ومن ذلك ما يلى :

١- إضافة ثلاث صيغ لاسم الآلة[٣٨] والأداة[٣٩] .

وفيه قدم د . أنيس مذكرة علمية فى هذا الموضوع ، عقب فيها عى بحث الأستاذ / محمد بهجة الأثرى الذى ألقاه فى مؤتمر المجمع سنة ١٩٦٢ ، وخلص

(٣٢) الدورة (٢٩) ج/٨ ، أعمال المؤتمر – البحوث والمحاضرات ، ص ٢٣٧ .

(٣٣) الدورة (٢٩) ج/٨ ، المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

(٣٤) الدورة (٣٠) ج/٨ ، المرجع السابق ، ص ٣٢١ .

(٣٥) الدورة (٣٣) ، البحوث والمحاضرات ، سنة ٦٦/١٩٦٧ ، ص ١١٦ – ١٢٥ ، والتعقيبات على البحث ، ص ٢٦ – ١٢٩ .

(٣٦) البحوث والمحاضرات ، الدورة (٣٦) ٦٩/١٩٧٠، ص ٢٨٩ – ٩٦ .

(٣٧) مؤتمر الدورة (٤١) ، وألقى هذا البحث فى الجلسة الخامسة لمؤتمر المجمع ، ١٩٧٥/٣/١ م ، (ص ٢٦٥ – ٧١) ، والتعقيبات ، ص ٢٧٢ – ٢٧٥) .

(*) انظر : كتاب (فى أصول اللغة) طبعة المجمع ، إخراج وضبط وتعليق الأستاذين / محمد خلف الله أحمد ، ومحمد شوقى أمين ، ط / ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩ م .

(٣٨) فى أصول اللغة ، المرجع السابق ، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩ م ، ص ٣١ – ٣٣ ، ص ٣٤ .

(٣٩) انظر : الدكتور محمود فهمى حجازى ، عضو المجمع ، بحثه بعنوان : « التفكير اللغوى عند د . إبراهيم أنيس ، بحث موجز (غير منشور) ألقاه د . حجازى فى ندوة المجمع الثقافية ، بتاريخ ١٩٩٩/١٢/٤م بمناسبة الاحتفال بالراحل د . إبراهيم أنيس ، ورأسها د . شوقى ضيف (رئيس المجمع) وأدارها الدكتور كمال بشر ، الأستاذ / بدار العلوم ، وعضو المجمع .

فى تعقيبه هذا إلى الرأى الذى أخذت به لجنة « الأصول » من إضافة « سبع صيغ قياسية فى اسم الآلة[٤٠] .

٢ - صيغة " فِعِّل " بكسر الفاء وتشديد العين لافادة المبالغة .

وتجدر الإشارة إلى أن د . إبراهيم أنيس - رحمه الله - ألقى بحثا بعنوان (دراسة فى صيغة فعيل) (كشريب وسكير) ، وعقب عليه الأعضاء ، وانتهى التعقيب بقرار إحالة الموضوع إلى « لجنة الأصول » ، وهو منشور بمجموعة بحوث تلك الدورة [٤١] ،

٣ - توهم أصالة الحروف وتوهم زيادتها[٤٢] ، وفيه اعتبر أن « توهم الأصالة ، أو توهم الزيادة ليس إلا ناحية من « الظاهرة اللغوية » ، التى تحدث عنها بإسهاب « هرمان بول » وسماها القياس الخاطئ falseamalgy ، واعتبرها - من ثم - مسئولة عن معظم التغيرات التى تطرأ على « اللغة »[٤٣] .

وقد أخذت « اللجنة » برأى د . أنيس فى هذا الصدد ، وقررت أنه فى ضوء ما أثر عن اللغويين أن توهم أصالة الحرف الزائد ، أو المتحول لم يبلغ بعد درجة القاعدة العامة[٤٤] .

٤ - فى موضوع النحت[٤٥] ، وفيه يرى أن المقياس الصحيح للكلمة المنحوتة هو وجود ما نحتت منه ، واستعماله جنبا إلى جنب ، مع الكلمة المنحوتة فى بعض الظروف ، مثل : (بسمل ، سمعل ، حوقل ، حيعل) ونحوها [٤٦] .

---

(٤٠) انظر كذلك : مجموعة القرارات العلمية للمجمع فى ٥٠ عاما ، ص ٤٦ - ٤٨ و « الهوامش » .

(٤١) عقب على هذا البحث الأستاذ / حامد عبد القادر فى مذكرة له بهذا الخصوص ، ونوقشت الأمثلة التى أوردها د . إبراهيم أنيس فى بحثه ، مثالا مثالا ، ورأت اللجنة أن يستبعد منها لفظ « عنين » لأنه ليس بصيغة مبالغة .

انظر : المرجع السابق ، ص ٤٣ (الهامش) ، وصدر قرار الإجازة فى الجلسة السادسة للمؤتمر ، د/٣٣ ، سنة ١٩٦٧م .

(٤٢) انظر : مجموعة القرارات العلمية فى ٥٠ عاما ، مرجع سابق ، ص ٢٤ - ٢٥ و (الهوامش) .

(٤٣) المرجع السابق ، ج/١ ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٤٤) المرجع السابق ، ص ٤٤ ، ورقم (٧) .

(٤٥) القرارات العلمية ، للمجمع ، ص ٢٤ - ٢٥ والهوامش .

(٤٦) المرجع السابق / ج ، / ص ٥٠ -٥١ .

وقد رأت اللجنة « القول بجواز النحت في العلوم والفنون للحاجة الملحة إلى التعبير عن معانيها بألفاظ عربية موجزة ، وعرض التقرير على المؤتمر في الجلسة الحادية عشرة من الدورة (١٤) ، وقرر « جواز النحت عندما تلجيء إليه الضرورة العلمية »[٤٧] .

٥ - **الاشتقاق من أسماء الأعيان**[٤٨] ، وفيه يذهب د . أنيس إلى أن الكلمات العربية الجامدة المعبرة عن الأعيان تكفلت بها المعاجم اللغوية ، ومع هذا يمكن - بافتراض أن بعضها لم يشتق منه - أن نصوغ ما نحتاج إليه من أفعال ، أو أوصاف ، أو مصادر وغير ذلك ، على أساس المادة المروية في الاسم العربي على نسق الصيغ القياسية ، المروية في كتب اللغة ، ومعها تلك الصيغ التي جعلها المجمع قياسية مثل (استفعل ، فعل ، فعال) وغيرها وقد قرر المجمع إجازة الاشتقاق من أسماء الأعيان ، وكان ذلك مقيدا ، ولكن اللجنة رأت إصدار قرارها برفع القيد[٤٩] .

(٦) في القياس[٥٠] .

(٧) في الألفاظ الحوشية[٥١] .

(٨) في المترادف[٥٢] .

---

(٤٧) نفس المرجع ، ص ٤٩ « الهامش » ، ومجموعة القرارات العلمية في ٥٠ عاما - ١٩٣٤ -١٩٨٤ م .

(٤٨) مذكرة د . إبراهيم أنيس ، المرجع السابق ، ص ٦٦ ، (ج /١)

(٤٩) نفس المرجع ، ص ٦٧ - ٦٨ ، وانظر كذلك مجموعة القرارات العلمية ، مرجع سابق ، ص ١٩ - ٢٠ و (الهوامش)

(٥٠) انظر تقرير د . إبراهيم أنيس حول هذا البحث ،منشور مع « ملحقات قرار » في التذكير والتأنيث ، المرجع السابق ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، ومجموعة القرارات العلمية ، للمجمع ، السابق ، ص ٨ و (الهامش)

(٥١) انظر . تقرير د . أنيس حول بحث الأستاذ / أحمد أمين ، منشور في نفس الكتاب السابق ، (ج/١) مع الملحظات السابقة ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، وأيضا : مجموعة القرارات العلمية ، المرجع السابق ، ص ٣٤ . (والهامش) .

(٥٢) انظر : « التقرير السابق » نفسه ، الدكتور أنيس ، وكذلك مجموعة القرارات العلمية ، السابق ، ص ٣٢ ، والهامش .

(٩) فى المتضاد والمشترك(*) .

حول بحث المرحوم الأستاذ أحمد أمين (اقتراح ببعض الإصلاح فى متن اللغة).

يقول الدكتور إبراهيم أنيس – رحمه الله – ما نصه : « إذا تجاوزنا عما مهد به الباحث لكلمته وما اختتم به هذه الكلمة من مبررات لتلك الدعوة إلى إصلاح متن اللغة لأن بعض ماجاء فى التمهيد والختام مما قد تختلف حوله وجهات النظر بين الدارسين ، وجدنا أن البحث يعرض لنقاط معينة يمكن أن تلخص فى المسائل الآتية :

١- دعوة إلى التخفف من كثير من مفردات اللغة التى فى المعاجم مثل :

(أ) الكلمات الحوشية التى يمجها الذوق ، وقد وافقه فى هذا المرحومان الأستاذان الشيخ الخضر حسين والشيخ إبراهيم حمروش فى تعقيبهما على البحث ولكنهما رأيا الاقتصار فى هذا على ما لم يرد فى النصوص العربية الصحيحة ، لأن دارس هذه النصوص يحتاج إلى بعض هذا الحوشى للوقوف على معانى هذه النصوص ، التى هى جزء من تراثنا الأدبى العربى الذى نحرص عليه .

(ب) استبعاد كثير من المترادفات التى لا حاجة إليها ، ويبدو من البحث أن صاحبه قد تأثر كثيراً بما رواه بعض القدماء من الذين أسرفوا فى قضية الترادف وبالغوا فى تعداد ألفاظه فى اللغة العربية ، وللأستاذ الجارم بحث فى الترادف نشر فى مجلة المجمع قبل بحث الأستاذ أحمد أمين . ويرى المطلع على بحث الجارم أن الأمر أهون مماتصوره أستاذنا أحمد أمين ، وقد برهنت دراستنا للترادف فى اللغة العربية إنه إذا طبقت الشروط التى يراها المحدثون لتحقق الترادف فسنرى أن ما تشتمل عليه لغتنا عدد مقبول لايعد أشكالا فى اللغة ، وكذلك الشأن فى ألفاظ التضاد فقد بحثها الدكتورمنصور فهمى فى أحد أعداد مجلة المجمع وانتهى من بحثه إلى أن عدد الكلمات التى تعد من التضاد بحق لا تكاد تجاوز عشرين كلمة(**) .

(*) انظر : تقرير الدكتور إبراهيم أنيس حول هذا البحث وهو منشور فى نفس الكتاب ، مع ملحقات « فى التذكيروالتأنيث » ص ١٠٨– ١٠٩ ، وانظر كذلك ، مجموعة القرارات العلمية فى ٥٠ عاما للمجمع ، ص ٣٢ و (الهامش) .

(**) انظر : فى أصول اللغة ، طبعة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، الجزء الأول ص ١٠٨

أما المشترك اللفظى فمعظم كلماته من المجازات المنسية كما رأى ابن درستويه ، على أنه إذا طبقت شروط المحدثين على كلمات المشترك اللفظى اتضح أن عددها محدود فلا تعد عيبا فى اللغة العربية ، وفى رأيى أن تحديد دلالات الألفاظ كما يريدها صاحب البحث لا يتم ولا يتحقق إلا بوضع معجم لألفاظ اللغة المستمدة من النصوص التى انحدرت إلينا . ويخيل إلى أنه بعد وضع هذا المعجم سنرى أن اللغة العربية ليست بدعا بين اللغات الأخرى فيما يتعلق بالترادف والتضاد والمشترك اللفظى .

٢ - دعوة إلى قياسية بعض الصيغ مثل :

أفعل ، فعل ، فاعل ، انفعل ، افتعل ، استفعل ، وقد قرر المجمع قياسية أفعل وفعل كما قرر قياسية فعالة للحرفة ، كما قرر قياسية فعلان للمصدر الدال على التقلب والاضطراب كما قرر قياسية فعال لصاحب الحرفة .

أما استفعل فكما قال الأستاذ الخضر حسين كان السيرافى يرى قياسيتها للطلب ، كذلك لم يمانع الأستاذ الخضر حسين فى قياسية « فاعل » لمعنى المشاركة .

والمجمع على كل حال يميل فى قراراته إلى الأخذ بمبدأ القياس فى كثير من مسائل اللغة .

٣ - مسألة علامة التأنيث ودخولها على المذكر أحيانا وخلو المؤنث منها أحيانا .

أما تاء المبالغة فى مثل علامة ونسابة فكلماتها نادرة فى اللغة ويحسن الاقتصار على ما ورد منها ، كذلك يحسن الابقاء على الأوصاف الخاصة بالنساء من نحو كاعب وناهد وطالق فلكلماتها قليلة ولا تعد أشكالا فى اللغة ، أما الكلمات الأخرى الخالية من العلامة وتحتمل التذكير والتأنيث فقد قرر الأستاذ الخضر حسين أنها فى حدود ١٦٠ كلمة منها نحو أربعين فقط واجبة التأنيث ، ويمكن مع هذا أن يقرر المجمع إذا أراد جعلها جائزة التذكير والتأنيث تيسيرا على المتعلمين .

٤ - قضية الاستشهاد بأقوال المولدين ممن وثقوا وصحت لغتهم . وللمجمع فى هذا الشأن قرار سابق استأنس فيه برأى الزمخشرى والرضى والخفاجى وعمل على حسبه فعلا فى « المعجم الوسيط » الذى أصدره .

٥ – أبواب الفعل الثلاثى واضطرابها : الباحث على حق فى هذا ، وقد عرض على مجلس المجمع بحث فى هذا الشأن ولا يزال هذا البحث بين يدى لجنة الأصول ، كذلك الشأن فى جموع التكسير .

لهذا كله أرى أهم ما يستحق عناية المجمع فى بحث الأستاذ أحمد أمين يتخلص فى(*) :

(أ) تخليص اللغة من الألفاظ الحوشية ، التى لم ترد فى النصوص العربية ، ولا سبيل إلى هذا إلا بوضع معجم تستمد ألفاظه من النصوص التى انحدرت إلينا ، يبدو أن هذا العمل يتطلب زمنا طويلا وجهودا كثيرة ولكن آن الأوان لينظر المجمع فى هذا نظرة جدية .

(ب) وضع قواعد تيسر أبواب الفعل الثلاثى بحيث تصبح قياسية مطردة كالفعل المزيد .

(جـ) وضع ضوابط قياسية للمشهور من صحيح جموع التكسير .

(د) جواز التذكير والتأنيث فى الكلمات الخالية من علامةالتأنيث .

١٠ – فى تصغير " حيوان "(٥٣) : وقد ورد هذا فى خلاصة المناقشات ، وما انتهت إليه لجنة الأصول فى عدة جلسات سنة ١٩٦١ م ، ضمن مذكرة قدمها د . محمد شوقى أمين « رئيس تحرير اللجنة » – رحمه الله – وقد تضمنت « المذكرة » آراء لكل من الأستاذ الشيخ / محمد على النجار ، ود . إبراهيم أنيس ، والأستاذ / إبراهيم مصطفى .

رأى اللجنة(٥٤) :

وقد مال د . أنيس ، فيها ، إلى رأى (الرضى) فى تفضيل التفرقة باعتبار الاسم والصفة ، لا باعتبار الجمع وعدمه ... (ج/١ ، ص ٢٢٩ / الرضى) .

(*) نقلا عن (فى أصول اللغة) الجزء الأول ، المرجع السابق ، ص ١٠٩

(٥٣) المرجع السابق ، (ج/١) ، ص ١٥٨ وما بعدها نفس المرجع ، ص ١٦٠ .

(٥٤) انظر كذلك ، القرارات العلمية ، للمجمع ، مرجع سابق ص ١٠٨ و (الهوامش).

وانتهت اللجنة فى جلسة ١٩٦١/٤/٢٧م ، إلى الموافقة على أن تصغير (حيوان) هو إما حويان ، وإما حييان ، وفقا لما هدى إليه البحث فى الأصول .

• مشاركات وأبحاث أخرى فى قضايا لغوية بالمجمع :

كما شارك الدكتور إبراهيم أنيس بآراء وأبحاث أخرى فى القضايا التى كانت تثار فى بحوث الدورات المختلفة (المجلس والمؤتمر) ، لمجمع اللغة العربية ومن ذلك ما يلى :

١ - تعقيبه على بحث للأستاذ / العقاد ، بعنوان : الزمن فى اللغة العربية[٥٥].

٢ - تعليقه على كلمة (خلدون)[٥٦] .

٣ - تعليقه على التسكين فى جمع المؤنث ، مثل « ميم تمرات »[٥٧].

٤ - رأيه فى كتابة الأعلام الأجنبية[٥٨] .

٥ - وكذلك بحثه : معنى القول المأثور « لغة الضاد»[٥٩] .

٦ - بحثه : على هدى الفواصل القرآنية[٦٠] .

٧ - رأيه فى قولهم » : « سافر محمد على حسن »[٦١] .

---

(٥٥) الدورة (٢٤) لمؤتمر المجمع ، سنة ١٩٥٧ /١٩٨٥ م ، ص ٤٢ - ٤٤ .

(٥٦) الدورة (٣١) لمؤتمر المجمع ، سنة ١٩٦٥/٦٤ م ، ص ٨٧ - ٨٨ .

(٥٧) الدورة (٣١) لمؤتمر المجمع ، سنة ١٩٦٥/٦٤ م ، ص ١٩٦٣ - ١٦٤ .

(٥٨) الدورة (٣١) لمؤتمر المجمع ، سنة ١٩٦٥/٦٤ م ، ص ١٦٣ - ١٩٩

(٥٩) وقد ذكرت تعليقاته فى مؤتمر المجمع ، الدورة (٣٣) سنة ١٩٦٧/٦٦ ، ص ١٥٦ - ١٦٠

(٦٠) تعليقاته ذكرت فى مؤتمر المجمع ، سنة ١٩٦٢/٦١ م ، الدورة (٢٨) ، ص ١١٣ - ١١٧.

(٦١) مذكرة الدكتورإبراهيم أنيس ، يقترح فيها إجازة التسكين للأعلام المركبة ، مع إسقاط كلمة (ابن) للتخفيف ، فى مثل « سافر محمد على حسن » وهو بحث للأستاذ / أحمد حسن الزيات - عضو المجمع - وكذلك قدم الشيخ عبد الرحمن تاج ، وعلى عبد الرازق والشيخ محمد على النجار والأستاذ / أمين الخولى (أعضاء المجمع) رحمهم الله ، ولكن « اللجنة » فى المجمع إنتهت إلى قرار لم يوافق عليه كل من الشيخ عبد الرحمن تاج وعلى عبد الرازق والشيخ محمد على النجار ، انظر : مجموعة القرارات العلمية فى ٥٠ عاما ، المرجع السابق ، ص ٣٥ و (الهامش) .

خلاصة :

وخلاصة القول إنه يبلغ إجمالى ما نشر للدكتور إبراهيم أنيس بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة وحدها : واحداً وأربعين بحثا ، تراوحت بين : الصرف ، وقضايا اللغة العامة ، والألفاظ ، والأصوات ، والأساليب ، والموسيقى ، والمعاجم ، والمصطلح ، والنحو[٦٢] .

وبالنسبة للصرف : ثلاثة عشر بحثا (١٣) دارت حول أبواب الثلاثى ، وصيغ الاسم الثلاثى المجرد ، وتطور البنية العربية ، وتعدد الصيغ فى اللغة العربية والاشتقاق من أسماء الأعيان ، واسم الآلة والأداة ، وصيغة فعيل ، وتوهم أصالة الحروف ، وتوهم زيادتها ، والنحت ، ودراسة بعض صيغ اللغة ، وصيغة الجمع ، والسر فى جموع معينة وأبواب الثلاثى فى اللهجات[*] .

وبالنسبة لقضايا اللغة تسعة أبحاث (٩) فى القياس اللغوى ، وهل اللغة بدوية ، ودور الكمبيوتر فى البحث اللغوى ، ومسطرة اللغوى ، والإحصاء اللغوى ، والارتجال فى ألفاظ اللغة ، واقتراح بعض الإصلاح فى متن اللغة .

وبالنسبة للألفاظ : ستة أبحاث (٦) فى مفردات مثل : دفرسوار ، وعبرى ، و« السماء » و « أبيب » وملك ، وملاك وملائكة .

وبالنسبة للأساليب : بحثان (٢) فى : الرأى فى قولهم : سافر محمد على حسن « بالتسكين » وحنيفا مسلما .

وبالنسبة للموسيقى : بحثان (٢) أحدهما تحت عنوان . بين القافية فى الشعر العربى والقافية فى الشعر الإنجليزى ، والآخر : على هدى الفواصل القرآنية .

---

(٦٢) إبراهيم أنيس ودراسة اللهجات ، بحث غير منشور ، للدكتور إبراهيم الدسوقى ، مرجع سابق ذكره ، ص ٢

(*) راجع ما سبق ، فى هذا البحث ، تحت عنوان : أعمال د . أنيس فى مجلة (المجمع) ص ٦٦ ، ٦٨

وبالنسبة للمعاجم : بحثان (٢) أحدهما : معاجم لألفاظ الأدب الجاهلى ، والآخر : فى التراث المجمعى وبالنسبة للمصطلح : بحث واحد : وهو عن المصطلح العلمى .

وبالنسبة للنحو : بحث واحد وهو : رأى فى الإعراب بالحركات .

* * * *

من كل هذا وغيره يتضح لنا أن كل تلك البحوث التى ألقاها الدكتور إبراهيم أنيس على مسامع أعضاء وخبراء مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والتى نشر معظمها فى كتب أراد بها الدكتور إبراهيم أنيس – رحمه الله – عرض أفكاره اللغوية على المتخصصين فى لغة الضاد ، رجاء التعرف على مدى أصالتها وجدتها فى آن واحد .

فالمعدن الجيد لا يعرف تفوقه وامتيازه إلا بعرضه على النار القوية ، وقد لقى بعض هذه الآراء والجهود العلمية اللغوية للدكتور أنيس التأييد ، ولقى بعضها الآخر التعليق والتعقيب عليه .

وخلاصة القول : إن الدكتور إبراهيم أنيس – رحمه الله – قد أعطى المجمع ما وسعه الجهد ، من بحث ودرس فى لجانه المختلفة ، من لهجات وأصول ، ولجان علمية وألفاظ وأساليب ، ولجان المعجمات اللغوية المتعددة من الكبير إلى الوسيط ، ثم إلى الوجيز ، كما أعطى – رحمه الله – بسخاء كبير ما وسعه العطاء لمجلة المجمع الكثير والعديد من بحوثه ودراساته اللغوية منذ أن كان خبيرا به وحتى عين عضوا عاملا به فى عام ١٩٦١ م ، إلى أن وافته المنية فى عام ١٩٧٦ م .

وسيظل علم الدكتور أنيس – رحمه الله – علمًا ينتفع به ، لا ينقطع الخير من ورائه إلى يوم الدين إن شاء الله ، **كما قال رسول الله (ﷺ) : إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث .. « وعلم ينتفع به » !!**

الفصل الرابع

الدكتور / إبراهيم أنيس فى مرآة المجمعيين

- **تمهيد :**
- أولا : الدكتور / كمال بشر .. وريادة د . أنيس .
- ثانيا : الدكتور / أحمد مختار عمر .. (أولى الناس بإبراهيم)!!
- ثالثا : الدكتور / محمود فهمى حجازى .. إبراهيم أنيس .. بداية مرحلة مهمة .
- رابعا : الدكتور / محمد حماسة عبد اللطيف .. د أنيس والدرس النحوى .
- خامسا : الدكتور/ محمد حسن عبد العزيز .. د أنيس المدرسة الوسط بين اللغويين .

الفصل الرابع

الدكتور إبراهيم أنيس فى مرآة المجمعيين

تمهيد :

بعد أن عشنا مع الدكتور إبراهيم أنيس عبر تلك الصفحات ، وطوفنا بسيرته العطرة ووقفنا على ملامح شخصيته ، ثم تحدثنا عنه (كدرعمى) و (كمجمعى) ، ووقفنا معه فى أهم القضايا اللغوية التى عرض لها واهتم بها ، فى لجان ومؤتمرات ودورات مجمع اللغة العربية ، وكانت له فيها آراء ومواقف أيده فيها البعض ، وخالفه فيها البعض الآخر .

بعد كل هذا ، رأينا - استكمالا للرؤية العلمية والموضوعية - أن نقف على شخصية الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - فى نظر ثلة من هؤلاء (المجمعين) الكرام الذين عاصروا الرجل وخالطوه ، وتعايشوا معه ربما لسنوات طوال ، فأحبوه وأحبهم ، وأخلصوا له ، وأخلص لهم النصح ، فورثهم من علمه - وربما بعض سجاياه الحميدة إذ التلميذ - دائما - ما يتأثر بأستاذه ، حتى لو خالفه فى منهجه وعاداته !! وأول أولئك المجمعين الذين أبدأ ، هو الأستاذ الدكتور كمال بشر ، أطال الله فى عمره ، وأنسأ له من فضله ، وذلك على النحو التالى(*) :

(*) سبق أن عرضت لآراء بعض المجمعيين القدامى الذين زاملوا الدكتور إبراهيم أنيس وعروفوه عن قرب وعملوا معه أيضا سواء فى دار العلوم ، أو فى مجمع اللغة العربية ، وذلك فى ثنايا هذا البحث ، وهم : الدكتور إبراهيم مدكور ، والدكتور محمد مهدى علام ، والأستاذ / على النجدى ناصف ، والدكتور عبد الله درويش ، والدكتور إبراهيم الدمرداش ، (كلمة الشعر) ، رحمهم الله جميعا ، ومن المعاصرين الأستاذ / إبراهيم الترزى أطال الله فى عمره ، فليراجع ، بداية هذا البحث فى (د . أنيس درعميا) و (مجمعيا) .

وانظر كذلك : مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، الجزء الأربعون ، ذو القعدة ١٣٩٧ هـ - نوفمبر ١٩٧٧ الجزء الخاص بتأبين د . إبراهيم أنيس ، (ص ١٩٨- ٢١١) .

أولاً : الدكتور كمال بشر : وريادة د . أنيس :

في الندوة الثقافية التي نظمها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، يوم (السبت) بتاريخ ١٩٩٩/١٢/٤ م بمقره بالزمالك ، حول المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس ، قدم الدكتور كمال بشر لها بكلمة بليغة مؤثرة ، تنم عن تقديره لشخصية هذا الراحل المجمعي « الأنيسي » قال فيها ما نصه : « ... إننا نتحدث عن شخصية فريدة في تخصصها ، عن الدكتور إبراهيم أنيس .. فهو - رحمه الله - فريد في تخصصه ، وهو رائد الدرس اللغوي الحديث في العالم العربي .. أنا شخصياً (أي د . كمال بشر) أشبهه بـ « دي سوسير » في أوربا ، و « بلون فيك » في أمريكا كل منهما أتى بالجديد العميق ، وإن لم يتم المسيرة ، ولكن أعمال هذين الرجلين - أعني دي سوسير وبلون فيك - هي البذرة الحقيقية لكل عمل لغوي حتى الآن في العالم . وأضاف ، وكذلك إبراهيم أنيس في العالم العربي ، كل أعماله كانت عبارة عن بذور خصبة نمت وتفرعت ونشرت هذا العلم الحديث عن العالم (يعني علم اللغة الحديث) فهو - يقصد إبراهيم أنيس - الرائد - بلا شك - في كل فروع اللغة . وأهم ما فيه الجرأة والثقة بالنفس ، كان يكتب من نفسه وبنفسه ، بكل ثقة واطمئنان ، وإن كنا نختلف معه أحياناً » !!

وأوضح د . كمال بشر في كلمته هذه أنه لم يدرس - شخصياً - على يدي الدكتور إبراهيم أنيس ، ولكنه قال : « .. ولكنني درست عليه كل كلمة كتبها في كتبه ، ومنه أفدت ، ومن أهم ما أفدت من الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - هو العود إلى التراث ، ومحاولة فهم هذا التراث ، والإفادة من هذا التراث ، وكنا - أول ما جئنا من أوربا - ننتقد هذا التراث ، بل نهاجمه ، ولكن بالعودة إلى كتب إبراهيم أنيس اسطعنا(*) أن نفهم أن التراث شيء مهم ، وهو قيمة كبيرة .

ثم ختم الدكتور كمال بشر شهادته هذه عن الدكتور إبراهيم أنيس بقوله : « ومن هنا بدأنا نعمل وسرنا إلى ما نحن فيه ، فله (أي د . أنيس) الشكر على ما فعل ، ورحمه الله رحمة واسعة » .

(*) أخذاً من قوله تعالى : « ذلك ما لم تسطع عليه صبراً » سورة الكهف .

ثانياً : الدكتور أحمد مختار عمر : (أولى الناس بإبراهيم) !!

فى نفس الندوة ألقى الدكتور / أحمد مختار عمر الأستاذ بدار العلوم وعضو المجمع كلمة (تعقيب) على المحاضرات التى ألقاها زملاؤه من الأعضاء والخبراء بالمجمع(*) ، بدأها باقتباس قرآنى بلاغى صادف موقعه من الحال ، فقال : (**يقول الله تعالى : « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه »**) .. « ولهذا كان أولى الناس بالحديث عن إبراهيم ، أو الدكتور إبراهيم أنيس هم تلامذته المباشرون الذين اتبعوه ولازموه أكثر من عشرين عامًا ، ودرسوا على يديه وتطبعوا بطباعه العلمية » .

أضاف .. إن ريادة الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس لا تأتى فقط من مزجه بين ثقافته العربية الأصيلة ، والأوربية الوافدة ، ولا من تأليفه العديد من الكتب غير المسبوقة فى موضوعاتها ، وإنما - إلى جانب ذلك - فى تناوله لموضوعاته من زوايا جديدة ، حتى فى تناوله لموضوع قديم ، ودلل الدكتور أحمد مختار على ذلك ، فأشار إلى كتاب (موسيقى الشعر) للدكتور أنيس بقوله : (لم يكتف - أى د . إبراهيم أنيس - بعرض أوزان الشعر العربى وقوافيه بالطريقة التقليدية ، ولكنه أضاف إلى ذلك فصولاً لم ينتبه إليها كثيرون ممن كتبوا عن العروض العربى ، مثل : الجرس فى اللفظ الشعرى ، الإنشاد والغناء ، والنسج القرآنى وأوزان الشعر) .

« وأشار إلى أن المرحوم الدكتور أنيس لم يكن يكتفى عند إعادة طبع كتبه بإصدار طبعة مكررة من سابقتها ، فكان يزيد ويضيف بصورة تجعل كل طبعة وكأنها إصدار أول » ، ويدلل على ذلك بكتاب (موسيقى الشعر) ، ففى طبعته الثالثة يزيد بحثًا عن الشعر الحر ، وفى طبعته الرابعة يزيد بحثًا عن القافية بين الشعر العربى والشعر الإنجليزى ، ويؤكد الدكتور أحمد مختار فى كلمته (التعقيبية) هذه أن كثيراً من الأفكار والآراء التى طرحها الدكتور إبراهيم أنيس منذ أكثر من ربع قرن تدخل تحت ما يسمى الآن بعلم المستقبل ، فلم يخل أى عمل من أعماله من الحديث عن جانب مستقبلى للغة . ومن ذلك أن د . أنيس - رحمه الله - صرح فى كتابه : **اللغة بين القومية والعالمية** بأنه لم يعد هناك مجال - فى العصر الحديث - لانعزال

(*) وهم : الدكاترة : محمود فهمى حجازى (عضواً) ومحمد حماسة عبد اللطيف ، ومحمد حسن عبد العزيز ، وإبراهيم الدسوقى (خبراء) بالمجمع .

الشعوب أو انطوائها على نفسها ، لأن أوضح ما يتسم به العصر الحديث شدة الاتصال وسرعته ، وكذلك تنبأ - أى د. أنيس - بأن اللغة العربية ستتوحد لهجاتها فى « لغة مشتركة »(*) ، وأن العالم لن يشهد - مرة ثانية — تفتت لغة مشتركة إلى لهجات محلية متباينة .

ثم تحدث الدكتور / أحمد مختار أيضا عن بعض الأحكام العلمية واللفتات الذكية للدكتور إبراهيم أنيس ، التى أثبت التاريخ صدقها ، فأشار إلى صدق مقولته : اللغة هى القومية والقومية هى اللغة ، وكذلك دعوته إلى الإصلاح اللغوى عن طريق التخطيط ، إذ لا يتوقع نجاح لأى إصلاح إلا من خلال التخطيط لأجيال قادمة ، ومع المتابعة والمثابرة وبذل الجهود ، مهما شقت أو صعب أمرها على أبناء اللغة .

ثالثًا : الدكتور محمود فهمى حجازى : إبراهيم أنيس .. بداية مرحلة مهمة !!

أما الدكتور محمود فهمى حجازى رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، جامعة القاهرة ، وعضو مجمع اللغة العربية ، فقد ألقى كلمة بحثية بعنوان (**التفكير اللغوى عند إبراهيم أنيس**) عرض فيها لمراحل تطور تاريخ الفكر اللغوى ، والدراسات اللغوية فى مصر الحديثة ، ودور إبراهيم أنيس فى هذا التطور ، بالإضافة إلى إطلالة على تراثه اللغوى عبر تاريخه الطويل .

وقد بدأ الدكتور محمود فهمى حجازى كلامه هذا بقوله : (يعد الدكتور إبراهيم أنيس (١٩٠٦ - ١٩٧٧ م) من أهم رواد الدراسات اللغوية ، حيث كان له أثر كبير فى تأسيس علم اللغة من أجل بحث العربية ، من حيث البنية الصوتية والدلالية ، ومن حيث لهجاتها ، ومراحلها التاريخية ، ومن ثم كانت مكانته الرفيعة فى علوم اللغة فى الجامعات العربية ، ومن هنا كان دوره الكبير فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة . أضاف .. لقد بدأت مرحلة مهمة مع إبراهيم أنيس ، وأتاحت له نشأته وظروف تكوينه ودراسته وبعثته ، إطارا لريادة حقه ، فكون اتجاها قويا امتد أثره الايجابى فى الدراسات اللغوية العربية المعاصرة . فقد كان عطاؤه الجامعى الكبير ، إذ به بدأ اتجاهات جديدة لبحث بنية اللغة العربية فى ضوء التراث اللغوى ، وعلم اللغة العام ، مع النظر - أيضا - فى المقارنات .

(*) فى الواقع .. نحن نرى أن ذلك تعبير عن طموح أو هم قومى للدكتور إبراهيم أنيس أكثر منه حقيقة علمية لأن ، واقعنا العربى المعاصر - على الأقل - على خلاف ذلك !!

وأوضح د . محمود حجازى – فى كلمته – أن الأسس العلمية التى تتجلى فى كتب إبراهيم أنيس ، وبحوثه المجمعية ، وتقديمه للأعمال العلمية للجيل الجديد من الباحثين في بنية اللغة وتراثها المجمعي وقضاياه ، إنما تمثل ريادة حقيقة ، وتعد تأصيلا جاداً لعلوم العربية . وأشار إلى أنه – فى ضوء بحث لإبراهيم أنيس – استقر الرأى فى مجمع اللغة العربية على إضافة صيغ جديدة (محدودة) لاسم الآلة ، إلى جانب ما ورد فى كتب النحو ، كلما دعت الحاجة إلى ذلك .

ثم ختم د . محمود حجازى كلمته بقوله : (إن جهد إبراهيم أنيس لا يقتصر على تحليل النظام العروضى للشعر العربى (فى موسيقى الشعر) ، ولكنه يقدم لنا أفكاراً كثيرة تصلح منطلقات لبحوث نصية معمقة ، يتناول كل منها ديوانا ، أو مجموعة شعرية ، وهكذا نجد أن دراسة أوزان الشعر العربى برؤية تاريخية ، أو على أساس الأداء فى الإنشاد ، تعد من أهم ما قدمته دراسات الدكتور أنيس ، وما يمكن أن تكون منطلقا لدراسات كثيرة فى التاريخ العروضى للشعر العربى .

رابعًا : الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف : د . أنيس والدرس النحوى .

وأما الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف فقد ألقى محاضرة – فى نفس الندوة – بعنوان (إبراهيم أنيس .. والدرس النحوى) قال فيها : « يعد الدكتور إبراهيم أنيس .. رحمه الله – من علماء قلائل ، لا يكاد عددهم يتجاوز أصابع اليد الواحدة ، حملوا على عاتقهم عبء نقل علم اللغة الحديث إلى مصر ، ومن ثم إلى العالم العربى كله ، وفتحوا الباب – بما ترجموه من أفكار ، وما أبدعوه من آراء ، وما أسسوه من مبادئ لغوية جديدة – أمام الباحثين من بعدهم ، فساروا فى هذه الطريق التى مهدوا ، ونهجوا النهج الذى أموا ، بل إن الدكتور إبراهيم أنيس – بلا منازع – يعد الرائد الأول فى الدرس اللغوى الحديث ، وكان عليه العبء الأكبر – لسبقه وتقدمه – فى نقل الدراسة اللغوية إلى الآفاق الحديثة التى ظهرت فى أوربا فى مطالع القرن العشرين ، فكان العين التى رأت ، والأذن التى سمعت ، والعقل الذى وعى ، ثم القلم الذى كتب ، فأنهج السبيل لسالكيه وأنار الغاية لطالبيها .

أضاف د . محمد حماسة : (كان د . أنيس – بحق علامة – فاصلة فى تاريخ الدرس اللغوى العربى ، بحيث يمكن لدارسى اللغة أن يؤرخوا به ، إذ اختلف الدرس اللغوى بعده عنه قبله ، سواء كان ذلك فى علم اللغة العام ، أم فى علم اللغة العربية

الخاص) ، لا سيما فى علم الأصوات ، واللهجات ، وقضايا الصرف ، وعلم التراكيب SYNTAX ، أو ما يطلق عليه « علم النحو » وكذلك فى موسيقى الشعر !! . وأكد د . محمد حماسة فى محاضرته تلك أن :

جهود الدكتور إبراهيم أنيس هى التى أدت إلى إثار رياح التغيير ، وحولت الاتجاه ، وإذا كان العالم السويسرى فرديناند دى سوسير هو رائد علم اللغة الحديث فى العالم الغربى المعاصر منذ مطلع القرن العشرين ، فإن إبراهيم أنيس هو رائد الدرس اللغوى الحديث فى العربية .

وأوضح د . محمد حماسة « منهج » أو طريقة الدكتور إبراهيم أنيس فى صياغة أفكاره الجديدة التى اعتبرها غيرت وجه الدرس اللغوى تغييراً حقيقياً ، وذلك فى عدة نقاط ، منها ما يلى :

١ – لم يكن نقل إبراهيم أنيس لأراء علماء اللغة الغربين نقلا فجا مباشراً مستفزاً ، بل كان عن فهم مستوعب واعٍ واضح مبين ، سلك به سبيل التطبيق العلمى المفيد على اللغة العربية فى كثير من جوانبها المختلفة(*) .

٢ – لم يكن إبراهيم أنيس مقطوع الصلة بآراء اللغويين العرب القدماء ، بل كان يعرف هذه الآراء معرفة قوية ، وكانت أبحاثه تصدر بعرض الرأى العربى القديم ، وكان يشير بما يجده فى هذا الرأى متوافقا مع وجه النظر الجديدة التى يطرحها ، ومن هنا بدا ما يطرحه من الآراء الحديثة نسيجا متلاحما لا غريباً وافداً يلفظه الجسم العربى مع الحاجة إليه !!

٣- كان يتمتع – رحمه الله – بالحس الأدبى الراقى الذى تسلل به من خلال التحليل الأدبى اللغوى الجميل إلى نفس قارئه وقلبه ، ومن ثم إلى عقله ، وفى كل كتبه تحليل أدبى لغوى لكثير من النصوص الشعرية والنثرية ، وكان هذا التحليل سبيله إلى إقرار الظاهرة اللغوية أو الإقناع بها .

وأشار د . محمد حماسة إلى أن أهم القضايا التى طبق عليها الدكتور أنيس مفهوم « التجريب اللغوى العلمى » هى : « الإفراد والجمع » ، و« التذكير والتأنيث » ، وأجزاء الكلام ونظام للكلام ، وقد عالج هذه الأمور علاجا لم يكن معهوداً من قبل ، بل إنه علاج حوّل مجرى البحث اللغوى النحوى عما ألف من قبل لمن يؤمنون بهذه

(*) البحث السابق ، ص ٤ (أ)

المقولة التى تقول : إن النحويين يعلمون النحو ، ولكن علماء اللغة يعلمونهم كيف يعلمون النحو »(*) .

خامسا : الدكتور محمد حسن عبد العزيز : د . أنيس المدرسة الوسط بين اللغويين

ونختم هذه الباقة من بحوث وكلمات هؤلاء المجمعيين (والخبراء) عن الدكتور إبراهيم أنيس فى مرآتهم وأفكارهم وعقولهم ووجداناتهم ، بكلمةالدكتور محمد حسن عبد العزيز الأستاذ بدار العلوم والخبير بالمجمع ، وقد جاء فيها ما نصه : (الدكتور إبراهيم أنيس فى المجمع .. نمط جديد من الخالدين ، ووسط بين مدرستين كانتا تنتظمان أرجاء المجمع فى ذلك الحين .. فهو أشبه بالشيخ الاسكندرى ، والعوامرى ، وحسين والى ، وغيرهم من اللغويين التقليديين فى معرفته الشاملة العميقة بالتراث الإسلامى والعربى فى عمومة ، واللغوى فى خصوصه) . أضاف : إنه أشبه باللغويين المحدثين من المستشرقين من أمثال : **ليتمان ، وفيشر ، وكوينز** وغيرهم ، وكذلك أشبه بالمفكرين العرب من أمثال : **أحمد لطفى السيد ، وعبد العزيز فهمى ، وطه حسين ، وإبرهيم مدكور** ، فى تمكنه من مناهج البحث العلمى بعامة ، واللغوى بخاصة) .

قال : نظلم شيخنا الجليل ، ونظلم أنفسنا لو أردنا أن نعرف بهذا الجهد المتنوع ، فهو من أكثر أعضاء المجمع إنتاجا فى أعمال المجمع (يقصد د . أنيس) ، بالإضافة إلى تنوع هذا الإنتاج وإلى عمقه وإلى جدته ، وإلى اختلاف الناس فيه قديما ، واختلافنا أيضا فى كثير مما قال .

وأشار . د . محمد عبد العزيز فى كلمته هذه ، إلى مجالات العمل المجمعى التى أسهم فيها الدكتور إبراهيم أنيس ، حيث قدم عدداً كبيراً من المذكرات أو المقترحات العلمية إلى لجان المجمع أو المؤتمر(**) ، فى المسائل اللغوية ، وبخاصة فى لجنتى « الأصول » و « اللهجات » بالإضافة إلى بحوثه أو مقالاته فى المنهج ، وبخاصة المنهج الإستقرائى ، واستخدام الإحصاء والأجهزة .

وفيما يتصل (بالتأصيل) .. أوضح أن الدكتور إبراهيم أنيس – رحمه الله – قدم ، فى الحقيقة ، بحوثا فى غاية من الدقة والطرافة فى نفس الوقت !!

(*) البحث السابق ، ص ٨ .

(**) راجع ص ٧٣ ، من هذا الكتاب (إبراهيم أنيس مجمعيا) .

ومن ذلك – على سبيل المثال – بحثه في كلمة (**أبيب**) .. حيث يناقش د . أنيس أقوال المؤرخين في هذه الكلمة – أبيب – وهي علم على شهر قبطي ، أخذ من كلمة قبطية عن معبودة مصرية ، إسمها « إبه » .. يناقش د . أنيس هذا القول أولا ، ثم يناقش المعاجم الإنجليزية والفرنسية التي تدعي أن كلمة « أبيب » شهر عبري ، يمثل الشهر الأول من السنة العبرية ، ثم يرجع د . أنيس إلى النصوص العبرية ، ويستشهد بما جاء في كثير من الوثائق العبرية عن هذا الموضوع ويكتشف أن هذه النصوص ليس فيها ما يرجح القول بأنها شهر عبري ، وإنما كل النصوص ترى أن هذه الكلمة في أصلها السامي البعيد تعني **« السنبلة الخضراء »** ولا تعني الشهر كما قالت المعاجم الإنجليزية ، وهنا يلمح هذا الملمح الذكي فيقول إنها من أصل سامي احتفظت به العربية واستعمل هذا في **قوله تعالى : « وفاكهة وأبا »** .. فالمادة **« أبب »** مصدر هذه الكلمة .

أيضا يشير د . محمد عبد العزيز في كلمته هذه إلى أن المقالات التي كان يكتبها د . إبراهيم أنيس في مجلة المجمع كانت تعالج كثيرا من القضايا الحية التي تثير الناس ، أو تشغل بالهم ، وعلى سبيل المثال ناقش في مقاله الجميل عن الترتيب المعجمي ، المدارس المعجمية المختلفة في طرق ترتيب الجذور ، حيث كان يفضل الترتيب القائم بالفعل على الحرف الأول ، فالثاني ، فالثالث .. وهكذا ، ولكنه كان – رحمه الله – يناقش : لماذا اعتمد المعجم العربي على « الجذر » لا على الكلمة .. وذلك بمناسبة ظهور معجم لبناني مثل معجم الرائد ؟!

كما كان د . أنيس يتساءل عن : ما الأخطار التي يمكن أن تنتج عن اعتماد الكلمة لا الجذر ؟ وهو هنا ينبهنا إلى طبيعة اللغة العربية كلغة اشتقاقية ، وينبهنا – أيضا – إلى تعاضد مستويات البحث النحوي ، واعتماد بعضها على بعض ، فلا يمكن – إطلاقا – إلا أن تجتمع الخصائص الصوتية والصرفية والنحوية .. لأن كل منهما تؤدي إلى الأخرى ، وتستفيد منها ، وتجتمع في النهاية لتعطي الخصائص المميزة للكلمة في لغة الضاد ، وأقف عند هذا الحد (أي د . محمد عبد العزيز) .

* * * *

وأنا بدوري أقف عند هذا الحد في هذا الفصل من البحث .

الفصل الخامس

الدكتور إبراهيم أنيس والإبداع الأدبى
(أعماله المسرحية)

- **تمهيد :**
- ما الفن ؟
- المسرحية الأولى ، إيناس أو ضحية المجتمع :

  عرض مجمل .

  فصول المسرحية .

  تعليق وملاحظات .
- المسرحية الثانية : المنصور الأندلسى .
- شخصيات المسرحية الرئيسية .
- صفات المنصور – بطل المسرحية .
- تعقيب .

الفصل الخامس

الدكتور إبراهيم أنيس والإبداع الأدبى

(أعماله المسرحية)

تمهيد :

لعلنا ذكرنا من قبل[١] أن الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - كان يتمتع بموهبة أدبية فى بداية شبابه المبكر ، حيث كان له بعض محاولات شعرية اتسمت بالنزعة السياسية ، كما أنه كتب مسرحية عن « عصر نابليون وحكمه فى مصر » وأخرى نشرها فى صحيفة دار العلوم[٢] ، ومن ثم فإبداع الدكتور إبراهيم أنيس يتحدد فى هاتين المسرحتين الأولى : وهى بعنوان : (إيناس - أو ضحية المجتمع) ، وهى أول عمل له بعد تخرجه فى (دار العلوم) ، حيث ختمها بكلمة . (١٩٣٢/٣/٢٧م) [٣] . والثانية : بعنوان (المنصور الأندلسى) : صفحات من تاريخ أجدادنا العرب الأمجاد فى الأندلس ، فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى[٤] . وقبل أن نتناول هذين العملين (فى عرض موجز اقتضته طبيعة هذا البحث وظروفه) ، نسبق ذلك بمقدمة عن الخصائص الفنية للأسلوب المسرحى ، من واقع تعرضنا إلى أبرز المدارس المسرحية المعاصرة ، التى نشأت فى بداية القرنين التاسع عشر والعشرين ، وذلك على النحو التالى :

---

(١) راجع : الفصل الأول من القسم الأول من هذا الكتاب ، تحت عنوان : إبراهيم أنيس .. والسياسة.

(٢) تجدر الإشارة إلى أننى لم أعثر على هاتين المسرحيتين .. فى مكتبة دار العلوم جامعة القاهرة ، ولكنى أستند فى ذلك إلى ما قاله لى شقيقه الدكتور / عبد العظيم أنيس ، فى حديث خاص معه ، وقد أشرت إليه من قبل ، فليراجع ، فى نفس الموضع من الكتاب .

(٣) انظر : ص ١٣٥ من المسرحية ، وهى لم تطبع بعد ، وكتبها المؤلف بخط جميل ، وقد أهدانى ابنه الدكتور حسين أنيس (صورة ضوئية) من مخطوطة تلك المسرحية .

(٤) كما جاء على غلاف المسرحية وفى « المقدمة » ص (أ) .

● **ما الفن ؟**

يجيب على هذا السؤال المرتبط بموضوعنا هذا المفكر الكبير الأستاذ / محمد قطب بقوله : (الفن – في أشكاله المختلفة – هو محاولة البشر لتصوير الإيقاع الذي يتلقونه في حسهم من حقائق الوجود ، في صورة جميلة موحية مؤثرة والفنان شخص موهوب ، ذو حساسية خاصة ، تستطيع أن تلتقط الإيقاعات الخفية اللطيفة التي لا تدركها الأجهزة الأخرى في الناس العاديين ، وذو قدرة تعبيرية خاصة تستطيع أن تحول هذه الإيقاعات – التي يتلقاها حسه مُكبرة مُضخمة – إلى لون من الأداء الجميل ، يثير في النفس الانفعال ، ويحرك فيها حاسة الجمال ..)(٥) .

والفنان (المبدع) – وكل بشر بصفة عامة – لابد – مادام حيًا – أن يتلقى من الكون إيقاعات معينة في حسه ، تتوقف على طبيعة هذا الحس ، بين العمق والضحالة ، والكبر والضآلة ، وتتوقف على المساحة التي يكشف عنها حسه الكون الكبير . « ثم يمضي يحاول التعبير عن هذه الإيقاعات بالطريقة الفنية الميسرة له ، من لفظ أو لحن أو خطوط أو ألوان . ومن ثم لا يمكن الفصل بين الفن – في أي شكل من أشكاله – وبين الصورة التي يتخذها الوجود في نفس الفنان ، والإيقاعات المختلفة التي يتلقاها حسه من هذا الوجود»(٦) .

وقد تكون هذه الحقيقة واعيه في نفس الفنان أو غير واعية ، ولكن النتيجة واحدة في الحالين ، فهو لا يمكن أن يعبر إلا عن انعكاس الحياة في نفسه ، ولا يمكن أن يكون تعبيره إلا من الزاوية التي يرصد منها الوجود ، ويتلقى منها الإيقاع ، .. ذلك مادام فنانًا حقيقيًا ، صادق التعبير ، وليس مجرد صانع ماهر يتفنن في صنعه الإخراج(٧) .

---

(٥) منهج الفن الإسلامي ، تأليف : محمد قطب ، دار الشروق القاهرة، ط/٤ – ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م ، ص ١١ .

(٦) المرجع السابق ، نفسه .

(٧) نفس المرجع ، ص ١١

فجوهر الإبداع الفنى إذن ومن ثم الأساس النفسى الذى يؤدى إلى ظهور العمل الفنى أيًا كانت وسيلته – « هو التجربة الشعورية التى تدفع الفنان إلى محاولة التعبير عنها تعبيراً مجسداً »[٨] . أو بعبارة أخرى : إن جوهر الإبداع الفنى واحد ، أى أنه وليد تجربة شعورية ، تتحول من خلال عملية تجسيد حسية إلى عمل فنى ملموس « مرئى أو مسموع أو مقروء » [٩] .

ومن ثم فكل عمل فنى جيد : هو تركيبة رمزية معقدة تعبر عن حقيقة روحية فريدة ... فالقيمة الأخلاقية للعمل الفنى تقاس بمدى جودته الفنية واستقلاله أو ذاتيته !!

فعملية الخلق الفنى هى عملية واعية تستغرق كل مقدرات وملكات العقل وليست نتاج لحظة إلهام أو زيارة خاطفة لشيطان الشعر ، كما يقول البعض . « ولذلك ، فالعمل الفنى الجيد – فى رأى مالارميه – يجب أن يعكس « تمكن الفنان الجيد من وسائل تعبيره وقدرته على البناء والتشكيل ، وأيضا قدرته على التنظير الفلسفى»[١٠].

وإذا أدركنا ذلك أدركنا أن الفن هو محاولة البشر أن يصوروا حقائق الوجود وانعكاسها فى نفوسهم ، فى صورة موحية جميلة ، وأن مكان الفنان والفن يتحدد بمدى المساحة التى تشملها الحقيقة التى يشير إليها العمل الفنى أو يرمز لها من كيان الكون .. إذا أدركنا ذلك ، فقد أدركنا فى ذات الوقت « أن الفن يمكن أن ينبثق عن التصور الإسلامى للكون والحياة والإنسان »[١١] .

أيضا من سمات أو خصائص العمل الفنى الجيد « الإيمان بضرورة الاعتماد على الإيحاء بدلا من التقرير أو الإشارة المباشرة ، مع استغلال الموسيقى الكامنة فى الكلمات »[١٢] كذلك لابد من استخدام لغة تعتمد على المفارقة والتضاد والصور والاستعارات الغريبة وتداعى الأصوات والمعانى مما تمخض عن تركيبات لغوية غير

---

(٨) الأدب وفنونه ، للدكتور محمد عنانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) ، القاهرة ، ١٩٩٧ م ، ص ٢١

(٩) نفس المرجع ، ص ٢٨ .

(١٠) المدارس المسرحية ، رسالة ، للدكتور نهاد صليحه .

(١١) محمد قطب ، السابق ، ص ١٣ .

(١٢) د . نهاد صليحه ، المرجع السابق ، ص ٢٢.

مألوفة ، لا تخضع لقواعد ومنطق اللغة التقليدية وذلك حتى يتمكن الفنان (المبدع) من تجسيد رؤى ومشاعر وحالات نفسية غير مألوفة(١٣)!!

على أن الجانب الوجدانى من الإنسان هو بطبيعته أدخل الجوانب فى موضوع الفنون ، فعنصر « التأثير » هو العنصر البارز فى الفن ، وأقرب وسائل التأثير هو تصوير الوجدانات البشرية فى صورة جميلة موحية تؤثر فى الوجدان ، فالفن - كما يؤكد الأستاذ محمد قطب(١٤) - ليس « فكرة » ولا « فلسفة » ولا مفاهيم « مجردة » كالتى تعنى بها « البحوث » الفكرية فى شتى الميادين ، وإنما هو « الانفعال الذاتى الخاص » بالأشياء والأشخاص والأحداث .. الانفعال الذى تتلقاه كل نفس مفردة على طريقتها الخاصة فى التلقى ، وتنفعل به فى أعماقها ، و « تعانيه » معاناة كاملة بكل جزئياته وتفصيلاته ، ثم تخرج من هذه المعاناة المشتبكة بوشائج النفس ، النافذة إلى حناياها ودروبها ، المختلطة برصيدها الخاص من المشاعر والتجارب والاتجاهات والميول .. تخرج منها بتجربة شعورية معينة ، أو بإفراز» معين يحمل السمات الذاتية لصاحبه ، ويحب صاحبه أن ينقله إلى « نفوس » الآخرين فى صورة جميلة يتوافر لها التأثير والإمتاع .

والفن « رؤية » للواقع من خلال ذلك الانفعال الذاتى الخاص بالأشياء والأشخاص والأحداث و « تفسير » لهذا الواقع فى ذلك الضوء الخاص ، تفسيراً شعورياً - لا فلسفياً فكرياً - كما أنه هو « رؤيا » للمستقبل وللمجهول ، وللماضى كذلك ، بنفس الشروط .

فالفن - قبل ذلك وبعده - لا يعرف الحواجز .. لا يعرف حواجز اللغة أو الوطن أو الجنس ..إنه تعبير بشرى عن الإنسانية فى أوسع مجالاتها وأوسع مفاهيمها . ومن ثم يلتقى لديه البشر جميعاً بلا تفرقة ولا انفصال ، يلتقون عليه بوجداناتهم وأفكارهم ومشاعرهم ، كما يلتقى الأخ بأخيه فى أسرة البشرية الكبيرة المتصلة الحلقات ، ولكن التقاء البشرية كلها على هذا الجوهر الإنسانى المشترك ، وتعارفها على السمات المشتركة بين الجميع .. لا ينفى وجود التميز بين فرد وفرد ، وبين فن وفن ، وبين مزاج ومزاج(١٥)!!

---

(١٣) نفس المرجع ، ص ٢٤ .

(١٤) المرجع السابق ، ص ١٨٢ وما بعدها .

(١٥) محمد قطب ،المرجع السابق ، ص ٢٢٢

هذا عن « الفن » والفنان أو الكاتب المبدع بشكل عام ، ولكن ماذا عن الخصائص العامة التى يجب توافرها فى العمل الإبداعى ذاته ، وبخاصة (فن المسرحية) ؟!

فى الواقع يجيب لنا عن هذا السؤال الدكتور شوقى ضيف ، وهو يتحدث فى كتابه القيّم فى النقد (فى النقد الأدبى) عن الأسلوب المسرحى ، بقوله : « .. ولابد للمسرحية من موضوع جيد تنبثق فيه ، فليس كل موضوع صالحًا ليكون محوراً لإحدى المسرحيات ، فالموضوعات الوصفية مثلاً لا تصلح للمسرح ، إنما تصلح للقصة التى تتعدد مناظرها ، أما المسرح فمناظره محدودة ، وهو لا يقدم مناظر ، إنما يقدم - كما فى المأساة - موضوعا متوترا ، قد يستلهمه الكاتب المسرحى من الأساطير ، مثل أسطورة أوديب ، أو بجماليون . وقد يستلهمه من التاريخ كتاريخ يوليوس قيصر أو كليوباترا وأنطونيو ، أو كتاريخ بعض الثورات ، وقد يستلهمه من حياة جيله ومشاكله وقضاياه الاجتماعية ..» (١٦) .

والكاتب - فى ذلك كله - إنما يختار موضوعا غنيا - كالنبع الغزير - لا يزال يفيض بالمواقف التى تنمو خلال صراع شديد بين قوى متعارضة ، فلابد أن يشتمل الموضوع على صراع عنيف ، ولابد أن يتفجر بالمواقف المتجددة والمفاجآت غير المتوقعة ، تلك المفاجآت التى لايتم بدونها عمل مسرحى كامل(١٧) .

ومعنى ذلك أن اختيار الموضوع الصالح للمسرحية أول خطوة تحقق نجاحها (كعمل مكتوب بغض النظر عن إتاحة الفرصة لتمثيله على خشبة المسرح أم لا !) .. وهى خطوة تتبعها خطوات ، تقوم كلها على الاختيار الدقيق .

ومما لا ريب فيه أن من الموضوعات ما يشبه صحراء مقفرة فلا يستطيع أى مؤلف أن يبعث فيه الحياة ، مهما أوتى من قدرة الخلق المسرحى ، ومنها ما يشبه السهل الخصب ، فهو بطبيعته غنى بالحياة وبالشخوص ذات الانفعالات المتنوعة والطبائع المتباينة ، وتأتى بعد اختيار الموضوع طريقة المعالجة فلابد من تخطيط دقيق للفصول والمناظر ، بحيث تتوازن أجزاء المسرحية ، وبحيث يسلم فصل وكل منظر إلى

---

(١٦) فى النقد الأدبى ، للدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط/٤ - ١٩٧٦ م ، ص ٢٣٧

(١٧) المرجع السابق ، ص ٢٣٨

أخيه ، بدون أى نشاز ، أو اضطراب ، ولابد أن تتبين طبائع الشخوص بسلوكها وسماتها النفسية ولابد أن تنمو نموا طبيعيا ، وقد سلطت على كل منها الأضواء التى تبرزها جلية ، بحيث لا يطغى شخص على شخص ، وبحيث نحس أن الشخوص تنبض حقا بالحياة(١٨) .

على أن المسرحية تتألف من فصول ، ولكل فصل مساحته القليلة ، وكل فصل كبنائها العام ، له أول ووسط ونهاية ، وهو لا يستقل بنفسه ، فهو حلقة فى سلسلة تتابع فيها التحولات والمفاجآت والجمل المضيئة والحكم البليغة والكلمات المقتضبة التى تتعمق بإيحاءتها وإلماعاتها فى أغوار الطبائع وأعماق النفوس(١٩) ، كما أن لغة المسرحية لغة ترتفع عن اللغة العادية ، فهى لغة منتقاة ، ينتقيها ذوق مرهف ، صقلته المرانة .. ذوق يعرف كيف ينتقى من الألفاظ ما يثير فينا الفزع والخوف والرحمة إن ألف صاحبه مأساة .. إلخ .

وكل هذه وظائف فى لغة المسرحية من شأنها أن ترتفع بها عن لغة الحياة اليومية الجارية ، ولكنه الارتفاع القريب الذى لا ينتهى إلى استخدام الألفاظ الغريبة أو الوحشية ، فالغرابة والوحشية ليستا من صفات التعبير المسرحى ، بل هما من معوقاته .

ولعل فيما قدمنا ما يدل على خطأ من يدعون إلى استخدام العامية فى المسرحيات المعاصرة ، وكأنما فاتهم أن يعرفوا أن لغة المسرحيات ترتفع دائما عن لغة الشعبية قليلا أو كثيرا ، لأنها لغة موجزة موحية لها وظائفها المسرحية العديدة . ولذلك أولى أن تتخذ حلتها من الفصحى ، لأنها اللغة الأدبية التى لا نرتاب فى أن مادتها - من حيث حاجة المسرح اللغوية - أكثر غنى وخصبا(٢٠) .

* * * *

بعد هذه « المقدمة التمهيدية » عن سمات الكاتب وخصائص عمله المسرحى .. نتناول مسرحيتى الدكتور إبراهيم أنيس اللتين أشرنا إليهما من قبل ، فى عرض موجز لمضمون كل منهما ، لنرى إلى أى مدى كان نتاج الدكتور أنيس - رحمه الله -

---

(١٨) المرجع السابق ، ص ٢٢٨

(١٩) د . شوقى ضيف ، المرجع السابق ص ٢٣٩

(٢٠) د . شوقى ضيف ، نفس المرجع ، ص ٢٤١

متوافرا فيه تلك الخصاص والسمات العامة ، إلى جانب كشف « الرؤية والموقف » - موقفه هو - من بعض القضايا الاجتماعية والسياسية من خلال هذين العملين الإبداعيين .. وذلك على النحو التالي :

المسرحية الأولى : إيناس أو ضحية المجتمع

هدف الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - من تأليفه لهذه المسرحية النثرية ، أن يكشف النقاب عن ما يسميه بالأحكام غير العاقلة - ولعله يقصد المتناقضة - التى تحكم المجتمع الذى يأبى الفضيحة المعروفة التى تتناقلها الألسنة حتى ولو كانت أقل شناعة من الفضيحة التى تخفيها الصدور والنفوس أو تسرها القلوب ، فالمسرحية أو بالأحرى الدكتور أنيس ، يعيب على المجتمع تقاليده التى تقبل بـ (**سعاد**) زوجة (**المختار**) بدلا من (**إيناس**) الطاهرة ، والتى كل مشكلتها أنها تعاقب « **بذنب** » أو بسيرة والدتها التى كانت تحوم حول الشبهات ، بينما ، (**سعاد**) فقدت - برغبتها - أعز ماتحرص عليه الفتاة !! ولكن دون أن يعرف الناس بذلك فى هذا المجتمع ذو المعايير المتناقضة !!

ولأن ذلك حدث فى « السر » فى الوقت الذى عرف فيه أمر (**إيناس**) كانت هى ضحية كغيرها من الضحايا الأشراف ، مع أن من المفروض « **ولاتزر وازرة وزر أخرى** » ، أى لايصح أن يحمل أحد ذنب أو خطأ غيره فى هذه الدنيا بحال من الأحوال .

ففى الوقت الذى يموت فيه الرجل فى ميدان الجهاد دفاعا عن وطنه وعقيدته ، مثلا ، أو الطبيب الذى يتسرب السم إلى دمه بسبب تدخله فى إجراء جراحة لمريض نجد هذا (المجتمع) الذى تدور على مسرحه أحداث قصة (**إيناس**) هذه ، يرثى لمثل تلك النماذج ويسكب الدموع ترحما على أصحابها لأنهم (**أبطال**) يفتخر بهم فى الدنيا و (شهداء) فى عالم الآخرة !!

أما (إيناس) فهي على العكس من ذلك تماما . (أتعس الضحايا وأشقاها) : تلك الضحية التى لا تجد فى هذا العالم راحما باكيا يرثى لها ، أو يذكرها حتى بالعطف والشفقة وتلك هى - كما يقول د . أنيس - بطلة قصتنا »[٢١] .

---

(٢١) إيناس أو ضحية المجتمع ، للدكتور إبراهيم أنيس ، المقدمة ، ص ٢ .

فإيناس – لدى د . أنيس – « فتاة ظلمت ، ولا يدرى الناس بظلمها ، بل يرونه مصيرا طبيعيا لمثيلاتها »[٢٢] ، و « نظام المجتمع عجيب ، يوجب النظر وطول التفكير ، وهو – كما يرى د . أنيس بحق – نظام خاطئ جدير بالبحث [٢٣] .

ومن ثم أراد الدكتور أنيس بهذا العمل **معالجة نظرة المجتمع القاصرة** ، بل ظلمه فى كثير من الأحيان لبعض ضحاياه .. فلم تكن (إيناس) هذه الأنثى البريئة ضحية نفسها ، بل أخذها المجتمع « **بجرم** » أمها التى تحوم حولها الشبهات فى أخلاقياتها وسلوكياتها ، حيث كانت تحترف الدعارة نتيجة ظروف معينة فرضتها عليها ، وعرف بعد ذلك أمرها !!

وفى نفس الوقت ترتكب جرائم مماثلة لجريمة (سعاد) التى اكتشف **مختار** أنها أنثى **فقدت عذريتها** ، ورغم ذلك كله عاشت بين الناس تتمتع بالاحترام وربما التقدير ، لأن أمرها لم يشع ولم يشتهر ، فمدار الأمر إذن – لدى المجتمع – على الاشتهار ، حتى ولو لم يكن للضحية نفسها ، وعدم الاشتهار ، حتى لو كان للمذنب نفسه .. ثم يعقب د . أنيس بقوله : « إن هذا لمنكر »[٢٤] .

ولهذا حرص الدكتور أنيس فى مسرحيته تلك على « إظهار ضحايا المجتمع المظلومين ، وإلى إظهار سوء نظام هذا المجتمع الذى يأخذ النفس بجريرة غيرها ويدع المجرم يرتع فى مسارحه دون حساب أو عقاب ، لأن جرمه خفى ، يقود الناس فى كل هذا : الأنانية والخداع والرياء[٢٥] .

عرض مجمل :

ومسرحية (**إيناس – أو ضحية المجتمع**) – فى عرض مجمل لها – تقع فى خمس وثلاثين ومائة صفحة من حجم (الفولسكاب) مكتوبة بخط د . أنيس وهو خط أنيق واضح ، وقد كتب مقدمات فصولها الأربع ، وبعض الألفاظ – ومعظمها أحوال – وبعض الجمل الاعتراضية بمداد أحمر بينما بقية (النص المسرحى) بمداد أسمر .

---

(٢٢) المصدر السابق ، ص ٤ .

(٢٣) نفس المصدر .

(٢٤) نفس المصدر ، المقدمة ، ص ٥

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٦

على أن أحداث تلك المسرحية تدور فى أماكن ثلاثة هى : منزل والدة (إيناس) بحى شبرا ، ومنزل الدكتور مختار ، ومستشفى قصر العينى بالقاهرة ، وهو المكان الذى ماتت فيه (إيناس) بعد إقدامها على الانتحار بإشعالها النار فى نفسها بحجرة التدبير المنزلى فى مدرستها هناك !!.

وتشتمل المسرحية على مقدمة تقع فى ست صفحات (سنقف عندها بعض الوقت) ، ونبذة عن أشخاص المسرحية فى ثلاث صفحات ، ثم أربعة فصول تتضمن سبعة وثلاثين مشهدا .

أما فصول المسرحية فهى :

- **الفصـــل الأول** : ويضم خمسة عشر مشهداً .
- **الفصل الثانى** : عشرة مشاهد .
- **الفصل الثالث** : به تسعة مشاهد ، من خلال منظرين يحتوى أولهما على ثمانية مشاهد ، بينما الثانى مشهد واحد !!
- **الفصـــل الرابع** : وبه اثنا عشر مشهدا.

أما أشخاص المسرحية[٢٦] فهم كالتالى :

١ - **إيناس** : فتاة رشيقة حسناء ، فى الثامنة عشرة ، تلميذة بالقسم الرابع فى المدارس الثانوية ، وهى عاقلة هادئة مثقفة .

٢ - **مختار** : شاب فى الخامسة والعشرين من العمر طبيب امتياز بمستشفى القصر العينى ، نحيل الجسم ، مع قامة هيفاء ، له رزانة الشيوخ فى سن الشباب ، قوى الحس والعاطفة ، لكن تتملكه التقاليد إلى حد بعيد ، فهو يشعر بفسادها ، ولكنه لا يريد الثورة عليها .

٣ - **سعاد** : فتاة فى سن العشرين ، تربت بين الأوساط الراقية ، وهى وإن كانت أقل وسامة من إيناس إلا أن مظهرها الارستقراطى يحملك على احترامها

---

(٢٦) انظر : إيناس أو ضحية المجتمع ، د . إبراهيم أنيس ، ص ٧ - ٩ .

ويستدعى نظرك إليها ، وهى صاحبة حيلة ومكر إلى أبعد حدود الحيلة والخداع وهى بنت خالة مختار .

٤ - **عزيزة** : سيدة فى العقد الرابع ، ذات حسن وجمال ، تميل إلى السمن ، قضت عليها ظروف قاسية أن تحترف الدعارة السرية وهى دائما تعود بذاكرتها إلى ماضيها الشريف فتبكيه .. وهى أم إيناس (بطلة القصة) (أى المسرحية) والتى لا تدرى من شأن أمها شيئا ، و « عزيزة » تحرص على شرف ابنتها الوحيدة أشد الحرص .

٥ - **والدكتور** : والد مختار وهو أحد كبار موظفى الحكومة ومن الذين يعنون بالتقاليد وبضخامة الأسماء ، فيه رجعية تنازعها قليل من الثقافة التى نالها أثناء تعلمه وهو مسن قد شاب رأسه وشاربه ، ولكنه رغم هذا معتدل القامة !

٦ - **أم الدكتور** : والدة مختار ، وهى سيدة فى العقد الخامس من العمر ، تحرص كل الحرص على سير الأسرة التى تنتمى إليها ، وأظهر صفاتها : الافتخار وحب المظاهر .

٧ - **الأستاذ عبد المقصود** : محام مستهتر .. يتردد على بيت عزيزة مع بعض الساقطات ، وقد وصلت به الحال أخيرا : أن أصبح مدمنا للمخدرات ، وقد حرم من الوقوف أمام القضاء بسببها ، وهو فى الفصل الأخير يحمل إلى مستشفى قصر العينى من فوق قارعة الطريق بعد أن ذهبت الخمر بعقله وقواه أو كادت !

٨ - **ربيع** : زائر وزائرة ، ضابط بوليس وعساكر .

٩ - **متبولى ونجية** : « خادمان » .

١٠ - **أم سعاد** : « بهية » تلميذة فى مدرسة المرضات بقصر العينى .

١١ - **عبد النبى** : « تمرجى » .

١٢ - **كمال " دكتور "**

- **تعليق وملاحظات :**

ويلاحظ – من حيث الشكل – أن فصول تلك المسرحية الأربع غير متساوية من حيث عدد الصفحات ، فهى تطول وتقصر على حسب الأحداث ، فمثلا : الفصل الثالث يقع فى خمس وعشرين صفحة ، بينما يقع الفصل الرابع – بعده – فى ثمانية وثلاثين صفحة !

هذا عرض مجمل – من حيث الشكل والمضمون – لمسرحية « إيناس » أو ضحية المجتمع « للدكتور إبراهيم أنيس .. أما الملاحظة النقدية التى يمكن للباحث أن يسجلها على هذا العمل الإبداعى المسرحى ، فهى تتجلى فى رصد عدة كلمات وألفاظ أوردها المؤلف فى « **المقدمة** » وبعض صفحات أخرى كشفت عن خلط ظاهر لدى الدكتور إبراهيم أنيس بين « **مفهوم** » **الرواية** « **والنص** » **المسرحى** اللذين يختلف كل منهما عن الآخر فى وجوه كثيرة ليس هنا مجال عرضها تفصيلا .

فالقارئ لمقدمة تلك المسرحية يلاحظ استخدام الدكتور أنيس كلمة « **هذا ما أردته من روايتى** » ، ص (٤) ، و « الذى أوحى إلى بموضوع هذه الرواية قصة تمثل على مسرح الحياة .. ولقد رأيت بطلة روايتى بين الناس .. » (٥) ، وقوله : أوحت إلى هذه الفتاة **بروايتى** وجعلتنى أفكر طويلا فى حالها ، فألهمت هذه الرواية .. » (ص ٦ من المقدمة) . ثم يقول أيضا (**أشخاص الرواية**) (ص ٧) – نفس المصدر .

والملحظ الذى نأخذه على ذلك هو كثرة استخدام الدكتور أنيس – رحمه الله – لفظ « **رواية** » وليس كلمة (**نص**) الأقرب فى الدلالة على نوع العمل وفحواه الأدبى ، فقد جاء استخدام د . أنيس لهذا اللفظ استخداما فى غير موضعه ، ولا أظن أنه كان يجهل الفرق بين هذين المصطلحين (**الرواية**) و (**النص المسرحى**) خصوصا وأنه كان – رحمه الله – يدرك تماما أنه يقدم على كتابة عمل مسرحى له مواصفاته وتقنياته الفنية المعروفة ، والتى تختلف تماما عن مصطلحات وتقنيات ، بل الأسلوب الروائى برمته !!

ولا نعرف كيف « وقع » الدكتور أنيس فى هذا الخطأ العلمى (الفنى) وصدر به عمله (المسرحى) (إيناس أو ضحية المجتمع) ؟

وأغلب الظن عندى أن د . أنيس خلط فى تصوره بين رغبته فى كتابة هذه الأحداث التى أثرت فى وجدانه ولفتت انتباهه إليها (كعمل روائى) وبين خروجه هكذا من بين يديه فى هذا الشكل المسرحى الذى تجلى فيه هذا النص المسرحى !!

ومن ثم أرى أنه كان الأولى بالدكتور أنيس ألا يستخدم لفظ « رواية » بهذا الشكل الذى بدا متعمدا أو فيه شىء من القصد ، فجاء على خلاف الحقيقة العلمية ، ولم يكن يحول بينه وبين وقوعه فى هذا الخطأ سوى التزامه اللفظ المحدد والأقرب للصواب وهو كلمة « **نص** » .. فيقول مثلا : (هذا ما أردته من مسرحيتى) أو أوحى إلى بموضوع هذه « **المسرحية** » ، أو هذا « **النص المسرحى** » . أو أوحت إلى هذه الفتاة بكتابة مسرحيتى ، وجعلتنى أفكر طويلا فى حالها ، فألهمت هذه « **المسرحية** » وليس كما قال : فألهمت هذه « الرواية » .. إلخ مما أشرنا إليه !!

أما تفسير الدكتور على سيد جعفر الذى ذهب إليه من أن الدكتور إبراهيم أنيس رحمه الله - لم يقدم على نشر هذه المسرحية ، رغم أنها أول عمل كتبه فى حياته ، بعد تخرجه فى دار العلوم عام ١٩٣٢ م ، لأن أشخاص (المسرحية) - وليس (الرواية) كما وقع هو الآخر فى نفس الخطأ - أو جعلهم حقيقيون فى أدوارهم ، وربما فى أسمائهم ، « ربما بسبب هذا وذلك لم ينشرها فبقيت بخط يده .. »[٢٧] .

هذا التفسير لا أميل إليه لعدة أسباب أذكر منها أن د . أنيس نفسه صرح فى مقدمة هذه المسرحية بأنه التقى مع بطلة هذه المسرحية وتحدث إليها ، بل « رأها تسعى بين الناس .. » ولعل فى ذلك ما يشى بوجود نوع من (العاطفة) نحوها ، ولكنه رأى أن يحتفظ بذلك لنفسه ، كنوع من الذكريات الأولى فى شبابه ، خصوصا وأنه علم بقصة حبها العنيف « لمختار » ذلك الطبيب الشاب الذى كان يعمل بمستشفى القصر العينى !! .. كما أنه راح يخلع كثيرا من الصفات المحببة للنفس ، كقوله « إيناس الطاهرة » ، وأنها كانت تلميذة فى المدارس الثانوية موضع احترام الجمع ، يشار إليها بالبنان .. » (ص ٤ من المسرحية) .

ويعزز ما نذهب إليه هنا ، ما يقرره د . سيد جعفر نفسه ، بقوله : « ويظهر أن إيناس « .. كانت تلميذة فى مدرسة كلية (فكتوريا) الثانوية للبنات (التى كان يعمل

---

(٢٧) إبراهيم أنيس لغويا ، د . على سيد جعفر ، مرجع سابق ، ص ٣٢.

بها د. أنيس) ، وكانت تنزل فى قسمها الداخلى ، فتعرف على ظروفها العائلية عن قرب ، ويبدو أنها صارحته - بوصفه أستاذا لها - تأتمنه على أسرارها ، وتطلب منه مد يد العون والمساعدة بالرأى والنصح ، حتى تجد مخرجا لمأساتها »[٢٨] .

فحتى إذا استبعدنا عدم وجود (عاطفة) للدكتور أنيس نحو (إيناس) بطلة مسرحيته تلك ، فليس أقل من أن يؤثر الدكتور أنيس ظهوره فى نظرنا بمظهر الأستاذ « الأمين » الذى يمثل « القدوة » وموضع « الثقة » فى نظرها ، وهو شىء بالنسبة للدكتور أنيس ليس بالقليل أن يبقى ويحافظ عليه عند صاحبة تلك الشخصية ، ومن ثم فضل د . أنيس هذا « الموقف » على أن ينشر هذه المسرحية احتراما لبطلتها التى رآها بين الناس « حتى لو كان ذلك بأسماء مستعارة » !!

المسرحية الثانية : (المنصور الأندلسى) :

للدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - مسرحية أخرى مطبوعة ، صدرت عن مكتبة الأنجلو المصرية (بدون تاريخ نشر) ويتناول فيها صفحات من تاريخ أجدادنا العرب المسلمين الأمجاد ، وهى تعد من قبيل المسرح النثرى الذى تميز به أدبنا العربى المعاصر[٢٩] ، وهذه المسرحية تعرض لفترة تاريخية لحياة العرب المسلمين فى الأندلس ، أثناء النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، وتشتمل على مقدمة وأربعة فصول ، تقع المقدمة فى ثلاث صفحات ، وهى غير مرقمة ولكنها مرقونة برموز ح - د - هـ بينما تقع فصولها الأربعة فى مائتى صفحة ، وتتضمن تسعة مناظر ، لكل فصل منظران ، ما عدا الفصل الثانى فيشتمل على أربعة مناظر .

وأهمية تلك المسرحية تبدو فى أن الدكتور إبراهيم أنيس لم يقبل معظم ما ورد فى كتب الأدب والتاريخ ، خاصا بفترة الرواية ، على علاته ، ولكنه تصرف فيه ، فحذف وأضاف (وصحح أيضا) حتى يتلاءم ذلك مع متطلبات « النص » ولكى تكون له بصماته المميزة فى هذا العمل المسرحى الإبداعى !!

---

(٢٨) نفس المرجع ، ص ٣١ .

(٢٩) الأدب القصصى والمسرحى فى مصر ، من أعقاب ثورة ١٩١٩ م إلى قيام الحرب الكبرى الثانية للدكتور أحمد هيكل ، دار المعارف القاهرة ، ط / ٤ ، ١٩٨٣ م ، الفصل الرابع (المسرحية) من ص ٢٩٥ - ٤١٠ .

كما أن الدكتور أنيس ابتدع بعض أسماء لشخصيات مسرحيته تلك ، لأن الأحداث التى عرض لها فيها اقتضت ذلك ، مثل شخصية (أوراكا) وصيفة الملكة ، وبعض قواد الفرنجة وملوكهم[٣٠] وإن كان ابتداعه هذا لم يجئ عفويا ، بل كانت تلك الشخصيات المبتدعة توائم ظروف الدولة حينئذ ، وتنسجم مع ما عرف من تاريخها [٣١] ، كذلك تصرف د . أنيس فى أحداث المسرحية ، فزاد عليها مواقف خيالية من عنده ، تطلبتها الحبكة المسرحية ولكن كان ذلك دون شطط منه أو مغالاة !! .

ويوضح الدكتور أنيس – رحمه الله – أن جل الشخصيات التى ذكرها فى هذه المسرحية قد أشارت إليها كتب التاريخ والأدب ، ووضعها على نحو ما جاء فى هذه الرواية فى إشارات مقتضبة أحيانا ، غير أن حوادث المسرحية تطلبت – منه بعض الإفاضة فى الحديث عنها ، وفى أحيان أخرى أسهمت كتب التاريخ والأدب فيما نسب خطأ لبعض شخصياتها !! .

ومن ثم يذكر الدكتور أنيس : أن بعض كتب التاريخ التى لم تنصف المنصور بن أبى عامر ، عندما وصفت عهده بالحكم المطلق وعنف وقسوة وسفك الدماء فينصف – رحمه الله – المنصور ويدافع عنه ، قائلا ولولاه لسادت الفوضى فى الأندلس لضعف الخليفة وعجز وصغر سنه ، ولكثرة الطامعين المتطلعين إلى مركزه من أشراف قرطبة .

ويعتذر الدكتور أنيس عن المنصور بأن معظم ما نسب إليه من قسوة وعنف وسفك الدماء كان منه براء ، وإذا صحت نسبة شيء من هذا إليه فقد حملته الظروف حملا على ارتكابه لينقذ الأمة العربية فى الأندلس مما كانت على وشك أن تتردى فيه من الاضطراب والفساد[٣٢] .

---

(٣٠) المقدمة ، ص هـ ، وانظر للمزيد للفصحات ٢٤، ٢٥، ١١٤، ١٩١ من المسرحية .

(٣١) المقدمة ، ص د .

(٣٢) المنصور الأندلسى، المصدر السابق ، ص د ، وانظر كذلك : د . على سيد جعفر ، إبراهيم أنيس لغويا ، مرجع سابق ، فصل : كتاباته المسرحية ، ص ٣٩ وما بعدها .

شخصيات المسرحية الرئيسية :

أما بالنسبة للشخصيات الرئيسية فى المسرحية ، فهى عشرة شخصيات كانت على الترتيب التالى :

١- المنصور بن عامر : وهو البطل :

تلك الشخصية الفذة[٣٣] المنصور بن عامر ، الذى ولد فى أسرة عربية عريقة ، وكان أجداده ممن أسهموا مع طارق بن زياد فى فتح الأندلس[٣٤] ، وأمه من تميم ، إحدى القبائل الكريمة[٣٥] ، وكلمة المنصور : لقب ، والأندلسى نسبة إلى الأندلس ، أما بداية التلقيب ، فتأتى على لسان (أوراكا) – وصيفة الملكة – فى حديث لها بسمع ابن دويدة (مضحك الملك) معجبة بانتصاراته :

أوراكا ، منصور : منصور دائما هذا الوزير .

ابن دويدة : (معجبا) ، لافض فوك : هذا هو اللقب الذى يصلح لوزيرنا ابن أبى عامر[٣٦] .

نشأ المنصور فى قرطبة نشأة متواضعة[٣٧] . كاتبًا صغيرًا بباب الخلافة[٣٨] قيما على ولى العهد (هشام) ومؤدبا له عندما كان هشام فى الخامسة من عمره[٣٩] ، ولكن ما تصف به من الذكاء والشجاعة وسمة الحيلة أهله لأن يصبح فى تلك الفترة أقوى رجل فى الأندلس ، يدير شئون الدولة ويقود جيوشها ويقضى على المؤامرات والأطماع فى عهد الخليفة هشام المؤيد بالله ، الذى لم يوهب من الخلال ما يساعده

---

(٣٣) ولذلك أجرى على لسانه كل الآراء الإصلاحية السديدة فى كل الرواية تقريبا ، انظر صفحات : ٢١/٢٠ ، ٢٤/٢٣ .. وإن كانت هناك شخصيات أخرى ثانوية ، بلغت نحو عشرين شخصية عرض لها د . بسيد جعفر ، المرجع السابق ص ٤٨ : ٤٥ – راجع للمزيد .

(٣٤) ص ح .

(٣٥) ص ٥ .

(٣٦) ص ٧١ .

(٣٧) ص ٥ .

(٣٨) ص ٦ .

(٣٩) السابق .

على الاضطلاع بمهام الخلافة بنفسه ، فوكل بها إلى المنصور ، يحكم باسمه ويتصرف فى أمورها كيف يشاء ، وبرهن المنصور على أنه كفء لما وكل إليه !!

فقد نظم الدولة ووحد صفوفها ، ونشر الأمن والرخاء بها ، كما قوى جيشها وقاده بنفسه فى حروب كثيرة مع الفرنجة ، خرج منها جميعا ظافرا منتصرا ، ثم مع هذا لم يتطلع إلى منصب الخلافة ، بل حافظ على ولائه لخلفاء بنى أمية ، قانعا بأن يكون له سلطان الخلافة دون تاجها(٤٠) .

٢ - الخليفة الحكم المستنصر بالله :

عاشت الأندلس العربية فترة حكم عظيمة له ، ويذكر له : أنه أسس مكتبة حافلة بروائع الآثار : مجلدات فى اللغة والأدب ، وذخائر من علم اليونان ، فى الطب والفلسفة والفلك والهندسة(٤١) ، ذاخرة بأنفس الكتب : مئات من المجلدات ترى فى الدواليب وفوق الأرفف ، مناضد متفرقة ، ومقاعد للاطلاع الداخلى ، وتعتبر أجل أعمال الحكم(٤٢) ، إلا أنه كان يعاني في آخر حياته من شلل أعجزه عن تحريك يده اليسرى والشق الأيسر من جسده(٤٣) ، كما أصيب بجلطة فى الوريد الأبهر(٤٤) ، وتوفى بعد عام ٣٦٦ هـ(٤٥) .

٣ - الملكة ، زوج الخليفة الحكم :

يدعوها العرب فى الأندلس : صبح ، ويدعوها قومها الفرنجة (البشكتش) : فجرا(٤٦) ، تحكى كيف صارت ملكة ، فتقول(٤٧) : منذ عشرين عاما وفدت مع ملكة البشكتش الكبرى الجدة الكريمة - رحمها الله - حين وفدت مع ابنها (جارسيا)

---

(٤٠) ص حـ

(٤١) ص ١٨٢ .

(٤٢) ص ١٨٣ .

(٤٣) ص ١٥٨ .

(٤٤) ص ٧٠ .

(٤٥) ص ١٥٨ .

(٤٦) ص ٢ .

(٤٧) ص ٤ .

على الخـليفـة الناصـر ، كنت حيـنئذ فى ريـعان شـبابى وكامل أنوثتى وسـاحـر جمالى ، وكانت الملكة الكبرى تستنصر الخليفة الناصر ، ليعيد لحفيدها (جارسيا) ملكه من مغتصبيه ، ثم قدمتنى جدتنا الملكة هدية للحكم ابن الخليفة كأحدى بنات الأشـراف من قـومنا ، راع الحكم جـمـالى ، وتزوجنى ، وأصـبـحت بعـد هذا ملكة للمسلمين والعرب !!

غير أنها كـانت تلعب دورا كبيرا فى الحـكم فى أواخـر حيـاة الخلـيفة الحـكم زوجـها المريض ، فكان الحاجب المصحفى رئيس الوزراء يعرض أمور الدولة عليها [٤٨] ، كما كان القائد (غالب) يعرض عليها نتيجة غزواته ومغامراته[٤٩] ، وتستـقبل الوفـود التى تفد إلى قصر الخلافة مقدمة فروض الطاعة والولاء[٥٠] ، وما إلى ذلك .

٤ - هشام المؤيد بالله ابن الخليفة الحكم :

ولى العـهد أيـام أبيـه الحكم ثم الخليفة بعد وفـاته ، إلا أن شـخصيتـه وهو صغير كانت لا تسمو لولاية العـهد ، وأيضا لم تصلح لتأهيـله للحـكم بعد ذلك ، فقد كان وهو فى العاشرة متخلفا ذهنيا وميالا للعب واللهو ، يقضى نهاره مع الصبيان والغلمان ، ولا يهوى إلا الرقص والغناء[٥١] ، وكثيرا ما يدخل قصر الخلافة مقتحما جلسة الملكة مع كبار المسئولين ، وهم يعرضون عليها شئون الدولة ، يجرى وفى يده عود غناء ، ووراءه أحد خصيان الصقالية ، فيدهش الجميع[٥٢] ، ولما صـار خليفـة ، أعطى تفويضًا [٥٣] للمنصور ، يحكم باسمه ، ويتصرف فى أمور الدولة كيف شاء ، ليس له من الحكم إلا تاجه ، دون سلطانه .

---

(٤٨) ص ١٨.

(٤٩) ص ٢٥ .

(٥٠) ص ٣٦ .

(٥١) ص ٦ .

(٥٢) ص ١٧ .

(٥٣) ص ١٢٩

٥ - الحاجب المصحفى ، رئيس الوزراء :

المسئول عن كل شىء فى الدولة أمام الخليفة يعرض عليه أمورها أولا بأول ، كان من خير الماكرين[٥٤] ، يمتاز بالذكاء وحسن التدبير ، إلا أنه نفس على ابن أبى عامر ما امتاز به هو الآخر ، حتى فاقه كما أنه أساء إلى نفسه وإلى الدولة ، عندما ولى ابنه عثمان أمر الشرطة فى قرطبة [٥٥] ، كما أن القاضى المشرف على أمور التموين وصاحب الحسبة كان صهره [٥٦] ، فاضطربت الأحوال فى قرطبة ، مما أغضب الملكة عليه ، لأنه ولى الأقرباء ، بدلا من الأكفاء ، ثم أعماه سلطان الدنيا الزائل بعد أن أحس بفشله فى سياسة الأمور ، ورأى نجم ابن أبى عامر يتألق فى سماء قصر الخلافة ، فتقتله الغيرة والحسد ، فبدأ ينصب له الشباك ويدس له الدسائس[٥٧] وأخيرا : أخذ الشىء الكثير من أموال الدولة لنفسه ، مما أدى به إلى المحاكمة ، فمصادرة أمواله وأملاكه ، ثم السجن[٥٨] .

٦ - القائد غالب ، أبو تمام الناصرى :

فارس الأندلس وقائدها المظفر[٥٩] ، قضى على دعاة مذهب الباطنية فى المغرب[٦٠] دعاة الفتنة الذين كانوا يتاجرون بالدين والدين منهم براء[٦١] ، عسكرى حازم جاد دائما[٦٢] ، ولكنه فى آخر حياته نفس السلطان على المنصور صهره وزوج ابنته أسماء ، واستعان عليه بأمير ليون[٦٣] ، ولكنه وقع من فوق فرسه ، فدق عنقه فى أحد ميادين القتال[٦٤] .

---

(٥٤) ص ١٠ .
(٥٥) ص ١٩ .
(٥٦) ص ٢١ .
(٥٧) ص ٦٨ .
(٥٨) ص ١٠٥ .
(٥٩) ص ٢٥ .
(٦٠) ص ١٨ .
(٦١) ص ٢٦ .
(٦٢) ص ٥٢
(٦٣) ص ٢٦ .
(٦٤) ص ١١٢ .

٧ - الحسين بن دويدة :

نديم القصر ومضحك الخليفة [٦٥] ، يداعبه ويمازحه ، تجرى على لسانه بعض الحكم والاقتباسات ، كقوله عن مرض الخليفة الحكم : أمراض الملوك ، ملوك الأمراض [٦٦] وكقوله : والصقالية : مثل النساء كيدهن عظيم[٦٧] ، فهو مقتبس من قوله عن نسوة يوسف : (إن كيدكن عظيم)[٦٨] وعن طريق تلك الفكاهات كان ابن دويدة يساعد فى تهدئة الجو وتلطيفه ، وعدم تعقد الأمور وتتلخص فلسفته فى : اضحك للدنيا تضحك لك[٦٩] .

٨ - جؤذر : أحد رؤساء الصقالبة :

وفى نفس الوقت وصيف من الوصفاء ، أراد أن ينقل الخلافة للمغيرة ، عم هشام ، بعد موت الخليفة الحكم ، ثم من بعده لهشام ، فيحدث بذلك فتنة وإراقة دماء فى بداية عهد هشام ، وكان هدفه من وراء ذلك أن المغيرة لن ينسى له ولأمثاله ذلك الفضل ، حيث آثروه على كل بنى أمية فى الأندلس ، ولن يطعموا منه فى مكافأة إلا الإبقاء على نفوذهم فى القصر ، وأن يظل الصقالبة - كما كانوا فى عهد الحكم - بين عظماء الدولة ، وأصحاب الخلوة مع الخليفة وحرمه وجواريه ، يديرون معه شئون القصر ، دون إقحام أنفسهم فى شىء مما يدور خارجه[٧٠] .

٩- فائق :

وصيف صقلى أيضا ، مثل جؤذر ، وإن كان على عكس صاحبه ، يخاف الفتنة وسفك الدماء[٧١] ، وليس ممن يؤمنون بالعنف ، ما أمكن تفادى العنف[٧٢] .

---

(٦٥) ص ١ من المسرحية .

(٦٦) ص ٤ ، السابق .

(٦٧) ص ٧ .

(٦٨) سورة يوسف من الآية ٢٨ .

(٦٩) ص ٣ من المسرحية.

(٧٠) ص ٣٣ .

(٧١) ص ٢٨ .

(٧٢) ص ٢٩

١٠- أوراكا :

شخية مرتجلة فى المسرحية ارتجالا ، لم يرد لها ذكر فى كتب الأدب والتاريخ ، وهى وصيفة الملكة[٧٣] ، تلازمها فى كل شىء على قدر من الحيلة وحسن التدبير[٧٤] .

١١ - المغيرة :

أخو الخليفة الحكم ، وأعقل الأمراء بين بنى أمية[٧٥] ، رجل ناضج حازم[٧٦] ، يتوق للخلافة ويتمناها ، حتى لو استطاع أن ينصب نفسه خليفة على ألف من الناس فقط لفعل [٧٧] ، انتهت حياته بالقتل فى بيته ، بأمر من الحاجب المصحفى ، الذى قال لجنود ابن أبى عامر : لن تستقيم الأمور لهشام مادام المغيرة حيا ، بعد أن بعث إليه (المغيرة) جؤذر وفائق من الصقالية يعرضون عليه الخلافة فقبض على الرسول فى الطريق ، وعرف عن طريقه كل شىء .

أما صفات المنصور – بطل المسرحية – من خلال النص ، فيمكن إجمالها فيما يلى :

(أ) **الشجاعة والإقدام :** فقد خاض المنصور خمسين موقعة حربية ، انتصر فيها جميعا[٧٨] وكان مسك الختام موقعة سانياجو ، وقد أعجبت (أوراكا) وصيفة الملكة بشجاعته حين سمعت بنصره فى حرب الفرنجة، فاقترحت لقب : المنصور ، فى حديث لها مع ابن دويدة ، مضحك الملك ، قائلة : منصور ، منصور دائما هذا الوزير [٧٩] ، وذكرت هذا اللقب أمام الملكة قائلة : لن يخذل أبدا قائدنا المنصور ابن أبى عامر ، فأعجبت الملكة قائلة : هذا لقب جميل كيف وقفت عليه[٨٠] ؟

---

(٧٣) ص هـ .
(٧٤) ص ١٣ .
(٧٥) ص ٣٢ .
(٧٦) ص السابق .
(٧٧) ص ٣١ .
(٧٨) ص ١٨٨ .
(٧٩) ص ٧١ .
(٨٠) ص ٧٩ .

(ب) **الصدق فـى القول** : ويعد النظر بناء على ذكائه وفطنته لما كان يدور حوله من أحداث فى قصر الخلافة فقد توقع من الصقالية الفتن والدسائس ، وأخبر بها كبار المسئولين فى القصر ، وحدث ما أخبرهم به ، وإليك موقفا يبين ذلك :

المصحفى : (وحده) صح والله حدسى فى هؤلاء الصقلية وصدق ابن أبى عامر حين حدثنا عن نواياهم(٨١) .

(جـ) **اللين ، وحقن الدماء** : ومثال ذلك موقفه من المغيرة عم هشام بعد وفاة والده الخليفة الحكم ، إذ رأى الحاجب المصحفى قتله ، حتى لا ينازع هشاما الخلافة قائلا : لن تستقيم الأمور لهشام مادام المغيرة حيا ، أما ابن أبى عامر فقد تمثل رأيه فى قوله : إنما رأيت الصدق فى قوله ، والندم فى نبرات صوته فجئت استشفع الحاجب فيه ، حقنا للدماء وإيثار لوحدة الكلمة بين العرب والمسلمين(٨٢) .

(د) **يحب مجالسة العلماء والأدباء والشعراء** : ويجزل لهم الاعطيات ، وكان بذلك يحاول أن يعيد فى الأندلس مجالس عبد الملك ابن مروان والرشيد ، وإليك موقفا يبين ذلك : **ابن نويدة** : لا قيمة لكم أيها الشعراء فى هذه الدولة بغير المنصور ، انظروا : أنه يتخذ تقليد جديدا ، فيه تكريم لكم واعتزاز بكم سيجتمع بكم ليلة كل أسبوع ، وأنظموا ما توحى به شياطينكم ، وتنافسوا فيما بينكم فجوائز المنصور وفيرة ، يسيل لها اللعاب ، وتجحظ من أجلها العيون(٨٣) .

(هـ) **كان يرى أن الحاكم لابد أن ينزل على رغبة شعبه** : وأن يسوس الأمور على ما يحب ويهوى ، لكى يجنب الأمة الفتن ، وإليك موقفه عندما شاعت العامة مطالبته بإحراق كتب الفلسفة لأنها تمثل – فى نظرهم – كتب الإلحاد والضلال ، ويدلل على ذلك بقوله :

---

(٨١) ص ٤٥ من المسرحية .
(٨٢) ص ٥٠ .
(٨٣) ص ١٣٩ .

المنصور : لسنا والله إلا خدام هذا الشعب ، يسوى الأمور على ما يحب ويهوى ، والله لأخرسنَّ الألسنة ، ولأجنِّبنّ أمتنا هذه الفتنة ، (يخرج من الشرفة) .

بقى أن نشير – فى نهاية عرضنا لهذه المسرحية[٨٤] إلى بعض الآراء الإصلاحية من خلال أحداثها :

١ – الحاكم المستنير عليه أن ينظر فيما يجعل الناس يشكون ، فيقضى على أسباب شكواهم ، أولا فأول ، ويرفع عنهم ما يعانون منه فبذلك يكسب ودهم بدلا من سخطهم وكراهيتهم له ، وخاصة الأشياء الأساسية والفردية لمعاشهم ، وهذا ما فعله المنصور عندما وعد الطوائف الثائرة ، بأن يستصدر لهم أمرا من الخليفة بإسقاط ضريبة الزيت ، لأنه غذاء الشعب . انظر إليه يقول فى ذلك[٨٥] : ولما بعث الأمل فى إسقاط ضريبة الزيت ، هتفوا بحياة مولاى ومولاتى ، وبدا البشر على أسارير محياهم .

٢ – يجب على الحاكم أن يعامل الرعية باللين ، لا بالقسوة ، فيقول المنصور[٨٦] : وخير لنا أن تهدأ النفوس وتطمئن القلوب بين رعايا الخليفة من أن تأخذهم بالقسوة والعنف .

٣ – الرقابة الجيدة والمستمرة على من يتلاعبون بأقوات الشعب ، وإذا كانوا هم ماكرين فليكن الحاكم أمكر[٨٧] ، وتلك هى الرقابة ، وهى خير من النفى لهؤلاء المتلاعبين والتشهير بهم[٨٨] .

٤ – القضاء على أية مشكلة يكون بدراسة أسبابها دراسة علمية ، وكذلك الدافع إليها ثم اقتراح الحلول الملائمة الممكنة ، وكذلك اقتراح المنصور للقضاء على مشكلة التسول ، حيث بين أن سببه : البطالة والفقر ، وللتغلب على ذلك : اقترح للقادر منهم البحث عن عمل يرتزق منه ، أما العاجزون : فتؤسس لهم الملاجىء والتكايا[٨٩] .

---

(٨٤) ص د . على سيد جعفر ، مرجع سابق ، ص ٤٩ : ٥٠

(٨٥) ص ٢٠ .

(٨٦) ص ٢٠/٢١

(٨٧) ص ٢٤ .

(٨٨) ص ٢٢ .

(٨٩) ص ٢٣ .

٥ – كيف يقضى على لصوص الليل ؟ اقترح المنصور لذلك : أن يتولى أمرهم العسس بالليل ، واليقظة فى حراسة الأمن[٩٠] .

٦ – فساد أحوال الأمم ينجم – فى أحيان كثيرة – عن تولية الأقارب غير الأكفاء زمام الأمور ، استمع إلى الملكة للحاجب المصحفى فى ذلك[٩١] ، وليت ابنك عثمان شرطة قرطبة فأفسدها ، وعلاج الأمر يكون بتولية الأكفاء لا الأقرباء .

٧ – من لم يرع الأمانة التى وكلت إليه ، وعبث بحقوق الأمة ، وبدد أموالها من الحكام ، يجب أن يلقى جزاءه ، وأن يكون عبرة ، وهكذا كان الحاجب المصحفى[٩٢] .

٨ – عدم التدخل فى شئون القضاء من جانب الحاكم : يضمن حسن سير الأمور، وهذا أول واجبات الحكام ، حتى مع أقرب الأقرباء منهم ، وهكذا كان حال المنصور مع ابنه عبد الله ، الذى تآمر مع حاكم (قشتالة) ضد أبيه ، فأودعه السجن ، قائلا سيزداد الناس ثقة بعدلي ورغبتى فى المساواة بين الناس[٩٣] .

تعقيب :

وإذا كنا عرضنا من قبل – فى بداية هذا (الفصل) لخصائص الأديب المبدع (الفنان) الذى يمضى – فى عمله الأدبى المكتوب – يحاول التعبير بطريقة فنية ميسرة .. إلى جانب الأساس النفسى الذى هو « مصدر » التجربة الشعورية التى تدفع الكاتب إلى محاولة التعبير عنها تعبيرا مجسدا ، وإذا كنا أدركنا – فى ذات الوقت – أن الفن – أو بالأحرى العمل الأدبى يمكن أن ينبثق عن « التصور الإسلامى » .. والاعتماد على الإيحاء بدلاً من التقرير والمباشرة ، فإذا كنا أدركنا ذلك ، فإنه بوسعنا أن نقرر أن تلك المواصفات « الفنية » قد توافرت إلى حد كبير فى عملى الدكتور إبراهيم أنيس المسرحيين سواء تجربته الإبداعية الأولى (إيناس أو ضحية المجتمع) أو تجربته الثانية (المنصور الأندلسى) التى جاءت بعدها بسنوات طويلة !!.

---

(٩٠) نفسه .

(٩١) ص ٧٥

(٩٢) ص ١٠٤/١٠٥

(٩٣) ص ١٧٠/١٧١

الباب الثانى

قراءة فى مؤلفات الدكتور إبراهيم أنيس اللغوية

الفصل الأول

الأصوات اللغوية

- ظاهرة الصوت وما يتعلق به .
- « لغة الضاد » وسر التسمية !!
- ظاهرة المماثلة عند سيبويه وابن جنى .
- التطور التاريخى للأصوات .
- الطفل والأصوات اللغوية .
- عوامل تطور الأصوات اللغوية .
- أثر العادات الصوتية فى تعلم اللغة الأجنبية .

الفصل الأول

الأصوات اللغوية

فى الفصل الذى تحدثنا فيه عن (إبراهيم أنيس درعميًا) أشرنا إلى بحوثه ومؤلفاته اللغوية ، إشارة مقتضبة اقتضاها المقام هناك .

ولكننا فى هذا الفصل (سنعرض لمؤلفات الدكتور إبراهيم أنيس اللغوية ، التى آثرت المكتبة اللغوية والعربية ولا تزال حتى الآن ، ملتزمين فى ذلك بأسبقية تاريخ النشر على النحو التالى :

١ – الأصوات اللغوية[١] .

٢ – فى اللهجات العربية[٢] .

٤ – موسيقى الشعر[٣] .

٤ – من أسرار اللغة[٤] .

٥ – دلالة الألفاظ[٥] .

٦ – مستقبل اللغة العربية المشتركة[٦] .

٧ – طرق تنمية الألفاظ فى اللغة[٧] .

٨ – اللغة بين القومية والعالمية [٨].

---

(١) صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٤٦ م ، عن مطبعة نهضة مصر ، القاهرة .
(٢) صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٤٧ م ، نشر دار الفكر العربى ، القاهرة .
(٣) صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٤٩ م ، عن مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة .
(٤) صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٥١ م ، عن مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة .
(٥) صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٥٨ م ، عن الأنجلو المصرية ، القاهرة .
(٦) صدرت طبعة وحيدة منه عام ١٩٦٠ م ، خاصة بمعهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، بالقاهرة .
(٧) صدرت طبعة وحيدة منه عام ١٩٦٦ م ، عن معهد الدراسات العربية ، بالقاهرة .
(٨) صدر هذا الكتاب فى طبعة واحدة ، عام ١٩٧٠م ، عن دار المعارف ، بمصر . وقد خصصنا له فصلا مستقلا فى هذا الكتاب .

الأصوات اللغوية :

بين يدينا الطبعة الرابعة من هذا الكتاب الصادرة فى عام ١٩٩٥ م ، ويقع الكتاب فى نحو مائتين وثمانية صفحة من القطع المتوسط ، ويضم بين دفتيه أحد عشر فصلاً ، وثلاث مقدمات ، نرجىء الكلام عنها لحين الفراغ من عرض (مضامين) فصول الكتاب برمته فى الفصل الأول (ظاهرة الصوت) .. يتناول فيه الدكتور إبراهيم أنيس أربعة أمور رئيسية وهى الصوت كظاهرة طبيعية ، والصوت الإنسانى– هو ككل الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها فى الغالب الحنجرة ، لدى الإنسان . ثم يعرض لكيفية بدء الصوت اللغوى ، وهو بحث طويل اضطربت فيه أقوال القدماء والمحدثين .. ويبين كذلك مدى أهمية « السمع » فى إدراك الصوت اللغوى ومن ثم تميزه .. فالسمع – كما قال ابن خلدون فى مقدمته المشهورة « .. السمع أبو الملكات اللسانية » .

وفى الفصل الثانى يعرض الدكتور إبراهيم أنيس لأربعة أشياء أخرى تتعلق بالأصوات اللغوية ، وهى : أعضاء النطق وأجزاؤها المتباينة .. ثم جهر الصوت وهمسه ، فالصوت المهموس هو الذى لا يهتز معه الوتران الصوتيان ، ولا يسمع لهما رنين أثناء النطق به ، وكذلك يبين (شدة الصوت ورخاوته) .

أما المسألة الأخيرة فى هذا الفصل فهى تناول الدكتور أنيس – رحمه الله – للأصوات الساكنة وأصوات اللين التى قسمها المحدثون إلى قسمين رئيسيين ، سموا الأول منهما بـ CONSONANTS ، والثانى بـVOWELS ، وأصوات اللين فى اللغة العربية هى ما اصطلح القدماء على تسميته بالحركات : من فتحة وكسرة وضمة ، وكذلك ما سموه بألف المد ، وياء المد ، وواو المد ، وما عدا ذلك فأصوات ساكنة .

أما الفصل الثالث من الكتاب فقد عرض فيه الدكتور أنيس لـ « مقاييس أصوات اللين » وضبطها من قبل علماء الأصوات اللغوية فى اللغات الأجنبية ، كالفرنسية والألمانية ، وكذلك أصوات اللين فى اللغة العربية ، حسبما أشار إليها ابن جنى فى كتابة « سر صناعة الإعراب فى قوله : « اعلم أن الحركات أبعاض لحروف المد واللين ، وهى الألف والواو والياء ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث وهى : الفتحة والكسرة والضمة .. » .

كمـا عرض المؤلف لما سمـاه بـ « أشبـاه أصـوات اللين » وهمـا صـوتان أصطلح علماء العربية على تسميتها بالياء والواو فى مثل (بيت ، يوم) .

وفـى الفـصل الرابـع من الكـتـاب يـعـرض الدكـتـور أنيـس - رحمـه الله - لـ « الأصـوات السـاكنة ومـخـارجـهـا وصـفـاتـهـا » فـتـحـدث فى ذلك عن نوعـين مـن الأصوات ، أولهما :

الأصوات الشـفوية (اليـاء) و (الميم) والصوت الشفوى الأسنانى وهـو (الفاء) ، ثم المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخـارج ، وأفراد هـذه المجمـوعة هى : (الذال ، الثاء ، الظاء ، الدال ، الضاد ، التاء ، الطاء ، اللام ، النون ، الراء ، الزاى ، السين ، والصاد) .

على أن مـا يستوقفنا فى هذا الصدد هو حديث الدكتور إبراهيم أنيس المسهب عند (الضـاد) التى ننطق بها الآن فى مصر وهـى لا تختلف عن الدال فى شىء سوى أن الضاد أحد أصوات الإطباق .

ثم يـقـول الدكتـور أنيس « قـد يـدهـش بعض المصـريين وأهل الشـام وجـهـات أخرى فى البـلاد الـعربية لهـذه التسمـيـة « لغـة الضـاد » ، ويتسـاءلون عن السر فـيـهـا ، ولا سـيـمـا بعـد أن يتصلوا باللغـات الأوروبيـة ، فيروا أن بعض هذه اللغـات تتضمن من الأصوات مـا يشبـه نطقهم بالضـاد ، ففى الإنجليـزية مـثلا كلمـات مثل : DARLING, DOES وغيرهما ..

وبعـد أن ينـاقش د . أنيـس علمـاء اللغـة القـدامى فى مـسـألة اخـتـصـاص اللغـة العـربيـة ، بهـذه التسمـيـة « لغـة الضـاد » .. ينتـهى إلى القـول : « ليس الأمـر إذن مـقصـورا على الضــاد ، فقـد تعـثـر الأعـاجم فى صـدر الإسـلام فـى النطق بأصـوات عربية أخرى أكثر مـن تعـثرهـم فـى النطـق بالضاد أمـا تسمـية العربيـة بلغة الضـاد فـقـد ظـهـر لنا أنهـا ترجـع إلى القرن الرابـع الهـجـرى ، فـقـد شـاعت وذاعت حـينئـذ للتـمـيـيـز بين العـرب وغـيـرهـم من الفـرس والأتراك وكـان هذا فـى بغـداد ، ومنهـا انتقـلت هذه التسـمـيـة إلى البـلاد العـربيـة الأخـرى ، وأصبـحت قضـيـة مـسلمـة دون تفكـير فى أصـل منشئها ، ودون اهـتداء إلى المسـئول الأول عنها » .

(ص ٦٢ من الكتاب) .

وفى الفصل الخامس من الكتاب يعرض الدكتور إبراهيم أنيس « ملاحظات حول دراسة القدماء من علماء العربية للأصوات » .. مثل : الخليل ابن أحمد الفراهيدى (ت حوالى سنة ١٧٤ هـ) ثم سيبويه وما جاء فى كتابه المعروف (بالكتاب) .. كما عرض د . أنيس قبل نهاية هذا الفصل « نصوصا من كتب أربعة مشهورة لعلماء اللغة هناك بهدف تسهيل المقارنة بين علاجهم للأصوات فى عصور مختلفة ، وفى مقدمتهم ، نص : سيبويه ، ويجانبه نص ابن جنى فى سر صناعة الإعراب ، ثم نص ابن يعيش شارح المفصل ، وأخيرا نص ابن الجزرى صاحب كتاب النشر فى القراءات العشر .. (انظر : ص ١٢٩ - ١٣٧ من الكتاب) .

وختم الدكتور أنيس هذا الفصل بالحديث عن (ابن سينا وأصوات اللغة) ، حيث يرى أنه عالجها علاجا فريدا لا يشركه فيه أحد من العلماء القدماء ، وقد بدأ اهتمام الدارسين بكلام ابن سينا فى هذا الصدد ، خلال القرن العشرين .

وبعد أن يعرض رسالة ابن سينا وما تتضمنه من فصولها الست .. ينتهى إلى القول بأن « ابن سينا قد عالج اللغة وحروفها ، فربط الأصوات المنطوقة وغير المنطوقة ربطا أساسه تجاربه الخاصة فى اللغات التى عرفها وأصوات الطبيعة فى بيئته وأساسه أيضا مزاجه الشخصى ، وخياله الخصب وكل ما ينتمى إلى الجانب النفسى السيكولوجى فى ابن سينا ، ولذلك لا يصح - فى رأى د . أنيس - أن يؤخذ حكمه هنا (أى فى الفصل السادس من رسالته المذكورة) على أنه حكم عام ، لأنه لا يعدو أن يكون تفسيرا ذاتيا شخصيا لابن سينا نفسه ..) (ص ١٥٣ من الكتاب) .

فى الفصل السادس (طول الصوت اللغوى) يشير الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - إلى عناية المحدثين فى تجاربهم بمعرفة طول الصوت اللغوى ، سواء كان صوتا لينا أو صوتا ساكنا ، ويعنى بطول الصوت الزمنى الذى يستغرقه النطق بهذا الصوت ، مقدرا عادة بجزء من الثانية ، فقد قدر هؤلاء المتحدثون أن « الدال » المتطرفة فى الكلمات الإنجليزية تستغرق فى النطق بها حوالى ٠,٠٥ من الثانية فى حين أن صوت اللين (A) يستغرق مدة أطول هى حوالى ٠,٤٣ ومن الثانية ، ولطول الصوت أهمية خاصة فى النطق باللغة نطقا صحيحا فالإسراع بنطق الصوت ، أو الإبطاء به ، يترك فى لهجة المتكلم أثرا أجنبيا عن اللغة ، ينفر منه أبناؤها ، وليس من الضرورى - كما يقول د . أنيس - أن يعرف المرء مقدار الزمن الذى يستغرقه نطق

كل صوت ليصح نطقه ، بل إن المران السمعى يكفى عادة فى ضبط هذا الطول دون حاجة إلى المقاييس الآلية .

ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن (المقطع الصوتى) الذى يقسم فيه الكلام إلى مقاطع صوتية ، عليها تبنى – فى بعض الأحيان – الأوزان الشعرية ، وبها يعرف نسيج الكلمة فى لغة من اللغات .

والمقاطع الصوتية نوعان : متحركة "CPEN " وساكن CLOSED . والمقطع المتحرك هو الذى ينتهى بصوت لين قصير أو طويل ، أما المقطع الساكن فهو الذى ينتهى بصوت ساكن ، فالفعل الماضى الثلاثى « فتح » يتكون من ثلاثة مقاطع متحركة ، فى حين أن مصدر هذا الفصل « فتح » يتكون من مقطعين ساكنين .

ثم يتحدث الدكتور أنيس بعد ذلك عن (النبر STRESS) وهو نشاط فى جميع أعضاء النطق فى وقت واحد .. ونطق اللغة – كما يقرر – لا يكون صحيحا إلا إذا روعى فيه موضع النبر . « ومع ذلك ليس لدينا من دليل يهدينا إلى موضع النبر فى اللغة العربية ، كما كان ينطق بها فى العصور الإسلامية الأولى ، إذ لم يتعرض له أحد من المؤلفين القدماء (ص ١٧٢ من الكتاب) . والجزئية الرابعة فى هذا الفصل ، والتى تحدث عنها الدكتور إبراهيم أنيس « موسيقى الكلام INTONATION " حيث يذكر أنه لسوء الحظ لم يهتد موسيقيونا إلى السلم الموسيقى فى غنائنا ، أو بعبارة أخرى لم يتفقوا عليه ، ولهذا يفضل ترك الحديث عن موسيقى الكلام العربى إلى مجال آخر(*) .

وختم كلامه – هنا – بالحديث عن انتقال النبر ، حيث قد يطرأ على الكلمة من الأحكام اللغوية ما يستوجب انتقال النبر من موضعه إلى مقطع قبله ، أو آخر بعده من الكلمة فاشتقاق كلمة من أخرى – مثلا – قد يؤدى إلى تغير موضع النبر ، فالفعل الماضى (كتب) يحمل المنبر على المقطع (ك) فإذا جئنا بالمضارع (يكتب) لاحظنا أن النبر قد انتقل إلى المقطع الذى يليه وهو (ت) وكذلك إذا اشتققنا من المصدر

(*) لعل الدكتور أنيس كان يقصد من ذلك الإشارة إلى ما كان ينوى تأليفه مستقبلا ، وهو كتابه (موسيقى الشعر) الذى صدرت طبعته الأولى بسنة ١٩٤٩ م ، أى بعد ذلك بثلاث سنوات (المؤلف) .

(انكسار) فعلا ماضيا مثل (انكسر) نلحظ أن النبر ينتقل إلى المقطع الذى قبله ، لأنه فى الكلمة الأولى على المقطع (سا) وفى الثانية على المقطع (ك) .. وهكذا .

فى الفصل السابع يتحدث الدكتور أنيس – رحمه الله – عن « المماثلة ASSIMILATION .. والأصوات – فى تأثرها – تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها ، ليزداد مع مجاورتها قربها فى الصفات أو المخارج . ويسمى د . أنيس هذا التأثير بالانسجام الصوتى بين أصوات اللغة ، وهى ظاهرة شائعة فى كل اللغات بصفة عامة ، غير أن اللغات تختلف فى نسبة التأثر وفى نوعه ، ويوضح د . أنيس أن اللغة العربية فى تطورها إلى لهجات الكلام الحديثة مالت ميلا كبيرا إلى هذا التأثر[9] . ويعرض الدكتور أنيس بعد ذلك – فى نفس الفصل – للأمثلة القرآنية الجائز فيها الإدغام فى أصوات اللغة ، حيث يمكن إدغام صوت فى آخر فى اللغة العربية ، وذكرت من تلك الأصوات التى تدغم فى مجانسها أو مقاربها – كما رويت لنا فى الأمثلة القرآنية ، وكتب القراءات : « الباء ، التاء ، الظاء ، السين ، الصاد ، الزاى .

كما تدغم « التاء » إدغاما كبيرا فى الأصوات الآتية : الذال ، الشين ، الضاد ، الطاء[10] ، .. أما (التاء) فتدغم إدغاما صغيرا فى الأصوات الآتية : السين ، الشين ، الضاد ، وتدغم الجيم فى صوتين إدغاما كبيرا فى : الشين ، التاء .

أما الدال فتدغم إدغاما صغيرا فى الأصوات الآتية : الذال ، الظاء ، الضاد ، الجيم ، الشين ، السين ، الزاى ، الصاد ، الثاء ، وأما الذال فتدغم إدغاما صغيرا فى الأوصات الآتية : التاء ، الدال ، الجيم ، السين ، الزاى ، الصاد . كما تدغم الراء فى حالة اللام فقط ، كما فى قوله تعالى (**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**)[11] . والذى يبرر الإدغام هنا هو قرب المخرج مع اتحاد فى الصفة ، لأن كلا منهما صوت متوسط بين الشدة والرخاوة[12] ... أما السين

(٩) انظر فى تفصيل ذلك (ص ١٨٣ – ١٨٨) .
(١٠) انظر : للمزيد والتفصيل ، المرجع السابق ، ص ١٩٠ – ٢٠٤ .
(١١) سورة ال عمران الآية / ٣١ .
(١٢) د . أنيس المرجع السابق ، ص ٢٠٠

فتدغم – كما يقول د . أنيس – إدغاما كبيرا فى صوتين هما الزاى والشين ، وأما (الفاء) فتدغم فى صوت واحد الباء فى مثل واحد فى القرآن الكريم هو : **إن نشأ نخسف بهم الأرض**[١٣] ولم يرو الإدغام هنا إلا عن الكسائى ، فى حين أن باقى القراء أظهروها .

كما تدغم (القاف) إدغاما كبيرا فى صوت واحد ، وهو الكاف ، مثل قوله تعالى (**وقد خلقكم أطواراً**)[١٤] وأيضا تدغم الكاف فى صوت واحد وهو القاف مثل قوله تعالى (**ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون**[١٥] وقد اشترط الفراء من إدغام القاف فى الكاف ، أو العكس ، أن يكون قبل الصوت المدغم متحرك أما (اللام) .. فكثرة شيوعه فى اللغة العربية ، طرأ عليه ما لم يطرأ على غيره من الأصوات الساكنة ، إذ نلحظ سرعة تأثره بما يجاوره من الأصوات وميله إلى الفناء فى معظم أصوات اللغة ، « فلام التعريف ، كما يقول « المبرد » فى « المقتضب » تدغم فى ثلاثة عشر صوتا ، ولا يجوز فى اللام معها إلا الإدغام ، فإن كانت اللام غير لام المعرفة جاز إدغامها فى جميع هذه الأصوات الثلاثة عشر .. وقد رويت لنا اللام التى ليست للتعريف مدغمة فى الأمثلة القرآنية فى عشرة أصوات فقط هى : الراء ، التاء ، الثاء ، الزاى ،السين ، الضاد ، الطاء ، الظاء ، النون ، الذال . ومن أمثلتها فى القرآن الكريم – كما يذكر د . أنيس – هى الترتيب التالى[*] :

غير أن الدكتور / إبراهيم أنيس يختم هذا الفصل بذكر « إشارة سيبويه إلى ظاهرة المماثلة » بعرض سريع لها كما وردت فى كتابه ، ثم ترددت بعد ذلك فى « الخصائص » لابن جنى ، ولكنه يسجل ملاحظة على سيبويه فى هذا الصدد وهى أنه « يقصر كلامه فى المضارعة على حرف واحد هو الصاد حين تليها « الدال »[١٦]، أما الفصل الثامن

(١٣) سورة سبأ ، الآية / ٩ .

(١٤) سورة نوح ، الآية / ١٤ .

(١٥) سورة البقرة ، الآية / ٣٠ .

(*) سورة هود ، الآية /٨١ ، سورة المائدة ، الآية ٥٩ ، سورة المطففين ، الآية / ٣٦ ، سورة الرعد ، الآية /٣٢ ، سورة يوسف ، الآية / ٨٣ ، سورة الأحقاف ، الآية /٢٨ ، سورة النساء ، الآية / ١٥٦ ، سورة الفتح ، الآية / ٤٨ ، سورة الأنبياء ، الآية / ١٨ ، سورة آل عمران ، الآية / ٢٨ .

(١٦) المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

من الكتاب (التطور التاريخي للأصوات) فيشير فيه الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - إلى أن أصواتا أخرى من أصوات اللغة العربية قد أصابها نوع من التطور التاريخي ، حتى صارت إلى النطق الحديث فى لغة الكلام الآن .

ويذكر أن المقام هنا يضيق عن استقصاء هذا (التطور للأصوات) فى كل اللهجات العربية الحديثة ، ولهذا يكتفى بضرب بعض الأمثال ، ومن ذلك : تطور الجيم العربية الفصيحة إلى الجيم القاهرية الخالية من التعطش ، أو الجيم الشامية الكثيرة التعطش ، كما يرى د . أنيس أن « المخالفة » DISSIMILATION ، من التطورات التى تعرض أحيانا للأصوات اللغوية ، حيث إن الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة ، فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين .

ويشير فى هذا إلى أن البحوث التى قام بها علماء الأصوات دلت على أن ظاهرة « المخالفة » هذه قد شاعت فى كثير من اللغات السامية ، وليست هذه الظاهرة إلا تطورا تاريخيا فى الأصوات ، (ص ٢١١ من الكتاب) غير أن د . أنيس يذهب إلى أن علماء العربية القدماء ، لم يفطنوا لهذه الظاهرة ، أو على الأقل ، لم يولوها ما تستحق من عناية ، واضطرب تفسيرهم لها .

ويخلص من ذلك إلى أن الأصوات - فى تطورها - تهدف إلى الاقتصاد فى الجهد العضلى ، فالمماثلة تقرب بين الأصوات المتجاورة فى الصفة والمخرج ، وإن كان يرى أن المخالفة قد تكون فى النادر من الأحيان بين الأصوات الشديدة ، مثل (إجار) التى تروى فيها (إنجار) وكلاهما بمعنى سطح المنزل .

وفى الفصل التاسع (الطفل والأصوات اللغوية) يتناول الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - تطور الصوت « اللغوى » عند الطفل ، حيث يبدأ الطفل - عادة - فى نهاية العام الأول بتقليد أصوات الكبار حوله تقليدا ناقصا بطبيعة الحال ، وهى المرحلة التى تعنينا فى بحث أصوات الأطفال اللغوية .

ويرى أن « السر » فى بدأ الطفل فى تلك المرحلة من حياته بالأصوات الشفوية ، إنما يرجع لأن عضلات النطق بها فى نفس العضلات التى يستخدمها فى

الرضاعة ، كما يوضح أن الطفل – أيضا – يتلمس أيسر الطرق ، ومالا يكلفه جهدا عضليا ، وهو لهذا لا يميل إلى توالى صوتين أحدهما مجراه الأنف كالميم والنون ، والآخر مجراه الفم كباقى الأصوات ، وإنما يميل – الطفل – إلى جعل مجرى كلا الصوتين المتجاورين إما من الفم فقط ، أو من الأنف فقط . (ص ٢٢٠ من الكتاب) .

ويذكر الدكتور أنيس أنه حينما نستعرض الكلمات التى تعبر عن الأمومة فى كل لغات البشر نجد عنصرها الأساسى فى غالب الأحيان هو صوت « الميم » ، وفى بعض الأحيان « الباء » ، بل قد يكون « النون » أيضا ، ففى الإنجليزية MOTHER والفرنسية MERE ، والعربية « أم » ، وفى اللغات السلافية نجد « الباء » هى العنصر الأساسى للكلمات التى تعبر عن الأمومة ، وفى السنسكريتيه نجد (NANA) معناها الأم ، ومثل هذا ما شاع فى بعض البيئات المصرية ، أمثال : NENA ، التى جاءت إلينا من التركية .

وأوضح أيضا أن الكلمات التى تدل على الأبوة تكاد تشترك فى عنصر أساسى بين لغات البشر ، وهو « الباء » أو مهموسها PAPA - BABA ، التى منها جاءت الإنجليزية FATHER والفرنسية PERE ، فقد تطورت الباء المهموسة إلى فاء فى الكلمات الإنجليزية ، وهو أمر تقرره القوانين الصوتية ، كذلك نرى العربية والعبرية والسريانية تحتفظ بالباء كعنصر أساسى للكلمات التى تعبر عن الأبوة ، وقد يكون العنصر الأساسى فى معنى الأبوة صوتا آخر مثل الدال فى DADA الإنجليزية ، وقد تعبر عن المربية ... (ص ٢٢٩ من الكتاب) .

أما الفصل العاشر (عوامل تطور الأصوات اللغوية) فيهدف منه الدكتور إبراهيم أنيس – رحمه الله – إلى الحديث عن تلك الظاهرة المتمثلة فى الفرق بين لغة السلف والخلف ، ولم تتغير بيئة اللغة أو ينزح إليها غير أهلها ، وهو هنا يقتصر – فقط – على عرض التطور الصوتى ، تاركا تطور القواعد النحوية ، وتطور الدلالة بين معانى الكلمات لبحوث أخرى مستقبلة .

ويشير فى هذا الصدد – مع الأكثرين – إلى عدة أسباب اشتركت فى نشوء هذا التغيير ، ومن ذلك :

١- اختلاف أعضاء النطق .

٢ – البيئة الجغرافية .

٣ – الحالة النفسية .

٤ – نظرية السهولة(١٧) .

٥ – نظرية الشيوع ، والتى نادى بها « فلهلم تومسون » VILHELM THOMSEN وغيره من المحدثين ، وهى تقرر أن الأصوات التى يشيع تداولها فى الاستعمال ، تكون أكثر تعرضا للتطور من غيرها .

فالصوت اللغوى إذا شاع استعماله فى الكلام ، كان عرضة لظاهر لغوية ، كان القدماء يسمونها حينا إبدالا ، وحينا آخر إدغاما ، وقد يتعرض الصوت اللغوى الكثير الشيوع للسقوط من الكلام .

على أن الدكتور أنيس يولى اهتماما واضحا بنظرية (الشيوع) تلك ونظرية (السهولة) التى تنادى بأن الإنسان فى نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التى لا تحتاج إلى جهد عضلى ، فيبدل مع الأيام بأصوات لغته الصعبة نظائرها السهلة (ص ٢٤٣ من الكتاب) .

وقد دلل على ذلك بأنه – فى نظرة عجلى – عثر فى القاموس المحيط على ما يقرب من مائتى كلمة تؤيد ما ذهب إليه هنا ، والاشتراك فى المعنى بين هذه الكلمات ليس – كما يؤكد د . أنيس – مجرد مصادفة ، بل هى من الكثرة بحيث تدع اللغوى يفكر فى سر هذا الاشتراك ، ويحاول الكشف عنه ، وقد اكتفى – فى هذا المقام – بذكر بعض الأمثلة التى عثر عليها هناك (ص ٢٤٧ من الكتاب) .

بل إن الدكتور إبراهيم أنيس ذهب إلى أكثر من هذا حيث يقرر أنه استطاع – بنظرة سريعة – فى القواميس العبرية أن يعثر على كثير من أمثلة عبرية كالتى عثر عليها فى المعاجم العربية تؤكد كلامه عن نفس النظرية (٢٤٨ من الكتاب) ، أيضا يرى الدكتور أنيس – رحمه الله – أن تطور الأصوات يمكن يحدث فى « مجاورة

---

(١٧) انظر : للمزيد ، المرجع السابق ، ص ٢٢٢ – ٢٢٨ .

الأصوات » وذلك من خلال تلك المجموعة الكبرى التى تكاد تنحصر فى أفرادها ظواهر الإدغام والإبدال ، وهى سبعة - كما رواها الفراء - تشتمل على انتقال الصوت من مخرجه والانتقال فيها جميعا خلفى ، إذ قد انتقل الصوت من بين أفراد المجموعة الكبرى إلى أصوات وسط الحنك **وهذه الأمثلة السبعة هى** :

١- نضجت جلودهم .

٢- بأربعة شهداء .

٣ - حيث شئتما .

٤ - واشتعل الرأس شيبا .

٥ - لقد جاءكم .

٦ - قد شغفها حبا .

٧ - وإذ جئتم[١٨] .

ويوضح ذلك بقوله : (والانتقال فى الأمثلة الأولى ، يمكن أن يبرره وجود « الضم » الذى هو صوت لين خلفى يميل إلى اجتذاب الصوت الساكن معه إلى الخلف ، فكل من « الجيم » فى « جلودهم » و « الشين » فى شهداء » و « الثاء » فى (حيث) « والسين » فى « شهداء » و « الثاء » فى (حيث) و « السين » فى « الرأس » صوت ساكن مشكل بالضم ، أما الانتقال الخلفى فى الأمثلة الثلاثة الأخرى فيعد من الناحية الصوتية ظاهرة غريبة ولاسيما فى « إذ جئتم » (المرجع السابق نفسه) .

وأما الفصل الحادى عشر من الكتاب (أثر العادات الصوتية فى تعلم اللغات الأجنبية) ، وهو الفصل الأخير ، حيث يشير فيه إلى هناك عادات لغوية لابد من مرور أجيال عليها قبل أن يصيبها أى نوع من التغير أو التطور ، ومن مظاهر العادات اللغوية ثلاثة :

---

(١٨) المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .

١- بنية الكلمة : MORBHOLOGY

٢ - تكوين الجملة : SYNTAY

٣ - الصفات الصوتية :PHONETICS أو PHONOLOGY غير أن د . أنيس يركز - هنا - على هذا المظهر الثالث ، وهو المظهر الصوتى ، والذى يكاد يكون أوضح مظهر للعادات اللغوية ، وأكثرها رسوخا عند الأفراد .

وفى هذا الصدد يشير د . أنيس إلى أن المصريين كسائر الأمم لهم عادات لغوية خاصة بهم ، كونتها لغة كلامنا التى لقنها الطفل فى مراحل نموه ، وتكلم بها غلاماً فشاباً فرجلاً (ص ٢٦١ من الكتاب)

وننتهى من عرضنا لفصول كتاب « الأصوات اللغوية » إلى ما يقرره الدكتور / إبراهيم أنيس فيه من أنه :

« من الناحية العملية البحتة أيضا ، تعد عاداتنا اللغوية الأساس الذى نبنى عليه تعلم أية لغة من اللغات الأجنبية ، وأساتذة التربية فى مصر لن يستطيعوا أن يصفوا لنا الطريقة المثلى لتعلم اللغات الأجنبية ، ما لم يمدهم رجال اللغة بنتائج دراستهم لعادتنا اللغوية[١٩] .

وإذا كنا انتهينا من تقديم (عرض تحليلى) مجمل لأفكار وفصول هذا الكتاب للدكتور إبراهيم أنيس .. إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن فصول هذا الكتاب سبقها الدكتور أنيس ، بثلاث مقدمات ، أشار فى أولاها إلى حداثة تلك الدراسة فى مصر أولا والبلاد العربية ثانيا ، وأن القدماء من علماء العربية كان لهم بحوث فى الأصوات اللغوية ، أرادوا بها خدمة العربية والنطق العربى ، ولاسيما فى الترتيل القرآنى .

أما فى مقدمة طبعته « الثالثة » فأوضح أن منهجه (العلمى) فى هذا الكتاب يتخذ مسلكا مستقلا فى علاج أصوات اللغة ، حيث يجمع بين آراء القدماء والمحدثين ، ويقارن بينها ، كلما دعت الضرورة إلى هذا .

(١٩) المرجع السابق ، ص ٢٦٢ ، وانظر للمزيد (ص ٢٦٣ - ٢٧٠) .

وفى مقدمة طبعته الرابعة للكتاب ، كان من الطبيعى أن يعرب الدكتور إبراهيم أنيس عن مدى غبطته وسروره لأن كتابه هذا « الأصوات اللغوية » كان أول كتاب يؤلف باللغة العربية فى مجال الدراسات الصوتية للغة ، والتى تلاها بعض المتخصصين من مجال الطب فى مجال (الأنف والأذن والحنجرة) بدراسات مماثلة .

الفصل الثانى

فى اللهجات العربية

- تعريف الكتاب .
- اللهجة ومعناها .
- اللغة العربية قبل الإسلام .
- القراءات القرآنية واللهجات .
- تعليق .
- عناصر اللهجات العربية وقبائلها .
- صفات اللهجة بين البدو والحضر .
- اختلاف الدلالة البنية واللهجات .
- الترادف والاشتراك اللفظى والتضاد !!
- اللهجات الحديثة وخصائص اللهجة المصرية .
- أهم الاتجاهات الصوتية فى اللهجة المصرية .

الفصل الثانى

فى اللهجات العربية

هذا هو الكتاب الثانى للدكتور إبراهيم أنيس – رحمه الله – ويقع فى نحو مائتين وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، وبين أيدينا منه « الطبعة التاسعة » صدرت عام ١٩٩٥ م ، عن مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة .

ويحتوى على سبعة فصول ، وملحق يتضمن مجموعة « نصوص » عن اللهجات العربية القديمة مستمدة من معجم (لسان العرب) ويستوقفنا فى البداية إشارة د . أنيس فى مقدمة الطبعة الأولى للأسس العلمية التى يجب أن تقوم عليها دراسة اللهجات العربية وهى ثلاثة :

أولها وأهمها : كما يرى دراسة اللهجات العربية الحديثة دراسة مستفيضة فى كل البيئات العربية ، وإن كان هذا ليس بالأمر الهين ، كما يؤكد ، بل ليس من عمل فرد واحد ، وإنما هو من عمل الهيئات والجامعات ، لأنه يتطلب السفر إلى تلك البيئات والإقامة فيها زمنًا كافيًا للتعرف على خصائصها ومميزاتها ، فهناك لهجات مصرية ، وأخرى عراقية ، وثالثة شامية ورابعة مغربية ، وأخيراً لهجة بلاد الجزيرة العربية فى عصرنا الحالى .

وثانيها : دراسة القراءات القرآنية دراسة واسعة غير مكتفين فيها بما روى فى بطون الكتب بل يجب أن تطبق تلك الروايات على ما نسمعه فعلا من أفواه المجيدين للقراءات فى البيئات العربية المختلفة ، مستخدمين فى دراستنا النظريات الصوتية الحديثة ، والمقاييس والآلات التى تستخدم فى معامل علم الأصوات .

هذا إلى دراسة القراء وما روى عنهم ، والبيئات التى تأثروا بها أو نشأوا فى كنفها وما اختلطوا به من قبائل عربية .. إلخ .

وثالثها : جمع الروايات المتناثرة فى بطون اللغة والأدب ، مما يمت إلى اللهجات القديمة بصلة ، ثم تمحيصها وتحقيقها وإصلاح ما فسد منها فى رواية مبتورة ، أو رواية ممسوخة ، سالكين طريقة تتبع السند التى عنى بها علماء الحديث لنميز الحق من الباطل ، والصحيح من الزائف ، هذا بالإضافة إلى دراسة تاريخية

مستفيضة لتنقلات القبائل قبل الإسلام وبعده ، وبيئاتها الاجتماعية فى العصور المختلفة ، وما خالطت من أمم أو شعوب .

أما فصول الكتاب السبعة فبدأها الدكتور أنيس بالفصل الأول : معنى اللهجة فى الاصطلاح الحديث والقديم ، ومعنى اللغة فى ذات الاصطلاحين ، والعناصر التى تتميز بها اللهجة والعنصر التى تشترك بين لغات الفصيلة الواحدة اللغوية ، ثم كيف تتكون اللهجات ؟

وأثر الانعزال بين بيئات الشعب الواحد ، والصراع اللغوى نتيجة غزو أو هجرات لبعض الدول أو الشعوب .

ثم وحدة النطق فى البلاد العربية ، وكيف اختلف الحديث فى البلاد العربية ، وما هى نواحى هذا الاختلاف ووسائل توحيد النطق اللغوى ؟!

ومن أبرز النقاط الجديرة بالوقوف عندها فى هذا الفصل هى : حديث الدكتور إبراهيم أنيس عن (اللهجة ومعناها حيث يقول : اللهجة فى الاصطلاح العلمى الحديث هى مجموعة من الصفات اللغوية تنتمى إلى بيئة خاصة ، ويشترك فى هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة ، وبيئة اللهجة هى جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك أيضًا فى مجموعة الظواهر اللغوية التى تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهمًا يتوقف على قدرة الرابطة التى تربط بين هذه اللهجات ، وتلك البيئة الشاملة التى تتألف من عدة لهجات هى التى اصطلح على تسميتها باللغة ، « فالعلامة بين اللغة واللهجة هى العلاقة بين العام والخاص » .

فاللغة – كما يؤكد د . أنيس – تشتمل عادة على عدة لهجات ، لكل منها ما يميزها ، وجميع هذه اللهجات تشترك فى مجموعة من الصفات اللغوية ، والعادات الكلامية التى تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات[٢٠] .

أما الفصيلة اللغوية فتتألف من عدة لغات ، ترجع جميعها إلى « أرومة » واحدة ، وقد احتفظت كل منها بصفات يسهل على اللغوى إرجاعها إلى ذلك الأصل

(٢٠) فى اللهجات العربية : الدكتور إبراهيم أنيس ، ص ١٦ .

القديم ، والعناصر التى تحتفظ بها لغات الفصيلة الواحدة هى تلك العناصر التى لا يصيبها إلا قليل من التغير رغم مرور الزمن عليها ، ورغم تطور فروع الفصيلة الواحدة ، فتلك العناصر تكاد تنحصر فى الأمور الآتية :

١ – الضمائر .

٢ – الأعداد .

٣ – أسماء الإشارة والموصول .

٤ – الاشتراك فى معانى نسبة كبيرة من الكلمات ذات الدلالات القديمة ، كالأرض ، والسماء ، وألقاب الأسرة ، كالأب ، الأم ، الأخ ، الابن .

٥ – أدوات الربط بين أجزاء الجملة .

٦ – الاشتراك العام فى كيفية تركيب الجمل .

أما الصفات الصوتية التى تميز اللهجات عن بعضها البعض ، فيلخصها د . أنيس فى خمس نقاط رئيسية هى :

١ – اختلاف فى مخرج الأصوات اللغوية .

٢ – اختلاف فى وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات .

٣ – اختلاف فى مقاس بعض أصوات اللين .

٤ – تباين فى النغمة الموسيقية للكلام .

٥ – اختلاف فى قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض [٢١] .

تلك هى أهم الصفات التى نلحظ بعضها أو كلها بين لهجات اللغة الواحدة ، وليس من الضرورى أن نجد كل هذه الفروق ممثلة فى لهجات لغة من اللغات بل قد نشهد بعضاً منها فقط .

---

(٢١) المرجع السابق ، ص ١٩ .

ويوضح الدكتور أنيس كيفية تكون اللهجات ، فيشير إلى أن هناك عاملين رئيسيين يعزى إليهما تكون اللهجات فى العالم وهما :

(أ) الانعزال بين بيئات الشعب الواحد .

(ب) الصراع اللغوى نتيجة غزو أو هجرات .

وقد شهد التاريخ نشوء عدة لغات مستقلة للغة الواحدة ، نتيجة أحد هذين العاملين أو كليهما معا .

وفى الفصل الثانى : (اللغة العربية قبل الإسلام) يتحدث الدكتور إبراهيم أنيس – رحمه الله – عن « طفولة اللغة العربية » ، ولغة الأدب الجاهلى ، وكيف كان ينظر إلى اللهجات ؟ ومقياس الفصاحة لدى العلماء ، وبالنسبة « لطفولة اللغة العربية » يوضح د . أنيس أن أقدم ما عثر عليه من نصوصها لا يكاد يجاوز القرن الثالث الميلادى ، وإن كان ذلك لا يعنى أن اللغة العربية لم تكن موجودة قبل المسيحية أو أنها أحدث من شقيقاتها السامية كالعبرية مثلا .

ويردد د . أنيس ندرة النصوص العربية التى ترجع إلى ما قبل ظهور المسيحية لشيوع ظاهرة الأمية فى شبه الجزيرة العربية ، وأن العرب – قبل الإسلام – لم يكونوا أهل كتابة وقراءة .

أما بالنسبة للغة الأدب الجاهلى ، فيذكر الدكتور أنيس أنه إذا كان للقراءة والكتابة فضل فهو الشمول ، واتساع دائرة الثقافة ، لهذا كانت الثقافة اللغوية فى الجاهلية مقصورة على أولئك الذين شهدوا مجالس الخطابة والشعر ، وهم الخاصة من الناس ، ولكن لما جاء الإسلام ، ونزل القرآن الكريم بتلك اللغة الأدبية قوى من تلك الوحدة اللغوية التى كانت قد نمت وازدهرت قبل نزوله .

ويرى د . أنيس أن لغة التخاطب فى هذا الصدد هى تلك اللغة التى يمكن إن يقال الناس كانوا يتكلمونها بالسليقة ، ويؤدون بها البسيط من أمور حياتهم ، حيث يكتفون منها بتأدية الأغراض العامة فى الحياة العادية (ص ٤٣ من الكتاب) .

ويخلص من ذلك إلى القول بأن لغة الشعر على الأقل قد خلت من صفات اللهجات التى اشتهرت بها القبائل ، مما يجعلنا نرجح أن اللغة الأدبية كانت موحدة قبل الإسلام ، وظلت موحدة بعده ، وقد خلت من الصفات المحلية للهجات ، تلك

الصفات التى نفر منها خاصة العرب ، وأصبحت بعد الإسلام موضع السخرية فى كثير من الأحيان !!

وفيما يتعلق بمقياس الفصاحة لدى العلماء يشير الدكتور أنيس - رحمه الله - إلى ما استقر عليه رأى الجمهور من العلماء القدماء من أن نصوص القرآن الكريم يحتج بها فى تقعيد قواعد اللغة ، ولاخلاف بينهم فى هذا ، أما موقف العلماء من الاستشهاد فى مسائل اللغة بنصوص الأحاديث الشريفة ، فقد انقسموا فيه إلى فريقين :

الأول - وهم الغالبية - يرون منع الاستشهاد بالحديث فى مسائل اللغة ، وحجتهم فى ذلك أن رواية الحديث تجوز بالمعنى ، مثل (زوجتكها) - وفى رواية - ملكتكها ، وفى رواية أخرى خذها بما معك من القرآن) ، وحجتهم كذلك أن كثيرا من رواة الأحاديث كانوا من المولدين ، أى الذين عاشوا بعد عصور الاحتجاج ، وهؤلاء يجوز عليهم اللحن (أى الخطأ) فى اللغة[٢٢] !![*] .

فى حين يرى القلة جواز الاستشهاد بنصوص الأحاديث الشريفة فى مسائل اللغة ، وحجتهم : أنه إذا جاز اللحن فى رواية الحديث ، فكذلك يقال فى رواية الأشعار ، لأن الوازع الدينى يساعد على تذكر نصوص الأحاديث ويعمل على صيانتها من أى انحراف !

وهناك موقف « وسط » لبعض الدارسين المحدثين ، أشار إليه د . أنيس ، حيث قسموا الأحاديث النبوية إلى قسمين : قسم يستشهد بنصوصه ، وقسم لا يحتج به فى مسائل اللغة ومن ثم يمكن الاستشهاد بالأحاديث التالية :

١ - ما يروى بقصد الاستدلال على فصاحته ، صلى الله عليه وسلم مثل : « مات حتف أنفه » و « حمى الوطيس »

---

(٢٢) المرجع السابق ، ص ٤٣٩ - ٥٠

(*) انظر للمزيد والتفصيل كتاب : موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث ، للدكتورة خديجة الحديثى ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية ، سلسلة دراسات / ٢٦٥ . دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١ م ، « المقدمة » (ص ٥ - ١٢) .

٢ – ألفاظ القنوات والتحيات والأدعية وغيرها من أقوال التعبد .

٣ – أحاديث من مصادر متعددة وبلفظ واحد .

٤ – أحاديث يرويها أولئك الذين ربوا فى بيئة عربية ، كأنس بن مالك ، والشافعى ، أما الأحاديث التى لا يحتج بها فى مسائل اللغة فتلك التى دونت متأخرا أو التى غمرت فى صحتها أو الأحاديث التى شذت روايتها[٢٣] .

كذلك أجمع جمهور العلماء على الاحتجاج بالشعر الجاهلى كشعر زهير وطرفة وامرئ القيس وأمثالهم ، كما احتجوا بشعر المخضرمين وهم الذين عاشوا فى الجاهلية والإسلام ، ونظموا شعرا فى المرحلتين ، كحسان بن ثابت وأمثاله ، كما رأوا الاحتجاج بشعر الإسلاميين حتى منتصف القرن الثانى الهجرى من أمثال جرير والفرزدق والأخطل ، وإن كان بعض المتشددين من علماء العربية كأبى عمرو بن العلاء ، كان يرفض الاستشهاد بالشعر الإسلامى[٢٤] .

وفى الفصل الثالث من الكتاب عرض الدكتور إبراهيم أنيس لـ (**القراءات القرآنية واللهجات**) والعلاقة بينهما ، حيث يقدم فيه د . أنيس رؤية ، أو بالأحرى اجتهادا فى تفسير حديث « **أنزل القرآن على سبعة أحرف** » ، فيقول فى ذلك « فليست تلك الحروف السبع التى أجيز قراءة القرآن بها مقصورة على اللهجات العربية ، بل تشمل جميع لهجات المسلمين فى جميع بقاع الأرض » ، « فإذا قرأ الهندى المسلم القرآن أمامنا ، ولاحظنا بعض الخلافات الصوتية فى نطقه وجب ألا ننكر عليه قراءته فهى غاية جهده ، ولا يقدر على غيرها »[٢٥]، ويعلل رأيه هذا بأن « القرآن أنزل للمسلمين جميعا لا للعرب وحدهم ، وأمروا أن يتعبدوا بما يستطيعون من آياته ، بل فرض عليهم قراءة بعض آياته فى صلاتهم ونسكهم ، فإذا انحرفت الألسنة بعض الانحراف عن النطق الصحيح لألفاظه ، فليس ذلك إلا عن مشقة وعسر ، ومتى صدرت مثل هذه القرارات عن قلب طاهر وإيمان قوى ، فهى حسنة

---

(٢٣) الدكتور إبراهيم أنيس ، المرجع السابق ، ص ٥١

(٢٤) المرجع السابق ، ص ٤٩

(٢٥) المرجع السابق ، ٥٧

متقبلة عند الله ، فهي نجوى بين المسلم وربه ، يقرأ بما يستطيع فيتقبل عند الله ، ويستجيب له الله »[٢٦] .

تعليق :

ولاحق أن هذا الرأى – رغم وجاهته – وتقديرنا لاجتهاد الدكتور أنيس فيه ، إلا أننا لا نستطيع التسليم به لعدة أسباب منها : أن قراءة القرآن الكريم هى من الأمور « الوقف » لأن القراءة جزء من المعنى ، والسماح أو اقول بالتجاوز عن ذلك يفتح الباب للحن فى تلاوة القرآن الكريم ، وهو ما لا يمكن قبوله من أحد حتى لو سلمنا بطهارة قلبه ، وقوة إيمانه ..

ولا يشفع لذلك أن قارئ القرآن بغير الطريقة التى حددها رسول الله (ﷺ) ليس عربيا كأن يكون هنديا أو باكستانيا أو أمريكيا أو غير ذلك من الجنسيات ، فهل إذا قرأ أحد من هؤلاء « فاتحة (الكتاب) فى صلاته التى لا تصلح إلا بها ثم وقع منه بعض الخلافات الصوتية فى نطقه وبالتالى وقع فى « اللحن » فى القراءة نجيز له ذلك بدعوى أنه هندى أو باكستانى أو غير عربى ، أم أن الموقف الصحيح أن يعلم هو النطق السليم للآيات القرآنية ، باعتبار أنه « قرآنا عربيا غير ذى عوج » ؟!

فإذا فرضنا أن هذا الهندى قرأ بلغة غير لغته كالإنجليزية أو الفرنسية أو الفارسية أو أية لغة أخرى من اللغات المعروفة ، ثم وقع فى قراءته أو حديثه بعض الخلافات الصوتية فى نطقه ، استوجبت من سامعيه استنكار ذلك ، أو تسببت فى فقد التواصل بينه وبينهم ، ألا يعتبر ذلك أدعى للإنكار عليه قراءته لآيات القرآن الكريم من باب أولى ؟!

ولهذه الأسباب والأدلة المنطقية لم نر التسليم بما يذهب إليه الدكتور / إبراهيم أنيس فى هذا الصدد .

بعد ذلك عرض الدكتور أنيس – فى نفس الفصل – للصفات الصوتية التى اشتملت عليها القراءات القرآنية التى تعزى إلى اختلاف اللهجات العربية وهى :

– الفتح والإمالة[٢٧] .

---

(٢٦) د . إبراهيم أنيس ، المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٢٧) انظر : المرجع السابق ، ص ٦٠ – ٦٩ .

- الإدغام[٢٨].
- الهمز[٢٩] .

وتجدر الإشارة إلى أن الدكتور أنيس عرض لجانب من ذلك فى كتابه (الأصوات اللغوية) وقد أشرنا لذلك فى عرضنا لهذا الكتاب [٣٠] .

فى الفصل الرابع من الكتاب (عناصر اللهجات العربية وقبائلها) ، أشار الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - إلى أن كتب اللغة والأدب روت صفات عدة للهجات القديمة من علماء العربية ، ونسبت بعضا منها إلى قبائل معينة ، والبعض الآخر اكتفت بالإشارة إليه على أنه مما كانت تقوله العرب .

ولذلك يرى أنه لابد للإحاطة بكل ما روى عن لهجات القبائل العربية من البحث والتنقيب فى بطون تلك المؤلفات القديمة ، وجمع كل ما يمكن جمعه ، ثم ترتيبه وتبويبه والعمل على تحقيق تلك الروايات وإخراج (طرح) الزائف منها ، وهذا ما طبقه بالفعل الدكتور إبراهيم أنيس فى نهاية كتابه هذا ، فقد خصص الجزء الأخير منه (كملاحق) بعنوان : « نصوص من اللهجات العربية القديمة » فى حوالى ٨٨ صفحة ، استمدها من (معجم لسان العرب) قسمها إلى عشرين جزءا (ص ٢٤٢-٣٣٤) من الكتاب .

ورغم هذا الجهد الظاهر للدكتور أنيس فى هذا الصدد ، إلا أنه كعادته فى تواضع العلماء يقول : « ولسنا ندعى هنا أننا قد أحطنا بكل تلك الروايات كما رويت فى المؤلفات القديمة ، وإنما نرمى إلى علاج ما اشتهر من تلك الصفات علاجًا علميًا ، يكشف الطريق أما طالب اللغة العربية فى بحوثه المستقبلية[٣١] ، وأول تلك العناصر التى أشار إليها الدكتور أنيس مايلى :

---

(٢٨) نفس المرجع ، ص ٧٠ - ٧٥ .

(٢٩) المرجع نفسه ، ص ٧٥ - ٨٠ .

(٣٠) راجع : الفصل السابق من هذا الكتاب ، للمؤلف ، فى عرضه للفصل السابع « الأمثلة القرآنية الجائز فيها الإدغام ص ١٦ - ٢١ .

(٣١) المرجع السابق ، ص ٨١ .

١ - ما يتعلق بالإعراب[٣٢] .

٢ - ما يتعلق بالناحية الصوتية[٣٣] .

٣ - عوامل التطور وعوامل الجمود[٣٤] .

٤ - صفات اللهجة بين البدو والحضر[٣٥].

٥ - السرعة فى النطق[٣٦].

٦ - لهجات متناثرة[٣٧] .

٧ - أشهر القبائل فى اللهجات العربية[٣٨] .

وبالنسبة لما يتعلق بالإعراب فيما رواه النحاة فى كتبهم واختلاف آرائهم فيه ونسبتهم هذا الخلاف « الإعرابى » إلى قبائل معينة ، على أنه راجع للهجائهم المختلفة ، وما تستطيعه ألسنتهم يلفت انتباهنا ما يذهب إليه الدكتور أنيس من أن « هذا النوع من الاختلاف الإعرابى لا يمت للهجات العربية بصلة ، وإنما هو من صناعة النحاة حين اشتد الجدل بينهم ، وحاول كل فريق مهم أن يأتى بجديد فى تلك القواعد الإعرابية»[٣٩] .

كذلك يلفت نظرنا ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس فى نفس الموضع من أن الإعراب لم يكن مظهرا من مظاهر السليقة اللغوية بين عامة العرب ، ويستدل على ذلك بتساؤل يطرحه وهو : كيف نتصور من الناحية الصوتية أن لسانا يعجز عن نصب خبر « ما » أو نصب اسم « لعل » أو جر تمييز « كم الخبرية » [٤٠]؟!

(٣٢) المرجع السابق من ص ٨٢ - ٨٥ .

(٣٣) نفس المرجع ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٣٤) المرجع السابق ، ص ٨٦ - ٩٠ .

(٣٥) نفس المرجع ، ص ٩٠ - ١٣١ .

(٣٦) المرجع السابق ، ص ١٣٢ - ١٣٨ .

(٣٧) نفس المرجع ، ص ١٣٨ - ١٥٢ .

(٣٨) المرجع السابق ، ص ١٥٢ - ١٥٦ .

(٣٩) المرجع السابق ، ص ٨٤ .

(٤٠) المرجع السابق ، ص .

وفى رأينا أن الخطأ أو اللحن فى الإعراب لا يلغى أن الإعراب جزء من السابقة اللغوية ، على نحو ما أوضحنا ذلك فى مناقشتنا لقضية « الإعراب » مع الدكتور/ أنيس من واقع كتابه « من أسرار اللغة »(٤١) .

فخطأ الطالب فى القاعدة النحوية لا ينفى القاعدة ذاتها ، وكذلك الخطأ فى الإعراب لا يعنى أن « الإعراب » ليس من السليقة اللغوية أو الزعم بأن العرب لم تكن تمارسه ، لا يعنى انتقاء السليقة اللغوية عنه بحال من الأحوال .

وتجدر الإشارة إلى عرض الدكتور أنيس (المقارن) بين صفحات اللهجة بين البدو والحضر ، فى نفس الفصل ، والتى يمكن تلخيصها فى ست حالات هى :

- الميل إلى الأمالة(٤٢) .
- الميل إلى الضم أو الكسر(٤٣) .
- الميل إلى الأصوات الشديدة أو الرخوة(٤٤) .
- الميل إلى جهر الأصوات أو همسها(٤٥) .
- التأثر بالأصوات المتجاورة(٤٦) .
- الميل إلى التفخيم أو الترقيق(٤٧).

فى الفصل الخامس (اختلاف الدلالة والبيئة واللهجات)

يعرض الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - لما حوته المعاجم العربية لعديد من الكلمات التى اختلفت معانيها بعض الاختلاف تبعًا للهجات المتباينة ، غير أن أصحاب هذه المعاجم لم يحاولوا تنظيم هذه الكلمات على أساس علمى ، يلقى

---

(٤١) انظر : القسم الرابع من هذا الكتاب (مع الدكتور إبراهيم أنيس فى قضايا لغوية) الفصل الثالث : الإعراب والسليقة ، ص ١٣٠ - ١٤٠ .

(٤٢) المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(٤٣) نفس المرجع ، ص ٩١ - ٩٩ .

(٤٤) المرجع السابق ، ص ١٠٠ - ١٠٦ .

(٤٥) نفس المرجع ، ص ١٠٦ - ١١٥ .

(٤٦) المرجع السابق ، ص ١١٥ -١٢٥ .

(٤٧) نفس المرجع ، ص ١٢٥ - ١٣١ .

ضوءاً على تطور المعانى بين اللهجات ، وعلى الحياة الاجتماعية فى القبائل ، بل كان كل همهم - كما يقرر -هو سرد الكلمات ونسبة بعضها فقط إلى بيئاتها ، فكانوا يقولون مثلاً :

١ - وثب بمعنى جلس حميرية ، وبمعنى قفز عدنانية[٤٨] .

٢ - الشائع في معنى السّرحان والسيّد هو « الذئب » ولكن قبيلة هُذيل تستعملها بمعنى « الأسد » .. وهكذا .

ويرى الدكتور أنيس أن حصر تلك الكلمات وتنظيمها ، والنظر إليها على ضوء ما يقرره البحث الحديث الذى يسمى عند الأوروبيين Semantics ، سيطلعنا على نواح من اللهجات جليلة الشأن ، بل يفسر لنا أيضاً كثيراً من الأمور الغامضة علينا كصلات القبائل بعضها ببعض ، ونظام حياتهم قبل الإسلام .

أما بالنسبة (للبنية) والعوامل التى دعت إلى اختلاف بنية الكلمات فى اللهجات العربية القديمة فيشير إلى أنه : ربما كان أظهر المواضع التى توضح اختلاف البنية فى اللهجات ، هو اشتقاق مضارع الفعل الثلاثى من الماضى .

ويذكر الدكتور أنيس أن كتب النحاة جاءتنا بعلاج مضطرب لما سموه بأبواب الثلاثى ، خلصوا منه إلى أن تلك الأبواب سماعية ، ولا تكاد تخضع لقاعدة مطردة ، بل كل ما يمكن عمله بصددها هو استنباط قواعد غالبة شواذها كثيرة جداً .

لكن الدكتور أنيس يرفض هذا الرأى باستفهام استنكارى قائلاً : ولعمرى كيف تصور القدماء أن لغة منسجمة مطردة كاللغة العربية يمكن أن تتضمن كل هذه الأبواب فى اشتقاق المضارع من الماضى الثلاثى ، فى حين أنهم يرون أن جميع الصيغ الأخرى للفعل تلتزم حالة واحدة مطردة فى جميع المواضع ؟!

والواقع أنا الحق مع د . أنيس فى هذا ، لأن الذى نستطيع أن نتصوره هو أن كل لهجة من اللهجات ، أو مجموعة منها ، قد التزمت اشتقاق المضارع من الماضى الثلاثى على هيئة خاصة ، لا تشذ عنها إلا فى النادر ، « فأبواب الثلاثى تنتمى إلى

---

(٤٨) المرجع السابق ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

عدة لهجات كل منها كانت تلتزم باباً أو بابين من بينها ، ويؤيد ما ذهب إليه اشتقاق المضارع من الماضى الثلاثى فى كل اللغات السامية الأخرى شقيقات اللغة العربية»[٤٩] .

ولتأكيد الدكتور إبراهيم أنيس رأيه هذا ، جمع كل ما ورد فى القرآن الكريم من أفعال ثلاثية صحيحة غير معتلة ، ماضيها ومضارعها ، لمعرفة ما يمكن أن تكون قد خضعت إليه فى قراءة « حفص » التى لا شك فى أنها تمثل لهجة واحدة منسجمة مطردة فى اشتقاق المضارع من الماضى الثلاثى .

وأشار د . أنيس فى ذلك إلى نحو (١٣٤ فعلاً) من الأفعال الثلاثية الصحيحة مستعملة فى الماضى مرة ، وفى المضارع مرة أخرى ، وترى تلك الأفعال التى استعملت فى الماضى فقط أو المضارع فقط .

واتضح له أن تلك الأفعال التى جاءت فى قراءة حفص فى الماضى مرة والمضارع مرة أخرى ، لا تشتمل على ذلك الباب الذى سماه النحاة (فعل يفعل) بل خلت أيضاً من ذلك الباب الذى سموه (فعُل يفعُل) ، إلا فعلين اثنين هما : « كبُر يكبُر ، وبصرُ يبصُر » فى مثل قوله تعالى : **« كبرت كلمة تخرج من أفواهم »**[٥٠] وقوله **« فبصرت به عن جنب وهم لايشعرون »**[٥١] .

ويرجح د. أنيس – رحمه الله – أن الصيغة فى مثل هذا الفعل من معانى المبالغة ، أو شدة فى الحدث ، وأنها – لذلك – متفرعة عن (فعل) ، وأنه لا يُلجأ إليها إلا حين يراد المبالغة فى الحديث الذى تتضمنه الصيغة الأصلية (فعَل) ، « فليست إذن من أبواب الثلاثى ، بل يجب أن ينظر إليها على أنها فرع مستقل زاد معناه بتحول الصيغة الأصلية (فعَل) إليه[٥٢] .

أما باقى الصيغ الثلاثية التى وردت فى القرآن الكريم ، فهى أحد وجهين لا يخرج عنهما وهما : (فعل) و (فعِل) والصيغة الأولى هى أكثر شيوعاً فى الأسلوب

---

(٤٩) المرجع السابق ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٥٠) سورة الكهف ، جزء من الآية /٥

(٥١) سورة القصص، جزء من الآية / ١١

(٥٢) المرجع السابق ، ص ١٦٩

القرآني ، لأنه به حوالى ١٠٧ أفعال ماضية صحيحة صيغتها (فعَل) ، وحوالى ٢٤ من صيغة (فعِل) .

تلك هى القاعدة التى يمكن استنباطها من أفعال القرآن ، وهى واضحة جلية لا تعقيد فيها ومن الطبيعي أن تكون كذلك ، أما تلك الأفعال التى وردت من صيغة (فعَل) فى الماضى و (يفعَل) فى المضارع ، فقد دعت إليها عوامل صوتية فى بنية الفعل نفسه ، وذلك أن عين الكلمات أو لامها من أصوات الحلق ، تلك التى تؤثر فى كل اللغات السامية (الفتحة) على غيرها من الحركات(٥٣) .

ويخلص د . أنيس من ذلك إلى أن « اللهجة الواحدة – فى الحقيقة – يجب أن تخضع لقاعدة مطردة فى الكثرة الغالبة من صيغها ، ولكن قد يتخللها القليل من الصيغ التى تسمى عادة بالشاذة ، وفى مثل هذه الحالة يجب أن تدرس هذه الصيغ على انفراد ، وأن يبحث عن مصدرها أو سر شذوذها(٥٤) .

وفى النهاية يرجح الدكتو إبراهيم أنيس أن اللهجات العربية القديمة خضعت لقواعد مختلفة فيما يتعلق باشتقاق المضارع من الماضى الثلاثى ، ولعل من القبائل من كانوا يؤثرون صيغة (فعِل) أو لعل منها من كانوا يقولون « فَعل يفعَل » إلى غير ذلك من الاحتمالات(٥٥) .

ويؤكد – هنا – أن كل لهجة كانت تخضع لقواعد خاصة بها لا تحيد عنها فيما تستعيره من لهجات أخرى .

* * * * * * *

أما الفصل السادس (الترادف والاشتراك اللفظى والتضاد) فيشير فيه الدكتور إبراهيم أنيس – رحمه الله – إلى الخلاف بين علماء اللغة حول فكرة الترادف ، والذى شهده القرن الرابع الهجرى ، فمنهم من ينكرون ذلك فى ألفاظ اللغة ، ويلتمسون فروقًا دقيقة بين معانى الكلمات لا تخلو – فى بعض الأحيان – من

---

(٥٣) المرجع السابق ، ص ١٧٠ – ١٧١ .
(٥٤) المرجع السابق ، ص ١٧٠ – ١٧١ .
(٥٥) المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

التكلف والتعسف ، ومنهم من ينادون بالترادف أو يعترفون بوقوعه فى الألفاظ ، وبعض هؤلاء المؤيدين لفكرة الترادف يغالون فى رأيهم إلى حد أن سمحوا بمئات الكلمات للمعنى الواحد فى بعض الأحيان !!

وفى هذا الصدد يسوق د. أنيس بعض الآيات الكريمة التى تبرهن على وقوع الترادف فى كلمات القرآن(٥٦) ، ومنها :

١ - « تالله لقد آثرك الله علينا »(٥٧) : وأنى فضلتكم على العالمين .

٢ - « حتى إذا حضر أحدهم الموت » : حتى إذا جاء أحدكم الموت .

٣ - « بعث فيهم رسولاً » : فأرسلنا فيهم رسولاً .... إلخ .

ويعقب على ذلك بأن منكرى الترادف كانوا من الاشتقاقيين الذين أسرفوا فى إرجاع كل كلمة من كلمات اللغة إلى أصل اشتقت منه ، حتى الأسماء الجامدة ، والأسماء الأجنبية عن اللغة العربية ، أبو إلا أن يجعلوا لها أصلاً اشتقت منه!!

وإذا كان الحديث عن اللهجات العربية يقتضى التعرض لنوع من الكلمات رويت لنا متحدة الصورة ، مختلفة المعنى وهو ما يسماه القدماء بالمشترك اللفظى ، حيث تعبر الكلمة الواحدة عن أكثر من معنى واحد ، مع محافظتها على لفظها وأصواتها فى نفس الوقت .

فإن ما يجدر الوقوف عنده - هنا - هو موقف د . أنيس « الوسط » بين كل من المنكرين والمؤيدين لوجود المشترك اللفظى ، من القدماء ، « إذ يرى - بحق - أنه لا معنى للمغالاة فى رواية أمثلة له ، مع ما فى هذا من التعسف والتكلف . وكما اختلف القدماء فى ورود الترادف اختلفوا أيضاً فى ورود المشترك اللفظى ، ويفسر د . أنيس ذلك الاختلاف بينهم بأن كل فريق منهم قد نظر إلى الكلمات ومعانيها من زاوية خاصة ، فالذين تأولوا أمثلة المشترك اللفظى على أنها كلمة من الحقيقة والمجاز ، قد نظروا إليها نظرة تاريخية ، وتتبعوها فى عصورها المختلفة ، وتلك هى

---

(٥٦) المرجع السابق ، صم ١٨٠ .

(٥٧) سورة يوسف ، جزء من الآية / ٩١ .

الطريقة التى سماها Diachronic . أما الآخرون فنظرتهم وصفية واقعية ، إذ بحثوا فى الكلمات ومعانيها فى عصر خاص ، وتلك النظرة سماها د . أنيس Synchronic » (٥٨) .

ومن ثم يقرر أن « المشترك اللفظى وقع فى كل لغة ، وقد دعت عوامل متعددة لوقوعه ، فكما تتطور أصوات الكلمات وتتغير ، قد تتطور معانيها وتتغير ، مع احتفاظها بأصواتها ، وتطور المعانى وتغيرها مع الاحتفاظ بالأصوات ، هو الذى ينتج لنا كلمات اشتركت فى الصورة واختلفت فى المعنى»(٥٩) .

وبالنسبة للتضاد يشير د . أنيس - رحمه الله - إلى « ابن الأنبارى » أشهر من عنى بتلك الكلمات وجمعها فى كتاب له سماه « الأضداد» (٦٠) أحصى فيه ما يزيد على أربعمائة كلمة ، ولو أنه تأول كثيرا من معانى تلك اللكلمات ، وتعسف فى اختياره لها(٦١) .

ويبدأ الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - الفصل السابع من الكتاب بسؤال هام هو : هل اللغة العربية لغة بدوية ؟ ، وهو فى الأساس بحث ألقاه فى دورة مجمع اللغة العربية سنة ١٩٦٨ م .

ويحدد د . أنيس غرضه من هذا الفصل بأن المقصود باللغة البدوية » هى تلك التى لم تتح لها فرص كافية من التطور من حيث الأصوات والصيغ وتركيب الجمل ، أو التى تمثل مرحلة قديمة من مراحل تطور اللغة الإنسانية ، ومن أوضح أمثلتها لغة الرعاة الرحل الذين عرفوا فى أوروبا باسم Nomada (٦٢) .

وفى هذا يرى د. أنيس أن اللغة العربية التى نشأت ونمت وازدهرت فى المدن الحجازية قبل الإسلام ثم نزل بها القرآن الكريم ، كانت من حيث الأصوات لغة حضرية (٦٣) ، وكذلك من حيث الصيغ ونظام الجملة »(٦٤) ، ولكن د. أنيس يأخذ على

---

(٥٨) المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

(٥٩) المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

(٦٠) انظر : كتاب الأضداد ، تأليف : محمد بن القاسم الأنبارى ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (التراث العربى) سلسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر بالكويت سنة ١٩٦٠ م.

(٦١) انظر : فى اللهجات العربية ، د . إبراهيم أنيس ، ص ٢٠٥ - ٢١٥ .

(٦٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

(٦٣) المرج السابق ، ص ٢٢٠.

(٦٤) المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

بعض اللغويين فى القرنين الثانى والثالث من الهجرة محاولتهم - بحسن نية - صبغ اللغة العربية بالصبغة البدوية ، لأنهم كانوا يؤمنوا إيمانا قويا بأن الفصاحة العربية ترتبط ارتباطا وثيقا بالبداوة [٦٥] .

ومع أن د . أنيس يعترف بأن علماء الأمصار نجحوا فى صبغ العربية بالصبغة البدوية ، إلا أنه يقرر أن ذلك كان فى نطاق ضيق ، إذا سلمت العربية - فى معظم ظواهرها - من السمات البدوية ، واحتفظت بطابعها الحضرى الذى ساد قبل الإسلام وفى صدر الإسلام ، من حيث الأصوات والصيغ والتركيب [٦٦] .

ويرى فى ذلك أن اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم والتى اصطنعت فى تراثه الأدبى قبل الإسلام كانت تؤثر تسهيل الهمز ، وهو صبغة حضارية ، وأن اللغويين بعد الإسلام قد فرضوا عليها تحقيق الهمز مؤثرين هنا الأداء البدوى ، فشاع بيننا الآن أن تحقيق الهمز هو الأفصح[٦٧] !!.

أما الفصل الثانى - وهو الفصل الأخير من هذا الكتاب - فقد عرضوا فيه الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - (**اللهجات الحديث**) ، وركز فيه على طرف من خصائص اللهجات المصرية ، ولا سيما اللهجة النموذجية فيها ، وهى اللهجة القاهرية ، موضحا بعض ما احتفظت به هذه اللهجات الحديثة من صفات قديمة ، وما ظهر فيها من صفات خاصة نمت واستقلت مع الزمن ، هذا إلى جانب إشارته العابرة لبعض التطورات الصوتية فى هذه اللهجة ، وتطور معانى بعض الكلمات أيضا .

ومن ثم يوضح أن معظم اللهجات المصرية فقدت بعض الأصوات العربية القديمة ، أمثال : الثاء ، الذال ، والظاء ، والضاد ، والهمزة أو الجيم ، وقد اطرد هذا اطرادا يدعو إلى الدهشة فى كل الكلمات . ويلاحظ فى التغير - بصفة عامة - انتقال بعض الأصوات الرخوة القليلة الشيوع فى اللغة الفصيحة ، إلى نظائرها من أصوات الشدة ، كذلك مالت الأصوات المطبقة إلى الاشتغال فى لغة الكلام المصرية فى معظم الأحيان ، إذ يلحظ أن المصريين ، بصفة عامة ، ينطقون الصاد سينا ، والطاء تاء ،

---

(٦٥) نفس المرجع .

(٦٦) المرجع السابق : ص ٢٢٥ .

(٦٧) نفس المرجع ، ص ٢٢٦ .

والضاد دالا ، والظاء زايا مفخمة ، وهكذا مثل صقع : « سكع فلانا قلمًا »[٦٨]، و « لدعة قلما » ربما جاءت من اللطع بمعنى الضرب ، و« مدغ » ، أصلها « مضغ » .

ويرى د . أنيس أن هاتين الظاهرتين من التطورات الحديثة التى تمت بعد انتشار اللغة العربية فى بيئات نائية ، أو ربما تم بعضها فى العصور الإسلامية الأولى .

ويشير بعد ذلك – فى ذات الفصل – إلى أهم الاتجاهات الصوتية فى اللهجة المصرية ، فيلخصها فى العنصرين الآتيين :

(أ) الميل إلى همس كثيرمن الأصوات ، وهو أمر طبيعى فى بيئة مستقرة كالبيئة المصرية ذات الحضارة العريقة ، ومن أمثلة ذلك كلمة « دهس » التى أصلها من « الدعس » ، وهو شدة الوطء ، ومثل « شحت » التى أصلها من « شحذ » فقد مرت بمرحلتين قبل أن تصل إلى الصورة التى تعهدها ، إذ قلبت أولا الذال – ككل الذالات إلى دال – وأتى عليها عهد فى لهجة الكلام كانت « شحد » ، ثم همست الدال ، فأصبحت « تاء » ، ومثل « نكش » التى يرجح د . أنيس أنها من « نجش » الصيد أو كل شىء مخبوء بمعنى استثارة[٦٩] ، وهكذا نجد كلمات كثيرة قد همست بعض أصواتها فى لهجة الكلام .

(ب) أخطاء تبدأ مع الأطفال والناشئين ، ثم تنمو بينهم وتكون جزءا من لهجاتهم وهم كبار ، ثم يورثونها من بعدهم ، وربما كان هذا العنصر أوضح العناصر فى تطور الكلمات وأصواتها فى اللهجة المصرية .

ومن ذلك أن الناشئتين قد يخلطون بين الجمع والمفرد ، فيستعملون بعض الجموع التى جاءت صيغتها بصيغة المفرد على أنهامفردات مثل : برام ، حق ، كراس ، زناد ، فهذه كلها جموع فى اللغة الفصحى ، ولكنها تستعمل فى لهجة الكلام مفردات . أما مفرداتها الصحيحة فقد أهملت وهى على الترتيب : برمة ، حقة ، كراسة ، زند .

---

(٦٨) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

(٦٩) نفس المرجع ، ص ٢٣٠ .

أما بالنسبة للناحية الدلالية والتى تعنى تطور الدلالة ووقعها فى اللهجات القديمة ، مما أدى إلى وجود تلك الظاهرة التى نسميها بالترادف ، فيشير د . أنيس إلى أنه : لولا أننا نتقيد بالمعانى القديمة ، ونقف عندها لا نعترف بأى تغيير يلحق معناها ، لقبلنا المعانى المولدة ، وعدت من صميم الكلام الفصيح ، إذ ليست فى الحقيقة بدعا فى التطور اللغوى ، ولكن كل ما فيها من عيب فى نظرة الرواة أنها جاءت بعد فوات الأوان .

فهناك من ينظر إلى المعانى المولدة شزرا ويتحاشاها فى أسلوبه ، بل لقد أبقت بعض الكلمات العربية على معانيها القديمة واحتفظت بها ، ومع هذا فقد تحاشاها الأدباء ونسبوا إليها صفة العامة ، فأصبحت مبتذلة مثل « خش » بمعنى « دخل » ومثل « مقشة » بمعنى مكنسة !!

وخلاصة ما يراه د . أنيس فى هذا الفصل هو : أنه كلما زادت دراستنا للهجات العربية الحديثة تكشف لنا أمورا ، وأيقنا أن لهجات الكلام فى البلاد العربية لا تزال تحتفظ بعناصر قديمة ، كانت شائعة فى لهجات العرب قبل الإسلام ، فاللهجات الحديثة ، وإن كانت قد تطورت فى البيئات العربية المختلفة تطورا مستقلا باعد بينها ، وصبغها بصبغة محلية فى بعض ظواهرها ، إلا أنها استمسكت بكثير من السمات التى عرفت عن القبائل القديمة .

ولذلك لا يجد د . أنيس حرجا ، فى نهاية هذا الفصل ، فى دعوته إلى « الفصل بين ظواهر اللهجات وظواهر اللغة النموذجية الأدبية ، وإلى اعتبار ما اشترك فى لهجات الكلام الآن مما ينتمى إلى ظواهر قديمة شاعت فى لهجات الحديث عند العرب القدماء » (٧٠) .

---

(٧٠) المصدر السابق ، ص ٢٤٢ .

الفصل الثالث

مع الدكتور إبراهيم أنيس فى قضايا لغوية من واقع كتابه (من أسرار اللغة)

(قضية الإعراب)

- تمهيد .
- قصة الإعراب ... من واقع كتاب (من أسرار اللغة) .
- أولا : هل للإعراب آثار باقية ؟!
  - الإعراب والسليقة العربية .
- ثانيا : بين إعرابنا وإعراب اللاتينية .
- ثالثا : ليس للحركة الإعرابية أى مدلول !!
  - التصرف بالإعراب !!

الفصل الثالث

مع الدكتور إبراهيم أنيس فى قضايا لغوية
من واقع كتابه (من أسرار اللغة)
قضية الإعراب

تمهيد :

لم تحظ قضية أو ظاهرة من الظواهر اللغوية عند الدكتور إبراهيم أنيس فى كافة مؤلفاته عموماً بالأخذ والرد والمناقشة والدرس كما حظيت قضية (الإعراب) حتى أن كثيراً من الدارسين المحدثين قد ضاق بما ورد فى علاجه لهذه الظاهرة اللغوية من آراء ، وجُلهم من الغيورين على فصحانا وقرآننا الذى وصلنا معرباً (*) .

غير أن د . إبراهيم أنيس – رحمه الله – منذ أن نشر كتابه (من أسرار اللغة) فى طبعته الأولى سنة (١٩٤٦م) ، اختلطت عنده بحوث الصرف مع بحوث النحو ، فلم يفصل أياً منهما عن صاحبه ، ولم يقدم بحوثه الصرفية على بحوثه النحوية . كما كان ينتظر منه ، بل نجد أنه يبدأ كتابه هذا بفصله الأول عن طرائق نمو اللغة ، الست ، منها ثلاث طرائق مما يشتمل عليه علم التصريف ، وهى : الاشتقاق – القلب – الإبدال – النحت ، وقد قدم عليها فى درسه بحث : القياس ، ثم اتبعها بدرسى : الارتجال والاقتراض ، بل إن هذه الأخيرة تعد من بحوث فقه اللغة عموماً(١) .

(*) وثمة قصة يجدر ذكرها فى هذا المقام ، ففى تعليق للأستاذ الدكتور كمال بشر عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، على محاضرة الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، الأستاذ بدار العلوم جامعة القاهرة ، والخبير بالمجمع ، والتى تحدث فيها عن (إبراهيم أنيس والدرس اللغوى) قال د . بشر : أنا شخصياً أذكر أن هذه النقطة (أى إنكار د . أنيس الإعراب) عملت مشكلة اجتماعية واقتصادية للدكتور إبراهيم أنيس ، وكنت شاهداً عليها .. حيث إن بعض الناس المصريين فى جامعة الإمام محمد بن سعود ، أخبروا المسئولين فى الجامعة بأن د . أنيس ينكر الإعراب ، فقالوا : إذن لا يأتى هنا ، وألغوا رحلته للسعودية !! .

– راجع نص المحاضرة والتعليق عليها بشرائط تسجيل الندوة ، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة فى ١٩٩٩/١٢/٤

(١) من أسرار اللغة ، السابق ، ص ٩٥ .

على أن أهم ما يستوقفنا من قضايا اللغة في هذا الكتاب (من أسرار اللغة) مع د . أنيس ، هو حديثه عن (قضية الإعراب)(*) ، حيث يقول ما نصه : « ... فلم تكن لهجات الكلام عند القبائل تلتزم الإعراب على الصورة التى رويت لنا فى كتب النحاة ، وإنما التزم الإعراب على تلك الصورة فى اللغة الأدبية التى نزل بها القرآن الكريم ونظم بها الشعر ، وقد كان الإعراب من الظواهر اللغوية التى عنى بها الخاصة من العرب فى خطبهم وشعرهم ، وعدّ بينهم مما يفخر به الأديب ويمهر فى مراعاته » .

أما فى لهجاتهم ولغة التخاطب بينهم ، فلا نكاد نعلم شيئًا عن قواعد إعرابهم ، وعما التزموه فى تحريك أواخر الكلمات أو إسكانها ، فالإعراب – كما تعرفه – لم يكن إلا مسألة مواضعة بين الخاصة من العرب ، ثم بين النحاة من بعدهم .

والغريب حقًا أن يقرر د . أنيس إضافة إلى هذا – أن الإعراب لم يكن مظهرًا من مظاهر السليقة اللغوية بين عامة العرب (!!) ٠ ص ٨٤ ، المرجع السابق) .

يقع كتابه (من أسرار اللغة) فى سبع وخمسين صفحة وثلاثمائة من القطع المتوسط ، بمقدمة لطبعته الرابعة ، فمقدمة لطبعته الثالثة ، ثم أعقب ذلك بمقدمة عامة بسيطة للكتاب .

ويشتمل هذا الكتاب على أربعة فصول هى :

١– طرائق نمو اللغة .

٢ – منطق اللغة .

٣ – قصة الإعراب

٤ – الجملة العربية ، إجراؤها ونظامها(٢) .

وأما سبب تسميته للكتاب بهذا العنوان (من أسرار اللغة) ، فقد أوضحه د . أنيس فى نفس الكتاب ، حيث يرى « أن الباحث فى نحو لغة من اللغات ، إنما يعنى – كل العناية – بتراكيب الجملة وربط أجزائها ببعض ، ويحاول التعرف على مواضع

(*) جدير بالذكر أن د . أنيس لمس هذا الموضوع لمسا خفيفا فى « الفصل الرابع » من كتابه (فى اللهجات العربية) تحت عنوان « ما يتعلق بالإعراب » (ص ٨٢ – ٨٥) انظر : ط /٩ ، من الكتاب ، ١٩٩٥ م

(٢) انظر : من أسرار اللغة ، د . أنيس ، المرجع السابق .

الفعل منها ، ومواضع الفاعل والمفعول ، ثم مواضع فضلات الكلام ، وغيرها من عناصر أساسية ، وهو بهذا يكون قد هدى إلى الكثير من أسرار اللغة[٣] .

- **قصة الإعراب .. من واقع كتاب (من أسرار اللغة) :**

وقصة الإعراب هذه تناولها الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه (من أسرار اللغة) فى سبع وخمسين صفحة[٤] ، فى الفصل الرابع للكتاب[*] ، وقد قسمها - رحمه الله إلى ثمانية عناصر على الترتيب التالى :

١ - قصة الإعراب .

٢ - هل للإعراب آثار باقية ؟

٣ - بين إعرابنا وإعراب اللاتينية .

٤ - مفتاح السر هو : ظاهرة الوقف .

٥ - ليس للحركة الإعرابية مدلول .

٦ - التقاء الساكنين .

٧ - رأى فى الإعراب بالحركات[**] .

٨ - رأى فى الإعراب بالحروف[***] .

والدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - يرى أن الإعراب قصته من صنع النحاة فى القرن الثانى الهجرى[٥] ، ثم يعود فيقول - فى موضع آخر[٦] - « إن من غير

---

(٣) المرجع السابق ، د . أنيس ، ص ٢٤٣ وانظر كذلك ، إبراهيم أنيس لغويًا ، مرجع سابق ، ص ٧١٩ .

(٤) انظر : ط/٥ ، من أسرار اللغة ، (ص ١٩٨ - ٢٧٤) مرجع سابق .

(*) وكذلك فى كتابه : مستقبل اللغة العربية المشتركة ص ١٢ - ٢٠ ، ص ٣٥ - ٦٥ ، فى اللهجات العربية ص ٢ ٨ - ٨٥ ، وكذلك فى « دلالة الألفاظ » ص ١٩٨ - ٢١١ ، راجع للمزيد .

(**) وكان د .أنيس - رحمه الله - نشره بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، فى الجزء العاشر ، ص ٥٥ - ٥٧ ، وألقى هذا البحث فى الجلسة الثامنة لمؤتمر المجمع فى دورته العشرين .

(***) كان د . أنيس نشره تحت عنوان « حروف تشبه الحركات » بمجلة المجمع ، بالقاهرة ، فى الجزء السادس عشر ، (ص ١٣ - ١٧) .

(٥) من أسرار اللغة ، د . أنيس ص ١٩٨ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

المعقول أن يكون نحاة العربية قد ارتجلوا الإعراب وقواعده ارتجالا ، ولابد أنهم سمعوه ملتزما على الأقل من أفواه الفصحاء فى صدر الإسلام » .

ويرى د . على سيد جعفر[(٧)] : أن علاج الدكتور أنيس لقضية الإعراب فى العربية قائم ومؤسس على النظريات الصوتية ، خصوصا الحديثة منها ، وهذا دأبه – رحمه الله – فى كل مؤلفاته بلا استثناء ، كما أن هذا شيء طبيعى لأن دراسة الأصوات اللغوية – حديثا قد لاقت رواجا كبيرا واستئناسا بنتائجها ، خصوصا فى دول الغرب .

ويستند د . جعفر فى ذلك إلى ما قاله د . أنيس فى كتابه (من أسرار اللغة)[(٨)] : ... وقد حاولت فى هذا الكتاب علاج تلك المشاكل اللغوية علاجا حديثا ، بعيدا عن الجدل العقيم ، ومؤسسا على أحدث النظريات التى اهتدى إليها المحدثون فى الدراسات اللغوية » ، ويرفض د . جعفر فى بحثه هذا[(٩)] أن يكون هدف د . أنيس من وراء بحثه (من أسرار اللغة) إلغاء نظام الإعراب ، فيقول : « إن الدكتور أنيس – رحمه الله – لم يرد ببحثه هذا إلغاء نظام الإعراب ، أو التقليل من قيمته أو تغيير أصوله ، بل يعمد إلى البحث العلمى فى نشأة هذه الظاهرة ، ويدلل على ذلك بأن د . أنيس يقر بأن تلك القواعد الإعرابية لها أساس فى لغة العرب ، ولكن النحاة قد نسقوها تنسيقا جديدا ، فيه من قياسهم وابتكارهم قدر غير قليل حتى بدت للناس فى صورة علم جديد ، واختراع حديث»[(١٠)] .

ويعلق د . على سيد جعفر فى بحثه بعنوان : « إبراهيم أنيس لغويا[(١١)] على ذلك بقوله : « ويبدو أن الدكتور أنيس فى جل مؤلفاته عموما ، وحديثه عن سمة الإعراب خصوصا كان من هؤلاء المجددين الأحرار ، فكثيرا ما خرج علينا بطائفة من آرائه فيها الكثيرمن التجديد فى وجهة النظر ، لاقت بعضها قبولا حسنا ، وبقى بعضها

---

(٧) المرجع السابق ، ص ١٠٣٤ ، المجلد الأول .

(٨) من أسرار اللغة ، د . أنيس ، ص ٤ ، المرجع السابق .

(٩) إبراهيم أنيس لغويا ، المرجع السابق ، ص ١٠٣٥ .

(١٠) من أسرار اللغة ، السابق ، ص (١) ، ٢٤٩ .

(١١) رسالته للماجستير ، ص ١٠٣٢ ، مرجع سابق .

مجرد فروض علمية تقبل المناقشة ، ويمكن أن تكون صحيحة ، كما يمكن أن تكون غير ذلك ، فكانت نظريته فى (الإعراب) تلك التى لاقت ردود أفعال كثيرة وقوية مؤيدة ، ومخطئة من المحافظين وغير المحافظين حتى من تلاميذه أنفسهم[*] .

والحق أن هذا دفاع لا يمكن قبوله أو التسليم به ، فإذا كان د . أنيس - رحمه الله - « لم يرد ببحثه هذا إلغاء نظام الإعراب أو التقليل من قيمته أو تغيير أصوله .. إلخ » ، فلماذا آثار عليه موقفه هذا الكثير من ردودالفعل العلمية الناقدة والرافضة لمذهبه فى « قصة الإعراب » سواء فى حياته [١٢] أو حتى الآن[١٣] .

ونحن بدورنا سنركز خلافنا مع الدكتور إبراهيم أنيس منضمين فى ذلك إلى (الجمهور)[١٤] فى أبرز النقاط التالية :

(*) من هؤلاء التلاميذ - كما سنعرض لذلك بتوسع - د . محمد حماسة عبد اللطيف ، فى بحثه (إبراهيم أنيس والدرس النحوى) .

(١٢) تجدر الإشارة إلى أن د . على عبد الواحد وافى والأستاذين : عباس محمود العقاد وعلى النجدى ناصف - رحمهما الله - من أعضاء مجمع اللغة العربية ، الذين عارضوا موقف د . أنيس هذا من قضية الإعراب ، كما سنفصل لذلك فيما بعد ، وكذلك من علماء الغرب نذكر : يوهان فك gohannfuck وبرجشتراسر G. Bergstrasser انظر : للمزيد والتفصيل المراجع التالية :

(١٣) فقه اللغة « على عبد الواحد وافى ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط ، ١٩٨٨ ، ص ٢١٠ - ٢١٦.

- من قضايا اللغة والنحو ، على النجدى ناصف مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ط /١٩٥٧ م ، ص ٤ - ٢٧

- أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب ، عباس محمود العقاد ، ط/٦ ، دار المعارض ، ط/١٩٨٨ م ، ص ٢٦ - ٢٧ .

- اللغة الشاعرة عباس محمود العقاد ، القاهرة ، مكتبة غريب ، ط/١٩٨٨ م ، حديثه عن « الإعراب » ص ٢٣ - ٢٩ .

- العربية دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب ، يوهان فك ، تحقيق الدكتور عبد الحليم النجار ، القاهرة ، ط/ ١٩٥١ م ص ٣ - ٦ « التمهيد » .

(١٤) ومن هؤلاء المعارضين أيضا الدكتور محمد حسن جبل ، عميد كلية العربية الأسبق بالمنصورة فى كتابه بعنوان « دفاع عن لغة القران الكريم .. أصالة الإعراب ودلالته على المعانى فى القرآن الكريم واللغة العربية » طبعة البربرى للطباعة الحديثة الغربية ، سنة ٢٠٠٠ م .

أولا : هل للإعراب آثار باقية ؟ !

ثانيا : بين إعرابنا وإعراب اللاتينية ؟!

ثالثا : ليس للحركة الإعرابية مدلول ؟!

بيد أنه لا يفوتنا أن نشير إلى أن ثمة من الأساتذة الكبار المتخصصين من انتصر لنفس القضية ، وسلك نفس المسلك من (قضية الإعراب) ، ألا وهو الأستاذ / إبراهيم مصطفى(*) ، الذى ربما تأثر به د . أنيس فى هذا الموقف ، أو على الأقل تأثر كلاهما بالآخر ، باعتبار أنهما كانا متعاصرين ، وعضوين أيضا فى مجمع اللغة العربية .

أولا : هل للإعراب آثار باقية ؟ !

يتحدث الدكتور إبراهيم أنيس بإيجاز عن أثر وبقايا الإعراب فى اللغات السامية - أخوات العربية - كالسريانية والعبرية والآرامية والحبشية ، فيقرر أن بعضها لم تخلف شيئا من ذلك ، على حين أن البعض الآخر قد ترك آثارا ضئيلة من الإعراب لا تسمن ولا تغنى من جوع ويخلص - رحمه الله - من ذلك إلى فكرة تعضد رأيه من أن قواعد الإعراب فى فصحانا إنما كانت من صنع واختراع النحاة، إن لم يكن جميعها فأكثرها ، وعماده - فى جل ما ذكر ، ما قاله بعض المستشرقين(١٥) .

وينحو هذا الاتجاه أيضا الأستاذ إبراهيم مصطفى - رحمه الله - حيث يقول : « وكثير من اللغات لا إعراب فيها ولا تبديل لآخر كلماتها ، ولها مع ذلك نحو وقواعد مفصلة ، تبين نظام العبارة وقوانين تأليف الكلم(١٦) ، ولكن يعيب على (النحاة) فتنتهم ، أو تركيزهم على دراسة « علل الإعراب » ، أو علل النحو والتعمق فى هذا البحث ، « لأنها صرفتهم عن درس ما سوى الإعراب مما فى العربية من قواعد الربط وتأليف الجمل »(١٧) .

(*) فى كتابة : أحياء النحو ، ط / القاهرة ، ١٩٩٥١ م ، وسيأتى الكلام عنه أيضا فى موضعه من هذا البحث .

(١٥) من أسرار اللغة ، المرجع الساق ، ص ٢١٢ - ٢١٦ .

(١٦) إحياء النحو ، ص ٢ .

(١٧) المرجع السابق ، ص ١١

والرد على ذلك هو أن فى اللغات السامية إعراب ، ولكنه قاصر غير مطرد ولا متناسق فى مواضعه ، ولم يبلغ قط مبلغ « القانون » الذى نعرف فيه حدود الاستثناء [١٨] .

ولعل مما يؤكد ذلك ما يقرره المرحوم الأستاذ خليل السكاكينى فى بحث له بعنوان (خواطر فى اللغة) ، فى حديثه عن وظيفة الكلمة فى الجملة من أن « الإعراب » مر عليه أدوار مختلفة .. كان فى دوره الأول مشوشا ، فكانوا يرفعون أو ينصبون أو يخفضون أو يجزمون اعتباطا لغير قصد ، اعتمادا على القرينة والترتيب)[١٩] .

ويضيف الأستاذ العقاد أنه : « كشف الحفريون من آثار بلاد النبط بعض حروف الجر التى كانت تستعمل فى مثل موقعها من الجملة عندنا قبل ثلاثة آلاف سنة ، فإذا قدرنا أن حرف الجر عادة هو اسم أو فعل مختزل لا تتعود الألسنة اختزاله قبل انقضاء مئات السنين ، فلابد من تقدير زمان سابق لتاريخ تلك الكتابة النبطية بعدة قرون كانت فيها اللغة العربية لغة تركيب وإعراب بقواعدها التى تطورت مع الزمن حتى إلى ما هى عليه ، وبلغت فيها قواعدها غاية مداها من الضبط والاستقرار[٢٠] .

وفى اللغات السامية حروف لم تعرف فى غيرها من العائلات اللغوية ، كما يسميها المحدثون ، ولكن لغة من اللغات - سامية كانت أو آرية أو طورانية - لم تتحرر فيها المخارج بحروفها ولا الحروف بمخارجها كما تحررت فى لغة الضاد ، فليس فى لغة الضاد حرف ملتبس بين محرجين ، ولا مخرج ملتبس بين حرفين[٢١] .

وفى دفع الدعوى التى تتهم (النحاة) ، لاسيما فى الكوفة والبصرة ، بأنهم الذين (صنعوا النحو) تقرر الدكتورة نفوسه زكريا فى كتابها القيم « تاريخ الدعوة إلى العامية وأثارها فى مصر» : أن « نظام الإعراب الذى يقوم عليه نحو اللغة العربية ليس من صنع النحاة ، وإنما هو عنصر أساسى من عناصر اللغة العربية اشتملت

---

(١٨) أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب ، للعقاد ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٨ ، ص ٢٧ .

(١٩) مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ج/٨ ، ص ٣١٨ ، عمود(٢) رقم (٣) ١٩٥١٢ م .

(٢٠) المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٢١) نفس المرجع ، ص ٢٧ .

عليه منذ أقدم عصورها ، وقبل أن يوجد علماء النحو ، فالشعر الجاهلى قامت أوزانه على ملاحظة نظام الإعراب[٢٢] .

ومما لا شك فيه أن هذه الأوزان سابقة لعلماء البصرة والكوفة ، الذين زعم البعض أن الإعراب ليس إلا زخرفا من بقايا عقليتهم القديمة ، وتضيف .. « والقرآن الكريم وصل إلينا معرب الكلمات ، رغم تجرده من الإعجام والشكل ، فى عهده الأول ، فالمصحف العثمانى يرمز إلى الكثير من علامات الإعراب بالحروف مثل (المؤمنون والمؤمنين) وعلامة إعراب المنصوب المنون (رسولا وشهيدا وحسيبا ..)[٢٣] .

ولاشك أن المصحف العثمانى قد دون فى عصر سابق بأمد غير قصير لعهد علماء البصرة والكوفة[٢٤] ، وإنما كل ما عمله علماء القواعد حيال (نظام الإعراب) هو أنهم استخلصوا مناهجه استخلاصا من القرآن الكريم والحديث ، وكلام الفصحاء من العرب ، ورتبوها وصاغوها فى صورة قواعد ، فهولاء النحاة « قد أسدوا للعربية خدمة وفضلا خصوصا بعدما شاع اللحن ، وكثر على ألسنة المستعربين ، ممن ضمتهم تلك الممالك الإسلامية العربية الجديدة (آنذاك) ، وقد كان دافعهم – أثابهم الله – إلى هذا المقام الأول : الخوف على كتاب الله العزيز من أن يتطرق إليه اللحن ، ويشيع الخلط فى نصوصه ، فلا يستطاع تمييز فاعله من مفعوله ، ولا مبتدئه من خبره ، .. إلخ »[٢٥] ، منفذين إرادة الحق فى حفظ هذا الذكر الحكيم من التحريف والخطأ ، حيث يقول : **« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »**[٢٦] .

- **الإعراب والسليقة العربية :**

على أن ثمة سؤالا يطرح نفسه : هل يمكننا أن نعد ظاهرة الإعراب من الظواهر التى لا يمكن أن تمت إلى السليقة اللغوية بصلة ، على نحو ما يقطع بذلك ويراه

---

(٢٢) ص ٢٠٥ ، طبعة ١٩٦٤ ، الاسكندرية .

(٢٣) د . نفوسه زكريا ، المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

(٢٤) انظر : تاريخ القرآن ، للدكتور عبد الصبور شاهين ، القاهرة دار الاعتصام ، ط/١٩٩٨ م ، ص ١٦٨ – ١٧٤ .

(٢٥) تاريخ آداب اللغة ، جورجى زيدان ، ط ، دار الهلال ، القاهرة ، جـ ، ص ٢٢٢ ، نقلا عن : إبراهيم أنيس لغويا ، المرجع السابق ، ص ١٠٥٢ .

(٢٦) سورة الحجر ، آية / ٩ .

الدكتور إبراهيم أنيس ، حيث يقول « .. ولا يتصور وقوع الخطأ من صاحب السليقة اللغوية فى أى ظاهرة من ظواهر لغته .. وعلى هذا يمكننا أن نتصور أن ظاهرة الإعراب لم تكن ظاهرة سليقة فى متناول العرب جميعا (كما يقول النحاة) ، بل كانت كما قلت فى كتاب « اللهجات العربية » صفة من صفات اللغة النموذجية الأدبية ، ولم تكن من معالم الكلام العربى فى أحاديث الناس ولهجات خطابهم »[٢٧] ؟!!

والواقع أن هذا الرأى لا يمكن قبوله أو التسليم به ، لأن وجود السليقة اللغوية لا يعنى امتناع وقوع الخطأ أو (اللحن) لدى صاحبها ، بحال من الأحوال ، فلو حدث مثلا وأخطأ أستاذ فى اللغة العربية فى نطق كلمة أو إعراب جملة فلا يعنى ذلك انعدام السليقة فيه ، أو إنها مانعته من هذا فقط كل ما يمكن احتماله فى هذا الصدد هو حمل الأمر على مدار السهو أو توقع الشك .

والدليل على ذلك نسوقه من كلام الدكتور أنيس نفسه ، فها هو يعيب على (هؤلاء النحاة) تخطئتهم للشعراء والأدباء ، بقوله : « ولسنا ندرى كيف خضع لأولئك النحاة فصحاء العرب وأصحاب اللسن فيهم ، من أمراء وطغاة عهدنا هم أئمة بين أهل البيان ، كالذى حدث للحجاج حين سأل يحيى بن يعمر : « أتراني ألحن ؟! وشدد عليه أن يبين له ما يسمعه من لحن ، أو كالذى روى من أن عبد الملك بن مروان سئل يوما : لقد عجل إليك الشيب يا أمير المؤمنين « فقال » شيبتنى مواقف الخطابة وتوقع اللحن»[٢٨] ؟!

وهكذا نجد أن كلا من الحجاج وعبد الملك بن مروان وهما من هما من فصحاء العرب والبيان لم يضمنا لانفسهما الحذر – أو الشك – فى الوقوع فى « اللحن » .. فهل يعنى ذلك أنهما ليس من نوى السليقة اللغوية ؟!!

ثم يضيف د . أنيس فى تعضيد وجهة نظره متسائلا : وكيف أمكن أن ينسبوا الخطأ لبعض الفحول من شعراء الجاهلية كالنابغة الذبيانى فى قوله :

وبت كأنى ساورتنى ضئيلة   من الرقش فى أنيابها السم ناقع

---

(٢٧) من أسرار اللغة ، مرجع سابق ، ص ٢٠٢ – ٢٠٣ .

(٢٨) من أسرار اللغة ، المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

فقالوا : كان ينبغى أن يقول : « السم ناقعا » أو « السم الناقع !! والحق أن الأستاذ العقاد رد على ذلك بإيضاح لغوى بالغ الحجة ، بقوله : وهذا الإعراب المفصل فى هذه اللغة الشاعرة هو آية السليقة الفنية فى التراكيب العربية المفيدة ، توافرت لها جملا مفهومة بعد أن توافرت لها حروفا تجمع مخارج النطق الإنسانى على أفصحها وأوفاها ، وبعد أن توافرت لها مفردات ترتبط فيها المعانى بضوابط الحركات والأوزان[٢٩] .

فليس أوفق للشعر الموزون من العبارات التى تنتظم فيها حركات الإعراب ، وتتقابل فيها مقاطع العروض وأبواب الأوزان وعلامات الإعراب .

ويرى الأستاذ العقاد « أن هذه الحركات والعلامات تجرى مجرى الأصوات الموسيقية ، وتستقر فى مواضعها المقدرة على حسب الحركة والسكون فى مقاييس النغم والإيقاع ، ولها بعد ذلك مزية تجعلها قابلة للتقديم والتأخير فى كل وزن من أوزان البحور ، لأن علامات الإعراب تدل على معناها كيفما كان موقعها من الجملة المنظمة[٣٠] ، ومن ثم ، فلا يصعب على الشاعر أن يتصرف بها دون أن يتغير معناها ، إذا كان هذا المعنى موقوفا على حركتها المستقلة الملازمة لها ، وليس هو بالموقوف على رص الكلمات كما ترص الجمادات .

ويستطرد الأستاذ العقاد فيقول : « وإن هذه الموسيقية لتعلم النحاة أحيانا كيف ينبغى أن يفهموا الشعر فى هذه اللغة الشاعرة ، لأن المزية الشعرية فى قواعد إعرابها أسبق من المصطلحات التى يتقيد بها النحاة والصرفيون[٣١] ، ثم يعلق على بيت النابغة الذبيانى بقوله :

يقول النابغة: فبت كأنى ساورتنى ضئيلة   من الرقش فى أنيابها السم ناقع

« فينسى النحاة أن علامة الرفع فى القافية تدل على الصفة ، وتعطى الكلمة معناها الذى يلائم الوزن ، ويلائم الإعراب ، وما أخطأ النابغة حين قال : « ضئيلة ناقع

---

(٢٩) اللغة الشاعرة ، للعقاد ، القاهرة ، ط /١٩٨٨ م ، ص ٢٦ ومابعدها .

(٣٠) المرجع السابق ، ص ٢٦

(٣١) نفس المرجع ، ص ٢٧

فى أنيابها السم » .. ولا هو بمخطىء فى تأخير الصفة إلى مكان القافية لأنها – وهى مرفوعة – لا تكون إلا صفة موافقة لموصوفها أينما انتقل بها ترتيب الكلم المنظوم(٣٢) .
بل يضيف الأستاذ العقاد مثل آخر وهو بيت شعر لأبى سعيد الرستمى فى وصف دار ابن عباد :

وسامية الأعلام نلحظ دونها   سنا النجم فى آفاقها متضائلا

ويعقب عليه بقوله : « فلا يفيد الشاعر أن يضع النحاة متضائلا هنا حيث أرادوا من موضع الإعراب : هى حال ، وإن أراها النحاة مفعولا ثانيا ، وهى قافية مطمئنة فى موقعها على حسب الوزن وعلى حسب المعنى فى كل كلام منظوم أو منثور(٣٣) .
ولا يستقيم هذا النسق لشاعر ينظم بغير اللغة العربية ، لأن الترتيب الآلى يقيده بموضوع لا يتعداه ، حيث يطلقه الإعراب « العربى » المعدود فى عرف أعدائه الجهلاء قيدا من القيود (المرجع السابق ص ٢٨) .

أيضا يضيف العقاد : ونتتبع هذه الضالة إلى موقعها من نظم شاعر معاصر (يقصد شوقى) ، يضعها حيث صح له وضعها بلفظها ووزنها ومعناها ، فقال :

قطعوا بأيديهم خيوط سيادة   كانت كخيط العنكبوت ضئيلا

إن « ضئيلا » فى هذا البيت الذى وصف به « شوقى » بسيادة بنى عثمان لتحمد للإعراب العربى تلك الطمأنينة التى تستقر بها فى موضعها ، فلا تضطرها الخيوط إلى الجمع ، ولا تضطرها السيادة إلى التأنيث ، وليس عليه أن يقول : « كانت ضئيلة » ولا أن يقول « قطعوا خيوطا ضألا » لأن لسان « الحال » هنا أصدق من لسان المقال .

---

(٣٢) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٣٣) نفس المرجع ، ص ٢٨ .

ثانيا : بين إعرابنا وإعراب اللاتينية :

يقارن الدكتور أنيس هنا فى هذا العنصر الثالث ، من فصل (قصة الإعراب) بين لغتنا الفصحى فى إعرابها من خلال حركاتها فى نهاية كلماتها وبين بعض الحالات الشبيهة بذلك فى اللغة اللاتينية ، ناعيًا على من يعقدون مقارنة الحالات الإعرابية بين لغتنا وبين نهايات الأسماء اللاتينية ، ومقررًا أن الأمر فى هذه الأخيرة ليس كما أهتدى إليه نحاة العرب ، هادفًا من وراء بحثه هذا : « إلى أن النظام الإعرابى الكامل والدقيق لم يكن إلا من خصائص العربية ، فهى وحدها التى انفردت به ، ولم يكن موجوداً فى غيرها لا من شقيقاتها الساميات ولا حتى من الفصائل الأخرى ، كالهندية الأوربية ، وذلك مما يخدم ما يرمى إليه من أن نحاتنا العرب هم الذين اخترعوا هذا النظام الذى لم يكن موجوداً بهيئته التى وصلتنا ، ومن ثم ، وجب عليه أن يبحث عن تفسير لهذا الأمر المخترع ، وهو ما يحاوله من خلال هذا الفصل كله »[٣٤] .

فيذكر – رحمه الله – أن بعض الدارسين فى مصر ممن عرفوا شيئًا عن اللاتينية يعمدون إلى عقد المقارنة بين الحالات الإعرابية فى لغتنا وبين ما عرفوه أو سمعوا عنه من نهايات الأسماء اللاتينية وتغيرها تبعًا لتلك الحالات الإعرابية التى يسميها الأوربيون بحالات النهاية inding cases ففى اللاتينية : ست حالات تتغير نهاية معظم الأسماء تبعًا لها هى : الفاعلية النداء – المفعولية – الملكية أو الإضافة – المفعولية غير المباشرة – الآلية .

ويقرر الدكتور أنيس : أن الأمر فى اللاتينية ليس على الصورة التى اهتدى إليها نحاة العربية ، من أن كل فاعل مرفوع وكل مفعول منصوب . إلخ ، وذلك لأن الرمز الواحد فى اللاتينية قد يرمز للفاعلية أو المفعولية ، كما نلحظ أن الاسم المفرد فى هذه اللغة قد ينتهى بواحد من عشرة مقاطع ، بينما المفرد فى العربية لا يلحقه : إلا ثلاثة مقاطع فقط هى الضم والكسر والفتح ، وكل ما سبق مردود عليه من عدة وجوه .. منها أن : « فى اللغات السامية نحو وصرف ولكنهما واقفان – فوق المنبت – جذوراً

---

(٣٤) من أسرار اللغة ، ص ٢١٧ – ٢١٩ .

كالخشب الذى لا يقبل النمو بعدما وصل إليه وما من جذر من جذور نحونا أو صرفنا لم يتفرع ولم يحتفظ بقوة الحياة فيه كما تحتفظ البنية الحية بقوة حياتها ، فى كل عضو من أعضائها[٣٥] ، ومن الواجب أن تتمثل هذه الظواهر العربية الخاصة فى أذهان أولئك « المصلحين » الذين يحسبون أنهم يتناولون هذه اللغة بالإصلاح كلما احتاج الأمر إلى توفيق بينها وبين مطالب العصر الحديث .

« إلا أن الإعراب « العربى » واف مقرر القواعد يعم أقسام الكلام أفعالا وأسماء وحروفا حيثما وقعت بمعانيها من الجمل والعبارات ، ولا يزيد الإعراب فى اللغات الأخرى عن إلحاق طائفة من الأسماء والأفعال بعلامات الجمع والإفراد أو علامات التذكير والتأنيث ، وما زاد على ذلك فهو مقصور على مواضع محدودة ، ولا يصاحب كل كلمة ولا كل عبارة كما يصاحب الكلمات العربية حيثما وقعت من عباراتها المفيدة[٣٦] .

وفى ذلك أيضا يؤكد الأستاذ إبراهيم مصطفى : « أن من أصول العربية الدلالة بالحركات على المعانى فإذا استهدينا بهذا الأصل – ومن الحق أن نستهدى به – وجب أن نرى فى هذه العلامات الإعرابية إشارة إلى معان يقصد إليها ، فتجعل تلك الحركات دوال عليها وما كان للعرب أن يلتزموا هذه الحركات ويحرصوا عليها ذلك الحرص كله ، وهى لا تعمل فى تصوير المعنى شيئا[٣٧] .

وفى دور ثان استخدم الإعراب لبيان وظيفة الكلمة فى الجملة .. « فقد صار من مقومات اللغة وخصائصها ، لأن هناك مواطن كثيرة فى الكلام لا دليل على المعنى فيها غير الإعراب ، فإذا ألغى رجعت اللغة إلى اللبس والغموض[٣٨] .

وليس من نافلة القول أن نشير هنا إلى ما قاله (ابن فارس) من أن حركات الإعراب التى ميزت العربية عن غيرها ، دليل على هذا التفوق ، وضابط يضبط معانى الكلام ، « فإن الإعراب هو الفرق بين المعانى ، ألا ترى أن القائل إذا قال :

---

(٣٥) أشتات مجتمعات ، العقاد ، المرجع السابق ص ٢٧ – ٢٨ .

(٣٦) اللغة الشاعرة ، العقاد ، السابق « الإعراب » ص ٢٥ .

(٣٧) إحياء النحو ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٣٨) خليل السكاكينى ، البحث السابق ، مجلة المجمع ، المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

مـا أحسن زيد ، لم يفرق بين التعجب والاستفهام والذم إلا بالإعراب[٣٩] ، ولهذا ينصح ابن فارس العربى أن يتعلم النحو ليفهم معانى الكلام ومراميه ، فقال : « من العلوم الجليلة التى اختصت بها العرب الإعراب الذى هو الفارق بين المعانى المتكافئة فى اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذى هو أصل الكلام ولولاه لما مُيِّز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت ، ولا تعجب من استفهام ، ولا صدرُ من مصدر ، ولا نعت من تأكيد[٤٠] .

« بل إن العروبة والإعراب توأمان وحدهما الاشتقاق ، وربطت بينهما الفصاحة واللسن « فأما الأمة التى تسمى العرب فليس ببعيد أن يكون سميت عرباً من هذا القياس ، لأن لسانها أعرب الألسنة ، وبيانها أجود البيان[٤١] .

وإذا كان ابن فارس قد نصح لعامة الناس أن يدرسوا النحو ليتمكنوا من فهم الكلام وإفهامه فقد أوجب دراسته على المشتغلين بالفقه : « أقول : « إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب حتى لاغناء بأحد منهم عنه ، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب[٤٢] وهذا الوجوب يقضى به الشرع ، لأن الشرع ربط مصالح الناس بنصوص القرآن والسنة ، وندب القضاة المتفقهين للفصل فيما يختلف فيه الناس ، فإن لم يكن القضاة ذوى علم واسع بمعانى الألفاظ الدقيقة كانت أحكامهم معرضة للخطأ .

قال ابن فارس : « وقد غلط أبو بكر بن داود أبا عبد اللّه بن أدريس الشافعى فى كلمات ذكر أنه أخطأ فيها طريق اللغة ، وليس يبعد أن يغلط فى مثلها مثله فى فصاحته[٤٣] .

---

(٣٩) نظرات فى علم دلالة الألفاظ عند أحمد بن فارس اللغوى للدكتور / غازى مختار طليمات ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، الحولية الحادية عشرة الرسالة الثامنة والستون ، ٨٩/ ٩٠ ، ص ٦٢

(٤٠) المرجع السابق ، نفسه .

(٤١) المرجع السابق ، ص ٦٢ ، وانظر الهامش رقم (١٨٨) .

(٤٢) نفس المرجع ، ص ٦٢ ، وانظر هامش رقم (١٨٩) .

(٤٣) نظرات فى علم دلالة الألفاظ ، السابق ، ص ٦٣ .

ثالثا : ليس للحركة الإعرابية أى مدلول !!

فى هذا العنصر الذى بين أيدينا ، يقرر الدكتور إبراهيم أنيس : أن تلك الحركات الإعرابية لم تكن تحدد المعانى فى أذهان العرب القدماء كما يزعم النحاة ، بل لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها فى الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض ، ولذلك جاز سقوطها فى الوقت وبعض المواضع الشعرية ، مستدلاً بقول سيبويه فى (الكتاب ج٢ ، ص ٣١٥) : « وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد ، وهن يلحقن الحروف ليوصل إلى التكلم به[1] ، واحتج أيضا بما ورد عن أبى على الفارسى فى (الحجة وورقة ١٨٤) من إجازته حذف هذه الحركات الإعرابية فى بعض المواضع ، دون المساس بالمعنى ، حيث يقول : « وحركات البناء أيضًا قد تدل على المعنى وقد حذفت إلا ترى تحريك العين بالكسر فى نحو (ضرب) يدل على معنى ، وقد جاز إسكانها ، فكذلك يجوز إسكان حركة الإعراب » .

والرد على ذلك هو أن سقوط حركات الإعراب فى الوقف ، شىء طبيعى ، لأن المتكلم ينتهى تنفسه فيقف ، ويفضل فى وقوفه السكون ، لأنه لا يكلفه طاقة ولا جهداً ، فهو لم يقف إلا لأن جهده العضلى قد نفد ، ثم إن وقوفه غالبًا عند تمام المعنى والجملة التى ينطق بها .

أما مفردات الجملة ، فهى معربة ولا شك بحركات فارقة ومميزة بين المعانى والأفكار التى فى ذهنه ولا تدل هذه الحركات الفارقة إلا على أشياء معروفة واضحة فى فكره[2] .

ومعلوم أن اللغة هى الأداة التى يعبر بها الإنسان عن أفكاره ، فما دام يميز فاعلاً من مفعول فى عقله وضميره ، فإنه يجعل الحركات فى نهاية الكلمات ، بل وفى أثنائها ، دليلاً على ما يقصد ويريد ، لكى يكون كلامه واضحًا مفهومًا لدى السامع ، وهذا هو الوجه الثانى للغة . يقول الشاعر .

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما ... جُعل اللسان على الفؤاد دليلاً

---

(١) من أسرار اللغة ، المرجع السابق ، ص ٢٣٧ وما بعدها .

(٢) د . على سيد جعفر ، إبراهيم أنيس لغويًا ، مرجع سابق ص ١١٢٢ .

ومن هنا يقول ابن جنى فى كتابه (الخصائص) ج ١ ، ص ٣٥ ، عن الإعراب : « هو الإبانة عن المعانى بالألفاظ ، ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه ، وشكر سعيداً أبوه ، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر : الفاعل من المفعول ، ولو أن الكلام شرجا (نوعا) واحدا لاستبهم (استغلق) أحدهما من صاحبه[٣] ».

ويستمر الدكتور أنيس ، فيسوق بعد ذلك أدلة على صدق ما أدّعاه من أن الحركات الإعرابية لا قيمة لها ولا مدلول ، فيقول : « ويكفى أن نذكر أن اسم (أن) وأخواتها لا يختلف فى معناه عن أى مسند إليه ، كالفاعل والمبتدأ وغيرها ، وأن المسند الحقيقى فى عبارتى التعجب : ما أحسن محمدا ، أحسن بمحمد ، قد انتهى بما لم نكن نتوقع من الحركات ، وأن بعض حالات النصب لا تكاد تختلف فى معناها عن بعض حالات الجر ، مثل : قمت بهذا إبتغاء وجه الله ، قمت بهذا الإبتغاء وجه الله ، ويقول - رحمه الله - متسائلا ومتعجبا فى نفس الوقت : لما كانت كلمة (إبتغاء) فى الأولى منصوبة ، وفى الثانية مجرورة؟ .. إلى غير ذلك مما تبرهن عليه نصوص اللغة وأساليبها كما يرويها النحاة ، بل يكفي - فى نظره - أن تذكر أن سقوط هذه الحركات من أواخر الكلمات فى حالة الوقف : لا يغير من معنى العبارات ، ولا يشوه من الصيغ[٤] .

ويفرق الدكتور أنيس[٥] بين حركات نهاية الكلمات العربية ، تلك التى تشكل ما يعرف بظاهرة الإعراب ، وتلك الحركات التى تأتى على أى حرف آخر لا يقع فى نهاية هذه الكلمات فيرى أن هذه الأخيرة بمثابة جزء من بنية الكلمة ، بعكس حركات النهايات الإعرابية ، ولذلك يعيب - رحمه الله - على ابن مضاء تسويته بين هذين النوعين ويقرر أن فى كلامه مغالطة ، حين شبه - أى ابن مضاء - حركات الإعراب بالحركات التى هى جزء من بنية الكلمة أو تلك الصيغة ، والتى هى شرط فى التعرف على هذه الكلمة أو تلك الصيغة فى حين أن فقدان الكلمة لحركة من حركات إعرابها لا يفقدها - لديه - شيئا من معالمها ولا يؤثر - كما يقول - فى فهمنا لمعناها ، فكم من كلمات تقف عليها بما يسمى السكون ، ومع ندرك بسهولة المراد منها ولا يلتبس علينا الأمر فى التعرف على مركزها من الجملة .

(٣) نفس المرجع ، ص ١١٢٢ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٥) من أسرار اللغة ، المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

ويخلص الدكتور أنيس فى هذه الجزئية من كلامه عن « الإعراب » إلى « القول : فليست حركات الإعراب فى رأيى عنصرا من عناصر البنية فى الكلمات ، وليست دلائل على المعانى ، كما يظن النحاة ، بل إن الأصل فى كلمة هو سكون آخرها ، سواء فى هذا ما يسمى بالمبنى أو المعرب ، إذ يوقف على كليهما بالسكون ، وتبقى مع هذا ، أو رغم هذا واضحة الصيغة لم تفقد من معالمها شيئا »[٦] .

وأخيراً : يختتم الدكتور أنيس بحثه هذا مقرراً : إن الحركات الإعرابية ليس لها مدلول ، وأن شيوع الوقف بما يسمى السكون ، أو بعبارة أدق : بسقوط الحركات من أواخر الكلمات في حالة الوقف ، لأكبر دليل على أن الأصل فى الكلمات لا تكون محركة الآخر ، وأن ما حرك منها فى وصل الكلام كان لأسباب صوتية دعا إليها الوصل ، فالنحاة القدماء - كما يقول مستطرداً ومعللا لما سبق - قد سمعوا شيئًا وأخطأوا تفسيره واستنبطوا قواعده قبل أن يتم لهم الاستقراء ، سمعوه فى لهجات متعددة ، وسمعوه فى اللغة النمونجية الأدبية ، وسمعوه فى القراءات القرآنية ، التى لا تكاد تحصى ، ثم قبل أن يتم لهم السماع ، وبدون الاقتصار على مصدر واحد - كما هو الواجب ، عنده ، فى تقعيد القواعد بدأوا يقعدون قواعدهم ، فاختلطت عليهم الآراء ، وكثرت الأقوال فأهملوا ما أهملوا ، وقاسوا ثم خرجوا على الناس بقواعد إعرابية ، فرضوها عليهم فرضا[٧] .

- **التصرف بالإعراب :**

والرد على ما يقوله الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - نجده واضحًا فيما يقرره « يوهان فك » GOHANNFUCH فى كتابه (العربية دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب) حيث يقول : « ... فقد صار التصرف بالإعراب هو الفارق الذى يميز عند المثقفين من العرب بين العربية الفصحى وجميع القوالب والأساليب المولدة ، حتى اللهجات الدارجة ، واللغات العامية[٨] ، ويضيف .. « إن التحرر من الإعراب قرينة

---

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٤٢

(٧) المرجع السابق ، ص ٢٤٩ .

(٨) العربية دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب ، من عمل « يوهان فك » GOHANNFUCH ، نقله إلى العربية وحققه وفهرس له / الدكتور عبد الحليم النجار ، الناشر ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م ، ص ٢ - ٣ .

أكيدة على مخالفة الفصحى ، لقد احتفظت العربية الفصحى ، فى ظاهرة التصرف الإعرابى ، بسمة من أقدم السمات اللغوية التى فقدتها جميع اللغات السامية - باستثناء البابلية القديمة - قبل عصر نموها وازدهارها الأدبى ، وأشعار عرب البادية - من قبل العهد الإسلامى ومن بعده - ترينا علامات الإعراب مطردة كاملة السلطان[٩] .

أما الأستاذ / على النجدى ناصف - رحمه الله - فيرد على نفس القضية بقوله : « ... فالكلمات المبنية قليلة جداً بالقياس إلى الكلمات المعربة ، فالإعراب هو الأصل والبناء خلافه ، والعرب مع ذلك لم تدع المبنيات وشأنها تهيم فى الغموض والإبهام بلا حدود ولا قيود ، فثمة مبنيات تلزم صدر الكلام ولا تجاوزه إلى أثنائه أبداً ، وثمة مبنيات لاتكون إلا فى محل رفع ، وأخرى لا تكون إلا فى محل نصب ، وإن هذه وتلك لتختلفان مع ذلك فى اللفظ أو حركة البناء أو الزيادة التى تزاد على آخره ، تبعًا لما تدل عليه ، فإذا هى من هذه الناحية أشبه وأدنى إليه»[١٠] . ويضيف (إن العرب إنما قصدت بلغتها الإفصاح والبيان ، فذلك هو المقصد الأصيل باصطناع اللغة فى التعبير ، وإنها لذلك زودت الكثرة البالغة من كلماتها بالإعراب ، يلازمها ويبين عن معاينها ، ثم أقبلت على القلة التى حرمت مزية الإعراب تعوضها فى لفظها أو فى مواطن استعمالها ، أو فيهما جميعاً بما يبين عن معاينها كذلك ، فإذا المعربات أكثر تصرفًا وأوفر نشاطًا فى مطالب القول من المعربات »[١١] .

وأما الدكتور أنيس فيقول فى موضع آخر من كتابة هذا .. « إن شيوع الوقف بما يسمى السكون ، أو بعبارة أدق بسقوط الحركات من أواخر الكلمات فى حالة الوقف ، لأكبر دليل على أن الأصل فى الكلمات ألا تكون محركة الآخر ، وأن ما حرك منها فى وصل الكلام كان لأسباب صوتية دعا إليها الوصل[١٢] .

---

(٩) المرجع السابق .

(١٠) من قضايا اللغة والنحو ، للأستاذ / على النجدى ناصف ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، طبعة ١٩٥٧ م ، ص ٢٥ وما بعدها .

(١١) المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(١٢) من أسرار اللغة ، المرجع السابق ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

ومما يعتبر رداً على الدكتور أنيس : ما ذهب إليه الدكتور كمال بشر فى هذا الصدد ، إذ يقول : « تتميزاللغة العربية بخاصتى التصريف والإعراب ، ولهاتين الخاصيتين دور كبير فى عملية التطور على مستوى التراكيب ، فالأسماء والأفعال فى هذه اللغة تتصل عادة بعلامات صوتية أو عناصر صرفية فى أوائلها وأواخرها ، وأحياناً فى أحشائها ، هذه العناصر (سوابق أو لواحق) تشير بوضوح إلى الصيغ المتصلة بها وإلى الوظائف الصرفية والنحوية لهذه الصيغ ومن ثم تستطيع أن نصوغ الجملة الواحدة فى صور عدة من حيث التقديم والتأخير فى ترتيب كلماتها ، دون أن نخشى تعقيد المعنى أو لبسه ، لأن هذه العناصر تقوم بوظيفة الإرشاد إلى المعنى المقصود[١٣] ، ويضيف د . كمال بشر .. « والإعراب هو الآخر يقوم بهذا الدور وبصورة أقوى وأوضح ، إن الإعراب صمام الأمان حين تشتبه علينا الأمور وتتعقد ، بسبب ما يقع من تغيير أو تبديل غير مألوف فى مواقع الكلمات ، على أن الإعراب نفسه من ناحية الشكل إنما يتحقق فى صورة دلالات صوتية (علامات الإعراب) وهى العناصر الصرفية السابقة أو بعضها ، أو ما شاكلها ، وكلها علامات مادية حقيقية من شأنها أن تأخذ بيد السامع أو القارئ ، فتعينه على الفهم وتنوق المعنى المراد[١٤] .

أما بالنسبة لتلك الآيات القرآنية التى وردت وقد تقدم فيها المفعول على فاعله – كما أشار لذلك الدكتور إبراهيم أنيس[١٥] مثل قوله تعالى (**فأوجس فى نفس خيفة موسى**)[١٦] ، وقوله (**فلما جاء آل لوط المرسلون**)[١٧] ، وقوله (**أنى يحيى هذه الله بعد موتها**)[١٨] ؟! ، وقوله تعالى (**ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً**)[١٩] .. إلخ ، فذلك راجع – فى رأى الدكتور أنيس – إلى « نظام

---

(١٣) دراسات فى علم اللغة ، الجزء الثانى ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ط / ٩ ص ١٣٨

(١٤) المرجع السابق ، وانظر : إبراهيم أنيس لغوياً ، للدكتور على سيد جعفر ، ص ١١٤٠.

(١٥) من أسرار اللغة ، السابق ، ص ٢٤٥ .

(١٦) سورة هود الآية / ٧٠

(١٧) سورة هود الآية /

(١٨) سورة البقرة الآية / ٢٥٩ .

(١٩) سورة هود الآية /٦٩

الفواصل القرآنية » « والحرص على موسيقاها ، ودليله على ذلك ما اكتفت تلك الآية السابقة من الآيات الأخرى من سورة طه ، وفي قوله تعالى : « أنى يحيى هذه الله بعد موتها) .. حيث يرى - رحمه الله - أن تجرد اسم الإشارة من المشار إليه ، وصغر بنيته ، جعله كضمير متصل ، فعومل في الآية ، كما يعامل الضمير المتصل ، ولذلك ولي الفعل مباشرة وارتبط به ارتباط الضمائر المتصلة ، أو يمكن - لديه أيضًا - أن يقال : إن الأسلوب هذا أسلوب انفعالي يشبه في نظامه ما يجري عليه الشعر من التحرر من قيود النظام المألوف في النثر(٢٠) .

غير أن الأستاذ على النجدى ناصف - رحمه الله - يرد على هذا الرأى بقوله : « ... بل إن الزيادة نفسها ، وهى التى قد يظن أن ليس لها فى هذا المجال عمل ، كثيراً ما تكسب العبارة التى تدخلها فضل معنى لولاها لم يكن ، فالقرآن الكريم مثلاً إذ يقول : « ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين(٢١) ، وإذ يمضى فى القول إلى : « **ولما** أن جاءت رسلنا لوطًا سيء بهم وضاق بهم ذرعًا(٢٢) ، **فلا يزيد أن بعد لما** فى قصة الملائكة مع إبراهيم - كما زادها فى قصتهم مع لوط - لا يفعل ذلك عفواً أو مصادفة ولكن الأمر يراد ، اقتضى الزيادة بموضعها ، ولم يقتضها فى الموضع الآخر(٢٣) .

ويضيف .. ذلك بأن حال إبراهيم حين جاءته الملائكة لم تكن كحال لوط ، لقد جاءوا إبراهيم فحسبهم ضيفا ، ولم يكن ثمة ما يحمل على الاسترابة بهم ، فأكرم نزلهم ، وعجل قراهم ، فهم إذا لم يقولوا له من فورهم : إنا مهلكوا أهل هذه القرية ، ولكن جرى بينهم وبينه أولا مثل ما يجرى عادة بين الضيف والمضيف ، من الاستئذان والتحية ، يدل لذلك أسلوب القصة نفسها فى سورتى « هود » و « الذاريات » .

إذ يقول الله تعالى فى « هود » : ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا : سلاما ، قال : سلام .. » . وإذ يقول فى الذاريات : « هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ، قال : سلام قوم منكرون » !! (الآيتين ٢٤ ، ٢٥) .

---

(٢٠) راجع بحثه المستقل : على هدى الفواصل القرآنية ويقع فى ١٢ صفحة ، وانظر كذلك : إبراهيم أنيس لغوياً ، مرجع سابق ، ص ١١٣٧ - ١٣٨

(٢١) سورة هود الآية /٦٩ .

(٢٢) سورة هود الآية / ٧٧ .

(٢٣) من قضايا اللغة والنحو ، المرجع السابق ، ص ٧ وما بعدها .

أى أن جواب لما وهو : « قالوا إنا مهلكو .. » لم يحدث عقيب شرطها مباشرة ، فالتعبير الصادق الدقيق كما يقول الأستاذ على النجدى ناصف – عن هذا المعنى – يقتضى إذا إلا تزاد فيه أن بعد لما ، وإلا كانت فضولا ولغوا ، بل مخالفة لواقع الحال إذا قرنت إلى نظيرتها فى الآية التالية ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

أما لوط فكان ضائقا بقومه شديد السخط عليهم ، يحاول جاهدا أن يطهرهم من رجسهم ، ويدفع عن الناس شرهم ، لذلك لم يكد يرى رسل ربه حتى وقع فى وهمه أنهم بشر ، وأنهم لابد ملاقون من قومه المنكر الذى عرفوا به ما سبقهم إليه أحد من العالمين ، فركبه الهم واستبد به الاستياء .

ومن ثم يوضح « أن جواب لما وهو « سيىء بهم » قد وقع بعد شرطها مباشرة دون مهلة ولاريث ، فالتعبير الصادق الدقيق عن هذا المعنى يقتضى أن تزاد فيه أن بعد لما فتكمل صورة الحال التى كان عليها لوط من توتر الإحساس وشدة الانفعال ، لإصرار قومه على المنكر وعجزه عن تطهيرهم منه[٢٤] .

ويخلص الأستاذ النجدى من تحليله هذا إلى تقرير : أن العربية حقا لغة حساسة ، بل دقيقة الإحساس فى مفرداتها وأساليبها جميعا ، فما يكاد يصيب هذه أو تلك شىء من تغيير حتى يكون له صدى فى معناها على وجه من الوجوه ، فبعيد إذا أن يكون الإعراب فى العربية مجرد حلية زائفة ، أو لغو فارغ ، وما كان سلف هذه الأمة – فيما أعتقد – لينفق على النحو تأليفا وتدريسا كل ما أنفق إلى اليوم ، لو علموا أن الإعراب فى العربية عناء باطل لا حاجة إليه ، ولا جدوى منه ..) (ص ٩ – المرجع السابق) .

وتدلى الدكتورة نفوسه زكريا – رحمها الله – بدلوها فى نفس القضية فتقرر ردا على الدكتور أنيس ومن شايعه فى رأيه – أن « القول بترك الإعراب وتسكين أواخر الكلمات لايلغى الإعراب » – لأن الإعراب فى الفصحى ليس مقصوراً على أواخر الكلمات ، ولكنه داخل فى بنيتها ، وبتغييره تتغير معانى الكلمات مع بقاء حروفها كما هى .. فالحركة تفرق بين اسم الفاعل واسم المفعول فى مثل (مكرم ومكرم ومستخرج ومستخرج) وبين فعل المعلوم وفعل المجهول نحو : كتب وكتب ، وبين الفعل والمصدر

---

(٢٤) على النجدى ناصف ، المرجع السابق ، ص ٨ .

فى مثل : وعلم وعلم .. إلخ(٢٥) . فهذه القواعد إذن هى جوهر اللغة ، فأية محاولة لهدمها معناها هدم اللغة نفسها ... وهيهات أن تهدم اللغة العربية عن طريق قواعدها التى اتصفت بهذه الدقة والأحكام ، وخاصة بعد أن أدت هذه القواعد رسالتها خير أداء ، وهى المحافظة على القرآن الكريم من العجمة (عدم الفهم) والضياع .

وكذلك بعد أن أثبتت تلك اللغة العربية صلاحيتها وانتشارها وانسيابها فى الأقطار العربية وانتصارها على كثير من اللغات من غير جهد لنشرها ، وباجتماع العرب على تلك القواعد الموحدة ، من غير أن تحملهم على ذلك قوة قاهرة . (المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

وحسب لغة الضاد من دليل على صلاحية قواعدها الإعرابية أن كل الاقتراحات التى قيلت بشأن تيسيرها عن طريق بتر بعض القواعد أو تعديل البعض الآخر بإخراجه عن أوضاعه ، قد باءت كلها بالفشل رغم الجهود الكبيرة التى بذلت لترويجها فى مطلع القرنين التاسع عشر والعشرين .

ونختم خلافنا مع الدكتور إبراهيم أنيس فى موقفه من قضية الإعراب بما قاله الدكتور على عبد الواحد وافى - رحمه اللّه - فى كتابة (فقه اللغة) فى ختام حديثه عن قواعد التنظيم فى اللغة العربية - الإعراب واختلاف الآراء فى صدده - حيث يقرر أن : « نظام الإعراب عنصر أساسى من عناصر اللغة العربية ، وليس من إلهام عبقرى ، ولا من اختراع عالم ، وإنما تكن فى صورة تلقائية فى أحقاب طويلة ، كما يتكون اللؤلؤ فى جوف الأصداف ، وكما تتكون الأحجار الكريمة من فلذات الأرض الطيبة ، وقد اشتملت عليه هذه اللغة منذ أقدم عهودها ، وكل ما عمله علماء القواعد حياله هو أنهم استخلصوا مناهجه استخلاصا من القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام الفصحاء من العرب ، ورتبوها ، وصاغوها فى صورة قواعد وقوانين(*) .

(٢٥) تاريخ الدعوة إلى العامية ، مرجع سابق ، ص ٢٠٤ وما بعدها .

(*) فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط / ١٩٨٨ ، ص ٢١٥

الفصل الرابع

مع الدكتور إبراهيم أنيس فى (موسيقى الشعر)

- الإحساس الفنى .
- هل لجرس الألفاظ ضوابط ؟
- عرض « الخليل » وبحور الشعر .

– الطويل – الكامل – البسيط – الوافر –
الخفيف – الرمل – المتقارب – السريع – المنسرح –
المديد – (المتدارك) .

- نحو نظام جديد لأوزان الشعر .
- تعليق .

الفصل الرابع

مع الدكتور إبراهيم أنيس فى (موسيقى الشعر)

هذا هو الكتاب الثالث من مؤلفات الدكتور إبراهيم أنيس اللغوية ، الذى نقدم له عرضًا تحليليًا لأهم مضامينه وأفكاره ، من منظور التحليل المقارن ، فى هذا الفصل من الكتاب ، لنقف على مدى الإضافة والإسهام الذى قدمه الدكتور إبراهيم أنيس فى هذا الكتاب .

بين أيدينا الطبعة (الخامسة)[1] من كتاب موسيقى الشعر ، للدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - وتقع فى (٣٦٥ صفحة) من القطع المتوسط ، وتحتوى على « ثلاث » مقدمات لطبعات الكتاب المختلفة، أشار فى أولاها إلى أن هذا الكتاب مؤسس على الدراسة الحديثة للأصوات اللغوية ، ويوقف الدارس الجامعى على بعض أسرار النسج الشعرى عند القدماء والمحدثين ، وفى ثانيتها أوضح أنه تناول - فى الطبعة الثالثة لهذاالكتاب - قضية الشعر الحر فى إطار البحث العلمى الموضوعى البعيد عن التعصب لفكرة معينة .

أما فى ثالثتها - وهى مقدمة الطبعة الرابعة للكتاب - فقد عرض فيها ، من منظور البحث المقارن - (للقافية فى الشعر العربى والقافية فى الشعر الإنجليزى)!!

وأما فصول الكتاب فقد بلغت ثلاثة عشر فصلاً هى : الإحساس الفنى ، الجرس فى اللفظ الشعرى ، عروض الخليل ، تحليل المستشرقين للأوزان ، الإنشاد والغناء ، تطور الأوزان الشعرية ، أوزان المولدين ، فى الشعر الإنجليزى ، تنوع القوافى ، أخطاء الرواة ، النسج القرآنى وأوزان الشعر ، ثم الفصل الأخير بعنوان : (الشعر الحر) .

الإحساس الفنى :

فى الفصل الأول : يتحدث الدكتور إبراهيم أنيس عن أربع قضايا تتعلق بالشعر وموسيقاه ، وهى :

---

(١) صدرت عن مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨١ م .

الإحساس الفنى ، وأثر النغم ، والموسيقى – باعتبارها أبرز صفات الشعر – ثم مظاهر التجديد فى موسيقى الشعر ، وتحت عنوان الإحساس الفنى ، يتحدث الدكتور إبراهيم أنيس : عن الشعر بقوله : « الشعر فن من الفنون الجميلة ، مثله مثل التصوير والموسيقى والنحت ، وهو – فى أغلب أحواله – يخاطب العاطفة ويستثير المشاعر والوجدان ، فالشعر صورة جميلة من صور الكلام(٢) .

وللشعر نواح عدة للجمال ، أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ ، وانسجام فى توالى المقاطع ، وتردد بعضها بعد قدر معين منها ، وكل هذا ما نسميه « بموسيقى الشعر » . ويستمتع الصغار والكبار بما فى الشعر من موسيقى ، ويدرك الطفل ما فيه من جمال الجرس قبل أن يدرك ما فيه من جمال الأخيلة والصور .

ويوضح الدكتور أنيس فى حديثه عن « أثر النغم » أن مؤرخى الأدب العربى عللوا كثرة ما روى لنا من أشعار القدماء – إذا قيس بما روى من نثرهم – بأن حفظ الشعر وتذكره أيسر وأهون ، وهذا يرجع إلى ما فى الشعر من انسجام المقاطع وتواليها بحيث تخضع لنظام خاص فى هذا التوالى(٣) ، ويفسر الدكتور أنيس ذلك بأن « الكلام الموزون ذو النغم الموسيقى يثير فينا انتباها عجيبًا ، وذلك لما فيه من توقع لمقاطع خاصة تنسجم مع ما نسمع لتتكون منها جميعًا تلك السلسلة المتصلة الحلقات التى لا تنبو إحدى حلقاتها عن مقاييس الأخرى ، والتى تنتهى بعد عدد معين من المقاطع بأصوات بعينها نسميها (القافية) .

أما فى حديثه عن « الموسيقى » أبرز صفات الشعر » فيذكر الدكتور أنيس أن القدماء من علماء العربية لم يتفقوا على تعريف جامع مانع للشعر ، وإن كانت هناك محاولات من قبل البعض مثل « ماثيو أرنولد » ، و « شيلى » وبعض الأدباء الذين يرون أن « الشعر هو ذلك الكلام الخالد » أو هو « طريقة خاصة من طرق استعمال اللغة » .

ويرى د . أنيس أن كل هذه المحاولات ، إن دلت على شىء فإنما تدل على أن ناقدى الأدب لا يقنعون من الشعر بالصورة ونظامه الخاص ، ويحاولون التفتيش فى

---

(٢) موسيقى الشعر ، الدكتور إبراهيم أنيس ، ص ٧ وما بعدها .

(٣) د . إبراهيم أنيس ، المصدر السابق ، ص ١٢ – ١٣ .

معانيه لعلهم يظفرون منها بأسرار وخصائص أخرى تميزه من النثر ، ولكنه هنا لا يعمد إلى إثارة جدل أو نقاش مع ناقدى الأدب هؤلاء حول الشعر ومعناه وخصائصه ، لأنه يخلص من ذلك إلى التأكيد على حقيقة تاريخية معروفة وهى أن الشعر جاءنا – منذ القدم – موزونًا مقفى ، والشعر لا يزال فى جل الأمم موزونًا مقفى ، نرى موسيقاه فى أشعار البدائيين ، وأهل الحضارة ، ولذلك يطالب د . أنيس النقاد بمحاولة التفتيش عن كل أسرار الشعر ... « لأن الشعر ، فى الحقيقة ، ليس إلا كلامًا موسيقيًا تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر بها القلوب »[٤] .

ويشير الدكتور أنيس فى نهاية هذا الفصل الأول من الكتاب إلى قضية التجديد فى موسيقى الشعر ، ويلاحظ أن التجديد فيها نادر ، وأن تطورها بطئ جدا ... وذلك لأن ألفة الوزن وشيوعه فى البيئة اللغوية يتطلب زمنا طويلا وإنتاجا شعريا كثيرا حتى يعتاده جمهور كبير من السامعين ، وكذلك يلاحظ د . أنيس أنه : « بالنسبة لأوزان الشعر وقوافيه لا نكاد نظفر من شعرائنا المحدثين بجديد ، فقد غلبت عنايتهم بالأخيلة ، وحرصهم على البراعة فى المعانى ، وأهملوا ناحية الموسيقى الشعرية ، فليس منهم من حاول التجديد فيها أو التفنن فى نظامها[٥] .

ويرى أنه ربما كان للكتابة والقراءة أثر فى هذا ، فالشعر يقرأ الآن أكثر مما ينشد ، ومع ذلك لا يمنع الدكتور أنيس المحدثين من شعرائنا من أن يجددوا فى « موسيقى الشعر » ولكنه يقيد ذلك « الإمكان » بأن يمضى « بقدر » وفى « أناة » ورفق ، حتى لا يفاجئوا قراءهم وسامعيهم بما لم يألفوا ، أو بما لا يمت للقديم بأى صلة ، وإنما يكون ذلك (أى التجديد) بالاختصار فى نظمهم على ما شاع من أوزان ، وإهمال غيرها إهمالا تاما ، فإذا ابتكروا وزنا حاولوا جهدهم أن ينظموا منه ، بحيث يصبح شائعا مألوفا ، وتقرب نسبة شيوعه من تلك الأوزان التى ألفها الناس وتعودها .

---

(٤) المصدر السابق ، ص ١٧ .

(٥) نفس المصدر ، ص ١٩ .

هل لجرس الألفاظ ضوابط ؟

فى الفصل الثانى من هذا الكتاب ، وهو بعنوان (الجرس فى اللفظ الشعرى) يبدأه د . أنيس بتساؤل : هل لجرس الألفاظ ضوابط ؟

للإجابة على هذا التساؤل يستعرض د . أنيس تعريف القدماء للشعر بأنه : « الكلام الموزون المقفى » أى أنهم يرون الانسجام الموسيقى فى توالى مقاطع الكلام وخضوعها إلى ترتيب خاص ، مضافا إلى هذا تردد القوافى وتكرارها ، وهى أهم خاصية تميز الشعر من النثر .. « فلما جاء المحدثون وبدأوا ينظرون إلى الشعر فى لغات عدة وضعوا له أركانا ثلاثة يجب أن تتحقق فى الكلام ليسمى شعرا : أولها[٦] : أن معانيه تصب فى صور خيالية تثير القارىء أو السامع . وثانيها : أن تتوافر فى ألفاظه صفة التجانس بين اللفظ والمعنى ، وذلك بأن يكون اللفظ رقيقا فى موضع الرقة ، قويا عنيفا فى موضع القوة والعنف ، وأن تتوافر فيه صفة الجرس الموسيقى ، وألا يكون اللفظ مبتذلا أو كثير الشيوع ، ولا يرتاح إليه الذوق الشعرى وثالثها : الوزن الشعرى وخضوع الكلام لترتيب مقاطعه إلى نظام خاص ، وهذا ما يعنينا (أى المؤلف) فى البحث عن الجرس الموسيقى فى اللفظ الشعرى ، ومع ذلك نجد الدكتور أنيس قد أجاب عن سؤاله الذى طرحه من قبل ، بعد استعراضه لعديد من أبيات الشعر المختلفة لشعراء مختلفين قدامى ومحدثين ، مثل أبى الطيب المتنبى والبحترى وأمير الشعراء أحمد شوقى حيث يقرر : « فموسيقى البحترى هنا موسيقى الخاصة من الناس الذين ألفوا البحث والتفتيش عن أسرار اللغة ودقائقها ، أما موسيقى شوقى فى أبياته[٧] فهى فى متناول الجميع وموضع إعجاب الجميع .

كل هذا حين نتجرد فى نقدنا عن التأثر بمعانى الأبيات » ... إن المرء يتوقع فى موسيقى ألفاظ الشعر الغزلى شيئًا غير الذى يتوقعه فى وصف معركة أو هجاء أو فى موضوع سياسى حماسى ، ولكن الشاعر فى كل الحالات مقيد بألفاظه وليس فى مقدوره اختراع ألفاظ تنسجم كل الانسجام مع معانيه ، ولكنه يتخير من قاموس اللغة أصلح الألفاظ لمعانيه ، فيوفق فى اختياره أحيانًا ، ويفقد ما يطلبه أحيانًا[٨] أخرى .

---

(٦) المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٧) يشير د . أنيس فى ذلك أبيات شوقى التى أوردها فى ص ٤٠ من هذا الكتاب .

(٨) المصدر السابق ، ص ٤٢ – ٤٣ .

ولكننا نلاحظ أن الدكتور أنيس عرج من ذلك إلى موضوع آخر يتعلق بتكوين « الكلمات » من حروف الهجاء الثمانية والعشرين ، .. فقد روى السيوطى أن الخليل بن أحمد قد ذكر فى كتاب العين عدد الكلمات التى يمكن أن تتكون من ٢٨ حرفًا ووجدها تزيد اثنى عشر مليونًا من الكلمات ، ولكن أبا بكر الزبيدى حين اختصر كتاب الخليل « العين » ذكر أن عدد الكلمات الممكنة عقلاً تكاد تجاوز ستة ملايين ونصف المليون ، وأن المستعمل منها فعلاً لا يكاد يزيد على ستة آلاف .

والواضح أن كلام الدكتور إبراهيم أنيس فى هذا الصدد يقترب من حديثه عن (الأصوات) اللغوية ، أكثر من قربه لموضوع هذا الفصل بالذات[٩] .

على أننا لا نتفق مع الدكتور أنيس وهو بصدد تحليله لأبيات شوقى فى موضع آخر من هذا الفصل (الثانى) من كتابة والتى يقول فى مطلعها :

خدعوها بقولهم حسناء والغوانى يغرهن الثناء

حيث يرى د . أنيس أن « الشطر الأول من هذا البيت أشق (نطقا) من الأشطر التى أتت بعده ، وذلك لتضمنه عددا من الأحرف التى تتطلب جهدا عضليا أكثر ، ففيه من حروف الحلق : الخاء والعين والهاء والهمزة ، هذا إلى أن فيه « القاف » ، ثم يقول : « ولو أن الشاعر – يقصد شوقى – استعمل كلمة مثل « وصفوها » بدلا من « خدعوها » لأصبح الشطر من الناحية الموسيقية أسهل وأرق[١٠]!! .

والواقع أن الاهتمام بموسيقى اللفظ لا يجوز أن يأتى على حساب المعنى فى البيت الشعرى بحال من الأحوال ، فالشاعر هنا إنما يريد السخرية ممن اغترت فى نفسها لما عرفت أن هناك من يصفها بأنها حسناء ، بل إنها خدعت بهذا الوصف لأن « الغوانى » يغرهن الثناء ، ولأنها من هذه « النوعية » تناسته لما « كثرت فى غرامها الأسماء » ، ولذلك لم يجد الشاعر أصدق فى التعبير عن موقفه أو رد فعله منها إلا كلمة « خدعوها » وكأنه يريد بذلك أن يبين لها أن حقيقتها غير ذلك ، فهى مخدوعة فى

(٩) انظر فى ذلك على سبيل المثال الصفحات (من ٢٢ – ٤١) ، المصدر السابق .

(١٠) ص ٣٨ – ٣٩ الفصل الثانى ، نفس المصدر .

قولهم أنهم « حسناء » لأنهم من « الغوانى » اللواتى إذا وقع فى غرامهن كثيرون من الأسماء تناسينه وكأن لم تكن بينهن وبينه « أشياء » !!

ومن ثم فلو استعمل الشاعر كلمة « وصفوها » بدلا من كلمة « خدعوها » ، كما يرى الدكتور أنيس ، لاختلف المعنى الذى يهدف إليه الشاعر فى هذا البيت والأبيات التى بعده !!

بقى أن نشير إلى أن د . أنيس ختم هذا الفصل بالحديث عن « جرس الألفاظ فى البديع » حيث يرى أنه لا يتم الحديث عن موسيقى الألفاظ إلا بإشارة سريعة لما جاء فى كتب أهل البديع (ص ٤٥ - ٤٨) من الكتاب .

* * *

عروض الخليل

ويتحدث الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - فى الفصل الثالث (عروض الخليل) عن : كيف درس القدماء عروض الخليل ؟ والبحور وتحليلها ، وتيسير الأوزان ، وهو عرض لبحور الشعر كما استنبطها الخليل بن أحمد .

ويرى د . أنيس أن الخليل « نهج فى عروضه نهجا خاصا غير مؤسس على الأسس العلمية من الناحية الصوتية ... ويظهر أن الخليل وأصحابه قد تأثروا - إلى حد كبير - بمقاييس علم الصرف ، فاتخذ رموز الصرف رموزا للعروض ، مع فارق بسيط يدركه كل منا ويدرك سره[١١] .

ويخلص من ذلك إلى أن « العروض - كما وضعه القدماء - قد لحق به شىء غير قليل ومن الصناعة وأن قواعده قد عقدت وأسرف في تعقيدها »[١٢] .

ويجوز الشعر كما استنبطها الخليل بن أحمد هى عشرة بحور مضافا إليها بحر (المتدارك) المنسوب للأخفش ، وتجدر الإشارة إليها : - إجمالا - على النحو التالى :

---

(١١) المصدر السابق ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(١٢) نفس المصدر ، ص ٥٥ .

١- الطويل	فعولن مفاعلين - فعولن - مفاعلين .
٢ - الكامل	متفاعلن + متفاعلن + متفاعلن
٣ - البسيط	مستفعلن + فاعلن - مستفعلن + فاعلن
٤ - الوافر	مفاعلتن + مفاعلتن + فعولن
٥ - الخفيف	فاعلاتن + مستفعلن + فاعلاتن
٦ - الرمل	فاعلاتن + فاعلتن + فاعلن
٧ - المتقارب	فعولن + فعولن + فعولن + فعولن
٨ - السريع	مستفعلن + مستفعلن + فاعلن
٩ - المنسرح	مستفعلن - مفعولات - مستفعلن
١٠ - المديد	(أ) فاعلاتن + فاعلن + فاعلاتن (ب) فاعلاتن + فاعلن + فعلن .
١١ - المتدارك	(وهو بحر لم يعرض له الخليل وينسب إلى الأخفش ..) فاعلن + فاعلن + فاعلن .

البحور وتحليلها وتيسير الأوزان :

أما بالنسبة لبحور الشعر الخليلة ، فقد نهج أهل العروض - فيها - نهجا خاصا فى تحليل كلمات البيت من الشعر إلى مقاطع ، وقد أوجدوا لنا ثمانية مقاييس سموها بالتفاعيل وهى :

فعولن ، مفاعيلن ، مفاعلتن ، فاعلن ، فاعلاتن ، متفاعلن ، مستفعلن ، مفعولات . وهذه التفاعل الثمانية تقابل بحروفها فى الوزن حروف الكلمات الموزونة فى البيت الشعرى ، فماكان متحركا قوبل بمتحرك ، وما كان ساكنا قوبل بساكن .

وفيما يتعلق بتيسير الأوزان نجد د . أنيس يسلك نهجا مبسطا خاليا - بقدر الإمكان - من الإصطلاحات الكثيرة الموجودة بكتب العروض ، حيث يرتب البحور حسب نسبة شيوعها فى الشعر العربى القديم إلى أربع مراتب هى :

١ - **الطويل**[١٣] : ويشتمل هذا البحر على مقياسين من المقاييس الثمانية التى أشرنا إليها من قبل ، وهما : فعولن مفاعيلن ، فعولن مفاعيلن ، وأكثر صور الطويل هذا شيوعا ، وأحبها إلى النفوس والآذان هى فعولن (أو فعول) + مفاعيلن + فعولن (أو فعول) + مفاعلن ، مثل قول البارودى :

سواى بتحنان الأغاريد يطرب وغيرى باللذات يلهو ويعجب
وما أنا ممن تأسر الخمر لبه ويملك سمعيه اليراع المثقب[١٤]

٢ - الكامل : وهو فى المرتبة الثانية فى نسبة الشيوع فى الأشعار العربية ، ولهذا البحر مقياس واحد هو « متفاعلن » ويشتمل شرط البيت من هذا البحر على ثلاثة مقاييس منه » .

متفاعلن + متفاعلن + متفاعلن ، ولكن كثيرا ما يحل محل هذا المقياس مقياس آخر هو : « مستفعلن » ، وينقسم هذا البحر إلى نوعين :

(أ) تام المقطع ، أى ترد فيه المقاييس الثلاثة السابقة .

(ب) ناقص المقطع ، أى يرد فيه المقياس الأخير وقد سقط نصفه : متفاعلن + متفاعلن + متفا ، والنوع الأول - كما يقول د . أنيس - هو أكثر دورانا فى الشعر العربى ، وقد نظم منه معظم الأشعار التى جاءت من هذا البحر[١٥] .

ويلخص الدكتور أنيس قواعد نوعى البحر الكامل الكثيرة الشيوع والتى يجب أن ينظم منها فى الآتى :

---

(١٣) المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(١٤) نفس المصدر ، ص ٦٢ .

(١٥) انظر : المصدر السابق ، ص ٦٥ ، حيث يدلل المؤلف على ذلك بأبيات للشاعر « محمود غنيم » من قصيدته : (محنة الحرب) و (فجر السلام)

١ – الكامل : التام المقاطع .. ولقصائده حالتان :

(أ) متفاعلن + متفاعلن + متفاعلن (فى كلا الشطرين) .

(ب) متفاعلن + متفاعلن + متفاعل (فى الشطر الثانى فقط)[١٦] .

٢ – الكامل : الناقص لقصائده أيضا حالتان :

(أ) متفاعلن + متفاعلن + متفا (محركة التاء فى كلا الشرطين) .

(ب) متفاعلن + متفاعلن – متفا (ساكنة التاء فى الشطر الثانى فقط)[١٧] .

٣ – البسيط[١٨] : ووزن الشطر فى هذا البحر هو :

مستفعلن + فاعلن + مستفعلن + فاعلن غير أن التفعيلة الأخيرة « فاعلن » لا ترد فى الشطر الأول « فعلن » دائما ، إلا إذا كان البيت مصرعا فحينئذ يتبع الشطر الأول فى نهايته ما تكون عليه نهاية الشطر الثانى .

أما فى الشطر الثانى فتتخذ التفعيلة الأخيرة (فاعلن) إحدى صورتين : فعلن أو فعلن وعلى هذا فالبحر البسيط يمكن أن تقسم قصائده إلى نوعين :

١ – قصائد تنتهى كل أبياتها بوزن « فعلن » .

٢ – قصائد تنتهى كل أبياتها بوزن « فعلن » .

ومثال القصائد التى من النوع الأول قول « شوقى » فى نهج البردة :

ريم على القاع بين البان والعلم　　　أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

---

(١٦) انظر المصدر السابق ، ص ٦٥ ، حيث يدلل المؤلف على ذلك بأبيات للشاعر محمود غنيم من قصيدته رحلة الحرب وفجر السلام .

(١٧) نفس المصدر ، ص ٧٠ .

(١٨) نفس المصدر ، ص ٧١ – ٧٥ .

بينما يمثل للنوع الثانى أجل سفك دمى فى الأشهر الحرم من قصائد البحر البسيط ، بينما يمثل النوع الثانى من قصائد البحر البسيط ، الذى تنتهى فيه الأبيات بوزن « فعلن » قول الشاعر المعاصر (محمود غنيم) تحت عنوان « ثورة على الحضارة » .

ذرعتم الجو أشبارا وأميالا	واجهتم البحر أعماقا وأطوالا
فهل نقصتم هموم العيش خردلة	أو زدتموه فى نعيم العيش مثقالا ؟

٤ - الوافر[١٩] : ووزن الشطر الواحد من هذا البحر هو : مفاعلتن + مفاعلتن + فعولن والمقياس الأخير « فعولن » لا يتغير أبدا فى قصائد هذا البحر ، أما المقياس « مفاعلتن » فكثيرا ما يجيء ساكن اللام ، أى « مفاعلْتن » ، والتغيير الذى يصيب هذا المقياس لا يلزم فى أبيات القصيدة ، بل ليس من الضرورى أن يلتزم فى البيت الواحد منها ، وعلى هذا فليس لهذا البحر إلا نوع واحد من القصائد هى التى تنتهى أشطر أبياتها بالمقياس « فعولن » .

أما فى حشو البيت فنجد المقياس « مفاعلن » محرك اللام أحيانا وساكنها أحيانا أخرى وكلا الحالين سواء فى نسبة الشيوع وحسن الموسيقى ، تستريح إليهما الآذان وتطمئن النفوس عند السماع أو الإنشاد .

ومثال ذلك ما قاله (شوقى) فى قصيدته فى ذكرى المولد النبوى :

سلوا قلبى غداة سلا وتابا	لعل على الجمال له عتابا
ويسأل فى الحوادث ذو صواب	فهل ترك الجمال له صوابا ؟
وكنت إذا سألت القلب يوما	تولى الدمع عن قلبى الجوابا ... إلخ

---

(١٩) المصدر السابق ، ص ٧٦ - ٧٧ .

٥ – **الخفيف**[٢٠] : الوزن الشائع لهذا البحر هو أن يتكون الشطر الواحد كما يلى :

فاعلاتن + مستفعلن + فاعلاتن . ولا تلتزم هذه المقاييس الثلاثة حالة واحدة ، بل نراها تجىء – كما يقول د . أنيس – فى صورة أخرى ، فالمقياس الأول « فاعلاتن » يرد كثيرا فى صورة « فعلاتن » ، والمقياس الثانى « مستفعلن » يرد كثيرا فى صور : « متفعلن » ، والمقياس الأخير « فاعلاتن » له صورتان أخريان هما : « فعلاتن » و « فالاتن » وكلها صورة حسنة كثيرة الشيوع فى أبيات القصيدة من هذا البحر ، وتمتاز صورة المقياس الأخير هنا أنها لا تلتزم (على خلاف ما عهدنا فى البحور الأخرى) ، وإن إحداها تجزى وعليه فقد ينتهى بيت من الخفيف بالوزن (فعلاتن) .. ومن أمثلة ذلك قصيدة حافظ إبراهيم فى حادثة دنشواى والتى يقول فيها :

أيها القائمون بالأمر فينا   هل نسيتم ولاءنا والوداد ؟

خفضوا جيشكم وناموا هنيئا   وابتغوا صيدكم وجوبوا البلاد .. الخ

ولعل ما يلفت النظر فى هذا الصدد إشارة الدكتور أنيس إلى أنه عثر فى ديوان للعقاد على قطعة عدتها عشرة أبيات ينسبها إلى هذا الوزن ، حيث جعل جميع أشطر الأبيات العشرة تنتهى بالوزن (فعلن) لا (فاعلن)[٢١] وهى بعنوان « وردة محزنة » قال العقاد فيها :

٦– **الرمل**[٢٢] : وهو من بحور المرتبة الثالثة فى نسبة الشيوع ، ووزن الشطر

وردتى فيم أنت ضاحكة   يلمح البشر منك من لمحا

فيم هذا الجمال يحزننى   رونق فيه كان لى فرحا

كنت أهوى الورد أصلحها   ما لذكرى الحبيب قد صلحا .. إلخ

---

(٢٠) المصدر السابق ، ص ٧٨ – ٨١ .

(٢١) نفس المصدر ٨٠ وما بعدها .

(٢٢) المصدر السابق ، ص ٨٢ – ٨٥ .

الواحد من هذا البحر هو : فاعلاتن + فاعلاتن + فاعلن ، غير أن المقياس الأخير « فاعلن » يجيء في أواخر الأبيات على صورتين أخريين هماحسب نسبة شيوعها : فاعلات ، فاعلاتن ، أي أن مقطع البيت من بحر الرمل يرد على إحدى الصور الثلاث الآتية : فاعلن أو فاعلات أو فاعلاتن .

ومتى جاء على صورة من هذه الصور التزمت في كل أبيات القصيدة ، ولهذا يمكن أن نقسم القصائد التي تجيء من هذا البحر إلى ثلاثة أقسام هي :

(١) فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

(٢) فاعلاتن فاعلاتن فاعلات

(٣) فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

وذكر الدكتور إبراهيم أنيس عدة قصائد كأمثلة تنتهي أبياتها بتلك الأوزان الثلاثة في عدة أبيات لأحمد شوقي ، منها قوله :

علمـوه كـيف يـجـفـو فـجـفـا ظالـم لاقـيـت منه مـا كـفـى
مـسـرف في هجـره مـا ينتـهي أتراهـم علمـوه السـرفـا .. إلخ

وقوله أيضا : وهو يحيي « أم المحسنين »

ارفـعي السـتـر وحـيي بالجـبين وأريـنا فـلق الـصـبـح المبـين
وقـفي الهـودج فـينـا سـاعـة نقـتـبس من نـور أم المحـسنين
واتركي فـضـل زمـامـيـه لنا نـتـنـاوب نحـن والـروح الأمـين

قــد سـقــينا بمحـيـاك الحيــا ولقــينا حــول يمناك اليــمين
مــقــدم قـد قــرن الخــيــر به رب خـيـر فى الوجــوه القـادمين

فى البيت الأول – كما يقول د . أنيس – مصرع لأنه ينتهى شطره الأول بوزن « فاعلات » مثله فى هذا مثل الشطر الثانى ، أما باقى الأبيات فينتهى شطرها الأول بوزن « فاعلن » والشطر الثانى بوزن « فاعلات » ويلتزم هذا فى كل أبيات القصيدة ..

أما القصائد التى تنتهى أبياتها بوزن « فاعلاتن » ، وتنتهى الأشطر الأولى منها بوزن « فاعلن » إلا حين يكون البيت مصرعا فينتهى الشطر الأول منه بوزن « فاعلاتن » أيضا .. فمنها قول شوقى أيضا « فى الطيران » :

قم سليـمـان بساط الريـح قامـا ملك القــوم من الجــو الزمـامـا
حين ضـاق الـبـر والبـحــر بهم أسرجـوا الريح وساموها اللجـاما
صـار مــا كـان لكم مـعــجـزة آيـة للـعـلـم آتاهـا الأنـامـــا
قــدرة كنـت بهــا منفــردا أصبـحت حصة مـن جد اعتـزاما

* * * *

وكذلك قوله :

بين كـأس يتشـهى الكرم خمـره وحـبــيب يتــمنى الكأس ثـغـرة
التـــقت عـــينى به أول مـــرة فــعـــرفت الحب من أول نظرة
أين من عــينى هاتيك المجــالى يا عروس البـحر يا حلم الخيال ؟

وتلك هى أنواع الرمل الثلاثة :

٧- **المتقارب**[٢٣] : ويتكون الشطر الواحد من هذا البحر من المقياس « فعولن » مكررا أربع مرات أى : فعولن + فعولن + فعولن + فعولن ، وتتخذ « فعولن » التى تقع فى آخر البيت صورا عدة ، ففى بعض القصائد نراها « فعولن » ، وفى البعض الآخر نراها « فعول » وأحيانا نجدها « فعو » فقط » ، ولهذا يمكن أن تقسم القصائد التى ترد من هذا البحر إلى أقسام ثلاثة وردت فى الشعر العرب بكثرة ، ورويت لها القصائد المتعددة ، ولكنها ليست بنسبة واحدة فى الشيوع وأكثر هذه الأقسام الثلاثة شيوعا وأحبها إلى الشعراء هو الوزن الآتى : فعولن + فعولن + فعولن + فعو ، وضرب الدكتور أنيس أمثلة لذلك بأبيات من قصيدة للبارودى بعنوان « فى صفات الحاكم » والتى يقول فيها :

إذا سدت فى معشر فاتبع ... سبيل الرشاد وكن مخلصا

ووال الكريم ودار السفيه ... وصل من أطاع وخذ من عصى

ونقب لتعلم غيب الأمور ... فإن من الحزم أن تفحصا

ولا تبقين على فاجر ... فإن اللئام عبيد العصا

وإن خفى الحق فاصبر له ... وبادر إليه إذا حصحصا

كما ضرب د . أنيس أمثلة لقصائد النوع الثانى التى تجىء من هذا البحر بأبيات من قصائد ديوان صرخة فى واد للشاعر محمود غنيم ، الذى يصف جلسة له مع ولديه الصغيرين بقوله :

---

(٢٣) المصدر السابق ، ص ٨٦ - ٨٩ .

وأطيب ساع الحياة لديا عشية أخلو إلى ولديا
إذا أنا أقبلت يهتف باسمي الـ فطيم ويحبو الرضيع إليا
فأجلس هذا إلى جانبي وأجلس ذلك على ركبتيا .. إلخ(٢٤)

٨ – السريع(٢٥) : هذا بحر من أقدم بحور الشعر العربي ،غير أن ما روى منه في الشعر القديم قليل ، مثله في هذا مثل بحر الرمل ، ولكن الرمل قد وجد عناية في الشعر الحديث حتى أصبح الآن يحتل المرتبة الثانية بين الأوزان الشعرية ، في حين أن السريع قد قلت نسبة شيوعه في شعرنا العصرى ، وأصبح شعراؤنا ينفرون منه ومن موسيقاه .

ويعلل د . أنيس ذلك بأنه ربما نشعر حين ننشد شعرا من هذا البحر نشعر باضطراب في الموسيقى لا تستريح إليه الآذان إلا بعد مران طويل ، وذلك لقلة ما نظم منه(٢٦) .

غير أن د . أنيس ينتهي إلى تقسيم قصائد السريع إلى أنواع ثلاثة :

١ – قصائد تنتهي كل أبياتها بوزن « فاعلن » ، وهذا القسم أكثرها شيوعا وأحبها إلى النفوس .

٢ – قصائد تنتهي كل أبياتها بوزن « فاعلات » .

٣ – قصائد تنتهي كل أبياتها بوزن « فعلن » .

« وقد أثر الشعراء المحدثون القسم الأول والثاني بالنظم ، ولا نكاد نظفر منهم

---

(٢٤) انظر للمزيد ، نفس المصدر ، ص ٨٨ – ٨٩ .
(٢٥) المصدر السابق ، ص ٩٠ – ٩٤ .
(٢٦) نفس المصدر ، ص ٩٠ .

بشعر من القسم الثالث »[27] وذكر د . أنيس مثال القسم الأول قول حافظ إبراهيم في الحرب اليابانية الروسية سنة (١٩٤٠) :

أساحة للحرب أم محشر ومورد الموت أم الكوثر[28] ؟

٩ – المنسرح[29] : وهو البحر الثاني الذي أبى معظم شعرائنا المحدثين – كما يقول د . أنيس – النظم منه أو لم يستريحوا إليه ، وإلى موسيقاه ، فقد ورد في الشعر الحديث من هذا البحر النزر القليل ... أما القدماء فقد نظموا منه على قلة أيضا ، وإن كثرت قصائده في عصور العباسيين وتنوع وزنه بعض التنوع وأكثر مايجيء من وزن هذا البحر في الشعر القديم ما يلي : مستفعلن – مفعولات – مستعلن – ، ومثاله ماجاء في قصيدة مالك بن عجلان في المذهبات :

إن سميرا أرى عشيرته قد حدبوا دونه وقد أنفوا

وكذلك قول الشعر محمود غنيم :

وساعة كالسوار حول يدي ضاعت فأوهى ضياعها جلدي
مازال يطوى الزمان عقربها حتى طواها الزمان للأبد

١٠– المديد[30] : وهو بحر اعتراف أهل العروض بقلة المنظوم منه وعللوا هذا في بعض كتبهم بأن فيه ثقلا !! مع أن د . أنيس على العكس من ذلك حيث يرى انسجام موسيقاه غير ما كان في بعض المنسرح مثلا من الاضطراب (كما أنه يرى أن هذا

---

(٢٧) نفس المصدر . ص ٩١ .
(٢٨) وانظر للمزيد : ص ٩٢ وما بعدها .
(٢٩) المصدر السابق ، ص ٩٦ – ٩٨ .
(٣٠) نفس المصدر ، ص ٩٩ ، وانظر للمزيد ، ص ١٠٠ – ١٠٣ .

البحر يستحق دراسة خاصة فى ضوء بحر الرمل ، فربما أمكن نسبة ما نظم منه إلى بحر الرمل ، مع شرح ما فيه من تغير أو تحور جعله يباين الرمل فى تفاعيله ، فإذا أمكن هذا لم نحتج إلى بحر نسميه المديد ، وإنما هو الرمل فى صورة أخرى)[٣١] .

١١ - **المتدارك**[٣٢] : هذا هو البحر الذى لم يعرض له الخليل ، وينسب إلى الأخفش لأنه ، كما يعبر أهل العروض ، تدارك به على الخليل .. وقد ذكر أهل العروض أن وزن الشطر من هذا البحر هو : فاعلن + فاعلن + فاعلن + فاعلن ، غير أنهم يكادون يجمعون على أن « فاعلن » هنا تجيء دائما إما « فعلن » أو « فعلن » . فقد جاء فى حاشية الدمنهورى ما نصه : « حكم كثير بشذوذ هذا البحر سالما وأن المطرد استعماله مخبونا[٣٣] .

أما فى الشعر الحديث - كما يقول د . أنيس - فقد هجره الشعراء وانصرفوا عنه إلا حين قلدوا قصيدة الحصرى التى مطلعها :

ياليل الصب متى غده ... أقيام الساعة موعده ؟

فقد نظم شوقى قصيدة على هذا النهج جاء فيها :

مضناك جفاه مرقده ... وبكاه ورحم عوده
حيران القلب معذبه ... مقروح الجفن مسهده ..إلخ

ومع أن د . أنيس لا يعرف سر انصراف الشعراء عن هذا الوزن من أوزان الشعر رغم انسجام موسيقاه وحسن وقعها فى الآذان ، إلا أنه يرجح قربه إلى الأدب الشعبى وإلى الزجل بالذات ، لكثرة مافيه من مقاطع ساكنة ، ولهذا شاع فى الزجل فى أوزان المولدين[٣٤] .

---

(٣١) نفس المصدر ، ص ٩٩ ، وانظر للمزيد ، ص ١٠٠ - ١٠٣ .

(٣٢) المصدر السابق ، ص ١٠٣

(٣٣) نفس المصدر ، والهامش رقم (١) نفس الصفحة .

(٣٤) انظر للمزيد والتصيل ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢ - ٢٤٥ .

الأوزان القصيرة[٣٥] :

بعد ذلك تناول الدكتور إبراهيم أنيس (الأوزان القصيرة) فى الشعر العربى والتى تجمعها صفة واحدة هى أنها قصيرة قليلة المقاطع ، وبعض هذه الأوزان تستقل بنفسها والبعض الآخر مختصر من بحور سبق ذكرها ، وهو ما سماه أهل العروض بالمجزوءات .

والملاحظ – بوجه عام على هذه البحور القصيرة – كما يقرر د . أنيس – أنها لم تكن مألوفة فى الشعر القديم ، ولا سيما الشعرالجاهلى وشعر صدر الإسلام .. « ولكن بدأ الناس يتفنون بتلك الأشعار وكثرة تلحينها أيضا فى عصور الغناء والطرب أيام العباسيين »[٣٦] .

ونحن بدورنا نكتفى بالإشارة إلى تلك الأوزان القصيرة على النحو التالى :

مجزوء الكامل [٣٧] : وهو أكثر البحور القصيرة شيوعا فى الشعر العربى ، ولا سيما الحديث منه ، وهو – كما يستنبط من اسمه – مختصر البحر الكامل الذى تحدثنا عنه آنفا ... وهو يتكون من : متفاعلن + متفاعلن .

الهزج ومجزوء الوافر[٣٨] : والهزج وثيق الصلة بمجزوء الوافر ويلتبس الأمر فى بعض الأحيان عند قراءتنا لبعض الأبيات من الشعر فى هذا الصدد ، فلا ندْرى أيعد البيت من مجزء الوافر أم من الهزج ، ومن المعروف سابقا أن وزن الشطر من بحر الوافر هو : مفاعلتن + مفاعلتن + فعولن ، أما مجزوء الوافر فيتكون من : مفاعلتن + مفاعلتن . وهذا هو وزن الهزج أيضا !!

غير أن الصفة التى تفرق بين الهزج ومجزوء الوافر هى أن « مفاعلين » فى الهزج يجوز أن تصبح « مفاعيل » فقط . وقد استقبح العروضيون هذا فى الوافر . فى حين أنهم استحسنوه فى « الهزج » بالرغم مما بينهما من صلة وثيقة [٣٩] !!

(٣٥) المصدر السابق ، ص ١٠٦ – ١٣٩ .

(٣٦) نفس المصدر .

(٣٧) المصدر السابق ، ص ١٠٧ – ١١٠

(٣٨) المصدر السابق ، ص ١١٠

(٣٩) انظر للمزيد ، نفس المصدر ، ص ١١٢– ١١٤ .

المجتث [٤٠] : وهو بحر أكثر الشعراء فيه النظم ولا سيما في مسرحياتهم الشعرية ، وقد بدأ الشعر في العصر العباسي ينظمون منه مقطوعات قصيرة ، وقد ظلت نسبة شيوع هذا البحر في الأشعار القديمة ضئيلة حتى جاء المحدثون فنهضوا بها واستعذبوا الوزن وموسيقاه وربما كان من أكثر شعرائنا - كما يقول د . أنيس - نظما منه غير المسرحيات ، حافظ إبراهيم[٤١] .

مجزوء البسيط ومخلع البسيط[٤٢] : وهو من البحور القصيرة التي عني بها أهل العروض وأسهبوا في شرحها وفصلوا في أنواعها ما يسمى بمجزوء البسيط ووزن الشطر منه : مستفعلن + فاعلن + مستفعلن ، فوزن مجزوء البسيط - إن صح أن قوما غير المرقش الأصغر قد نظموا منه - بحر لم يضمن لنفسه البقاء مع الأيام ، كما يذهب إلى ذلك الدكتور أنيس - رحمه الله - بل لم يعد يستسيغه الشعراء ، « وإنما أصبحوا يميلون إلى نوع مشتق منه هو الذي سماه أهل العروض **بمخلع البسيط** وقد أجمعوا على أنه من اختراع المولدين ، وأنه لم يكن معروفا قبل عهود العباسيين [٤٣] .

مجزوء الخفيف[٤٤] : معروف أن وزن هذا البحر في الشطر الواحد هو : فاعلاتن + مستفعلن وقد ذكر أهل العروض أن لقصائده مجزوء الخفيف أنواعا ثلاثة ، مثلوا لكل منها ببيت واحد من الشعر ، فإذا نحن استعرضنا ما روى من أشعار قديمة وحديثة لا نكاد نرى لهذا البحر إلا نوعا واحدا تبعه كل الشعراء والتزموه جميعا - لا فرق بين المحدثين والقدماء - وهذا النوع - كما يقول د . أنيس - يتكون سطر البيت فيه هكذا : فاعلاتن + متفعلن[٤٥] .

مجزوء الرمل[٤٦] : ذكر العروضيون في كتبهم أن قصائد هذا البحر ثلاثة أنواع ، وزاد بعضهم نوعا رابعا ، غير أن الدكتور إبراهيم أنيس يقول ك فإذا استعرضنا ما

---

(٤٠) المصدر السابق ، ص ١١٥ .

(٤١) نفس المصدر ، وانظر للمزيد ص ١١٦ - ١١٧

(٤٢) المصدر السابق ، ص ١١٧

(٤٣) نفس المصدر .

(٤٤) المصدر السابق ، ص ١٢١ - ١٢٣

(٤٥) انظر للمزيد والتفصيل ، نفس المصدر .

(٤٦) المصدر السابق ، ص ١٢٤ - ١٢٦ .

روى من أشعار قديمها وحديثها لا نكاد نظفر إلا بنوع واحد ، وهو ذلك الذى يتكون الشطرمنه كما يلى :

فاعلاتن + فاعلاتن ، وربما كان شوقى من أكثر الشعراء المحدثين طربا بهذا البحر ومن بين أشعاره وأسهلها هنا ، قوله :

منك يا هجر دائى ويكفيك دوائى
يا منى روحى ودينا ى وسؤلى ورجائى .. إلخ

الرجز[٤٧] : ويختم الدكتور أنيس حديثه عن تلك الأوزان الشعرية (القصيرة) بعرض مفصل نسبيًا لبحر الرجز حيث يقول : « هذا هو البحر الذى آثرنا أن نعالجه علاجا مستقلا وأن نفرد له فصلا خاصا ، وذلك لكثرة حديث أهل الأدب عنه ، ونظرتهم إليه على أنه أصل الأوزان ، أو أقدمها ... »[٤٨] .

ويذكر مؤرخو الأدب فى مواضع كثيرة أن الكلام قد يجىء على وزن الرجز دون عمد أو قصد ، بل يكون وزنه عفوا غير محسوب ، وقد جرى هذا النوع من القول على لسان النبى (ﷺ) حين قال :

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

ولما أصيبت إصبعه بجرح أثناء المعركة ، قال عليه الصلاة والسلام :

هل أنت إلا إصبع ذميت وفى سبيل الله ما لقيت

---

(٤٧) المصدر السابق ، ص ٢٦ - ١٣٩ .

(٤٨) نفس المصطلحة .

ومع أن البعض يرى أن (الرجز) كان ديوان العرب فى الجاهلية والإسلام ، وأن الأدباء يصفونه بأنه « مطية الشعر أو حمار الشعراء » ... إلا أن د . أنيس « يقرر أنه كان يمثل نسبة ضئيلة من الشعر إذا قيس ببحر كالطويل أو الكامل ، أما فى العصر الجاهلى فلا نكاد نعثر على شىء من أراجيز »[٤٩] !!

يضيف .. ونحن حين نتتبع أشعار الشعراء فى كل العصور نظفر بنسبة ضئيلة لا تتناسب وشهرة الرجز فى الأدب العربى ، « فالرجز – كما يقول د . أنيس – فن مستقل من فنون القول ، وهو القلب الذى أثره القدماء للآداب الشعبية .. ولم ينظمه القدماء فى تلك اللغة النموذجية الأدبية التى نزل بها القرآن الكريم ...

ويرفض د . أنيس قول بعض مؤرخى الأدب : إن الرجز أقدم الأوزان فليس هناك ما يؤيد هذا القول ، بل يدلل على ذلك بأنه « إذا قارنا مقاطع هذا الوزن بمقاطع من بحر « الكامل » لرجحنا أن بحرا كالكامل قد سبق الرجز فى الوجود ، وليس ببعيد أن بحر الرجز تطور للبحر الكامل ..[٥٠] على أن د . أنيس يقسم قصائد بحر الرجز هذا إلى الأقسام التالية :

١- الرجز التام : وهو الذى يتكون من : مستفعلن + مستفعلن + مستفعلن .

٢ – مجزوء الرجز : ويتكون شطره من نفس التفعيلة مكررة مرتين : مستفعلن + مستفعلن .

ومثال لهذا ما جاء فى شعر شوقى فى رواية مصرع كليوباترا على لسان أنطونيو[٥١] وكذلك ما جاء فى نفس الرواية على لسان كليوباترا وهى تخاطب أنطونيو[٥٢] .

وقد ختم الدكتور إبراهيم أنيس هذا الفصل الطويل من كتابه بما سماه (مولد مشروع) حيث طالب فيه بإعادة النظر فى بناء الأوزان الشعرية على ضوء ما روى

---

(٤٩) المصدر السابق ، ص ١٢٨ .
(٥٠) المصدر السابق ، ص ١٣١ .
(٥١) المصدر السابق ، ص ١٣٣
(٥٢) نفس المصدر ، ص ١٣٤ وانظر للمزيد والتفصيل ، الصفحات (١٣٥ – ١٣٩).

فعلا من قصائد منسوبة إلى شعراء معروفين ، وأن نتخير من بين ما ذكره أهل العروض أحسن الأوزان وأكثرها شيوعا تاركين تلك الأوزان الشاذة التى تنبو فى الأسماع ولا نكاد نتذوق موسيقاه .

ويلخص من ذلك إلى القول : وقد أمكن من استنباط تفاعيل جديدة قليلة العدد ، أن نضع قواعد مبسطة ميسرة لعشرة من هذه الأبحر ، تاركين بحورا ثلاثة : الكامل ، الوافر ، الهزج ، والذى يجمع بين هذه البحور الثلاثة - فى نظره - تلك الظاهرة القليلة الشيوع فى البحور الأخرى ، وهى أنها تشتمل فى توالى مقاطعها على مقطعين قصيرين متواليين ، الأمر الذى يندر أن نراه فى الأوزان الأخرى (ص ١٤٠ - موسيقى الشعر ، المصدر السابق) .

ويحاول د . أنيس من هذا المشروع التأكيد على أنه من الممكن استنباط نظام جديد لأوزان الشعر ، ويكتفى فى هذا المشروع من تفاعيل العروضيين (التى أوصلوها إلى عشرة) بثلاث تفاعيل فقط ، تبنى عليها الأوزان على النحو التالى[٥٣] :

١ - فعولن ٢ - فاعلن ٣ - مستعفلن .

ثم بإضافة مقطع ساكن إلى كل من هذه التفاعيل الثلاث ، يمكن أن نشتق منها ثلاثا أخرى هى :

١ - فعولان ٢ - فاعلاتن ٣ - مستفعلاتن .

وبذلك يتكون لنا ست تفاعيل واضحة الصلة بعضها ببعض ، سهلة التذكر والحفظ ، ثم نبنى الأبحر العشرة من التفاعيل الست على النحو الآتى :

١- الطويل : فعولن + فعولاتن + فعولن + فعولاتن .

٢ - المتقارب : فعلون + فعولن + فعولن + فعولن « التام »

فعولن + فعولن + فعولن « المجزوء » .

---

(٥٣) المصدر السابق ، ص ١٤١ وما بعدها .

٣ – البسيط : مستفعلن + فاعلن + مستفعلن + فاعلن .

٤– الرجز : مستفعلن + مستفعلن + مستفعلن « التام »

مستفعلن + مستفعلن + مستفعلن « المجزوء »

٥ – السريع : مستفعلن - مستفعلن + فاعلن .

٦ – المنسرح : مستفعلاتن + مستفعلن + فاعلن .

٧ – الخفيف : فاعلاتن + مستفعلن + فاعلاتن « التام »

فاعلاتن - مستفعلن « المجزوء ».

٨ – المجتث :مستفعلن + فاعلاتن

٩ – الرمل : فاعلاتن + فاعلاتن + فاعلن « التام »

فاعلاتن + فاعلاتن « المجزوء »

١٠ – المديد :

(أ) فاعلاتن + فاعلن + فاعلاتن .

(ب) فاعلاتن + فاعلن + فاعلن .

* * *

أما التغيرات التى يمكن أن تطرأ على كل تفعيلة فى هذه الأبحر ، والتى استساغها الشعراء وقبلوها فتختلف باختلاف مكان التفعيلة من الوزن ، فلكل من هذه التفاعيل حكم خاص حين تقع فى حشو البيت ، أو فى آخر الشطر الأول ، أو فى آخر الشطر الثانى ؛ فمثلا (٥٤) .

فعولن : نرى لها ثلاث حالات :

---

(٥٤) نفس المصدر ، ص ١٤٢ .

١– حين تكون فى حشو البيت يمكن أن تتغير إلى «فعول » ، ومثل هذا التغير كثير شائع وهو حسن الموسيقى .

٢ – حين تقع فى آخر الشطر الأول يمكن أن تصير « فعو » فقط ، ونرى هذا كثير الورود فى البحر المتقارب .

٣ – حين تقع فى آخر الشطر الثانى أو بعبارة أخرى فى آخر البيت يمكن أن تصير « فعول » أو « فعو » .

فعولاتن : نرى لها حالتين :

١ – حين تقع فى آخر الشطر الأول يمكن أن تصبح « فعولتن » .

٢ – حين تكون فى آخر البيت يمكن أن تصبح « فعولتن » أو « فعولن » .

فاعلن : لها حالتان .

١ – فى حشو البيت وفى آخر الشطر الأول يمكن أن تصبح « فعلن » ، وهذا التغيير كثير شائع فى الشعر العربى .

٢ – أما حين تقع فى آخر البيت فنريلها تغيرات عدة هى : فعلن فالن ، فاعلات وفعلات ، فاعلاتن وفعلاتن .

فاعلاتن : لها حالتان :

١ –فى حشو البيت وفى آخر الشطر الأول قد تصبح « فعلاتن » وهو كثير شائع له موسيقى حسنة جيدة .

٢ – أما فى آخر البيت فقد تصبح « فعلاتن » ، و« فالاتن » .

مستفعلن : لها ثلاث حالات :

١ – فى حشو البيت يكثر أن تصير « متفعلن » :

٢ – فى آخر الشطر الأول قد تصير « متفعلن » و « مستعلن » .

٣ – أما فى آخر البيت فلها عدة تغيرات هى : متفعلن – ومستعلن – ومستفعلن .

مستفعلاتن : هذه التفعيلة لا تقع إلا فى حشو البيت من بحر واحد وهو المنسرح وقد تصير « متفعلاتن » و « مستعلاتن » .

* * *

تلك هى التغيرات التى قد تطرأ على التفاعيل فى الأوزان العربية ، ومعظمها حسن الموسيقى تستسيغها الآذان ويطرقها الشعراء قديمهم وحديثهم ، غير أن بعض هذه التغيرات يلتزم فى كل أبيات القصيدة والبعض الآخر لايلتزم ، والقاعدة التى نعرف بها التغيرات الملتزمة وغير الملتزمة وهى[55] :

١ - كل التغيرات التى تقع فى حشو الأبيات ، لا تلتزم أى أنها قد تقع فى أبيات القصيدة الواحدة مع ما تفرعت عنه فمثلا « فعول » يمكن أن تجىء مع «فعولن » فى أبيات القصيدة الواحدة ، وكذلك « فعلن » مع « فاعلن » وكذلك « فعلاتن » مع « فاعلاتن » وهكذا .

٢ - كل التغيرات التى تقع فى أواخر الشطر الأول لا تلتزم ويستثنى من هذا « فعولاتن » فتلتزم حين تقع آخر الشطر الأول وتراعى فى كل أبيات القصيدة فى هذا الموضع ولا تقع هذه التفعيلة إلا فى البحر الطويل ، ولذلك ترى الأشطر الأولى من أبيات القصيدة المنظومة من البحر الطويل ، تنتهى دائما بوزن « فعولتن » .

٣ - كل التغيرات التى تقع فى أواخر الأبيات يجب التزامها ومراعاتها فى كل أبيات القصيدة ، إلا حين يكون التغير فى صورة ما يسمى عند أهل العروض « بالخبن » وهو حذف الثانى الساكن مثل « فاعلن » حيث تصير إلى « فعلن » أو « فاعلاتن » حين تصير إلى « فعلاتن » ، أو « مستفعلن » حين تصير إلى « متفعلن » فهذا النوع من الغير لا يلتزم وإن وقع فى أواخر الأبيات .

ولكن الشعراء قد تعودوا فى نظمهم أمرين يستحقان الذكر[56] :

(أ) يلتزمون فعلن ، التى تتفرع عن « فاعلن » فى أواخر أبيات بحرى البسيط والمنسرح ، رغم أن التغيير لا يعدو أن يكون حذف الثانى الساكن .

(ب) لا يلتزمون « فالاتن » التى تتفرع عن « فاعلاتن » فى أواخر أبيات القصيدة من البحر الخفيف ، بل يجوزون الجمع بين « فاعلاتن وفعلاتن وفالاتن » فى أواخر الأبيات من البحر الخفيف .

---

(٥٥) نفس المصدر ، ص ١٤٤

(٥٦) المصدر السابق ، ص ١٤٥

ذلك هو كل ما نحتاج إلى معرفته فى أوزان تلك الأبحر العشرة ، فإذا نحن انثنينا إلى الأبحر الثلاثة وهى : « الكامل والوافر والهزج » وجدنا أنها تنتهى آخر الأمر إلى نفس التفعيلات التى استنبطناها هنا ، انظر مثلا إلى تفعيلة البحر الكامل كما ذكرها أهل العروض تجدها « متفاعلن » وتجد أنها تصير فى غالب الأحيان « مستفعلن » كذلك حين يفكر فى تفعيلة بحر الوافر « مفاعلتن » نجد أنها تصير فى غالب الأحيان « مفاعلتن » وهذه هى نفس التفعيلة « فعولاتن » .

أما الهزج فهو شبيه بمجزوء الوافر ويمكن أن نذكر له الوزن الآتى : فعولاتن + فعولاتن .

* * *

تعلـــيق :

يهدف الدكتور إبراهيم أنيس من مشروعه هذا إلى أنه « إذا نحن اقتصرنا على ما طرقه الشعراء من أوزان وما جاء في شعرهم من حالات تلك الأوزان ، أمكن أن نيسر الأمر على المتعلم ، وأن نجعل هذا العلم (يقصد علم عروض الشعر) محبوبا شيقا سهل التناول .

ومن ثم نراه يقول جازما ما نصه : « وإني لعلى ثقة من أننا سنتمكن – في المستقبل – من وضع نظام أيسر وأسهل من ذلك النظام الذي وضعه الخليل لبحوره ..(٥٧) .

وفي ختام عرضنا لهذا (الفصل) من كتاب د . أنيس نرى أن الحق معه حينما يقرر أنه « ليس من المبالغة في شيء حين نؤكد أنه من الممكن بعد دراسة وبحث أن نستنبط نظاما جديدا لأوزان الشعر يكون أيسر وأسهل مما ألفناه في كتب العروض(٥٨) .

فثمة دراستان حديثتان في هذا المجال حققت ما يذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس في هذا الصدد وهما :

١ – مدخل رياضي إلى عروض الشعر العربي للدكتور أحمد مستجير(٥٩) .

٢ – والدراسة الثانية صدرت ضمن سلسلة تسمى سلسلة كتب غير مسبوقة ، بعنوان (الميزان : علم العروض كما لم يعرض من قبل) تأليف الشاعر السكندري محجوب موسى(٦٠) .

وقد جاء في مقدمة هذا الكتاب ما يشير إلى تحقيقه رؤية أو نبوءة د. إبراهيم أنيس – رحمه الله – في هذا الصدد ، حيث يقرر مؤلفه .. ولم أدخر جهدا في هدم ما ينبغي هدمه وإنشاء ما يجب إنشاؤه ، فرحت ألغى الكثير من هذه العوائق – يقصد عوائق العروض(٦١) – .

(٥٥) نفس المصدر ، ص ١٤٤ .
(٥٦) المصدر السابق ، ص ١٤٥ .
(٥٧) المصدر السابق ، ص ١٤٠ .
(٥٨) نفس المصدر ، ص ١٤٥ .
(٥٩) الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٧ ، نشر المؤلف نفسه .
(٦٠) مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ .
(٦١) نفس المرجع ، ص ١٢ .

ثم يقول فى إيضاح موقفه هذا : « وما كان إلغائى استعراضا ولا حبا للظهور ، ولا إظهار للعضلات ، وإنما كان - كما سترون - على علم وله مسوغاته وحججه الدامغة .. » [٦٢] .

ولعل فى هذا ما يؤكد نجاح د . أنيس فى دعوته فى هذا الفصل الثالث من كتابه إلى التجديد فى أوزان الشعر العربى على النحو الذى عرضنا له بشىء من التفصيل فى هذا البحث وإن كان هذا لا يحول بيننا وبين اختلافنا مع الدكتور أنيس حول ما جاء فى مواضع أخرى من كتابه هذا ، سيأتى الحديث عنها تفصيلا فيما بعد ، ومن ذلك على سبيل المثال ما أسماه د . أنيس بـ « الأوزان القومية »[٦٣] فى حديثه فى الفصل الخاص بتطور الأوزان الشعرية ، وكذلك حديثه عن « الشعر الحر » ورأيه فيه .

* * * *

---

(٦٢) المرجع السابق ، المقدمة ، ص ١٣ .

(٦٣) الفصل السادس ، ص ١٨٨ ، المصدر السابق .

الفصل الخامس

الدكتور إبراهيم أنيس ... فى مستقبل اللغة العربية المشتركة .

- تمهيد .
- معنى اللغة العربية المشتركة وصفاتها .
- اللهجات العربية القديمة .
- أثر الصراع اللغوى فى الأمصار .
- حال اللغة فى القرن الرابع الهجرى .
- دور الإذاعة فى تعليم اللغة .
- رأى آخر فى « عربية » المستقبل المشتركة .

الفصل الخامس

مع الدكتور إبراهيم أنيس فى (مستقبل اللغة العربية المشتركة)!!

تمهيد :

بدأ اهتمام الدكتور إبراهيم أنيس – رحمه الله – بقضية (مستقبل اللغة العربية المشتركة) منذ عام ١٩٥٩ وهو ما تمثل جليا فى تلك المجموعة من المحاضرات العلمية التى ألقاها على طلبة (قسم الدراسات الأدبية واللغوية) بمعهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، ومن ثم يجيء كتابة – أو بالأحرى محاضراته تلك– بمثابة ارهاص أو مقدمة لميلاد موضوعه الكبير فيما بعد ، والذى ختم به مؤلفاته ، بل ختمت به حياته العلمية أيضاً ، لاسيما فى مجال التأليف ، أولا وهو كتابه الهام ، (اللغة بين القومية والعالمية) الذى صدرت عنه طبعة وحيدة عام ١٩٧١ عن دار المعارف بمصر .

أما تلك (المحاضرات) التى نحن بصدد تناولها الآن فى هذا الفصل من كتابنا فتجدر الإشارة إلى أهم الموضوعات أو القضايا اللغوية التى تضمنتها فى هذا الكتاب الذى بين أيدينا وهى على النحو التالى :

- معنى اللغة المشتركة وصفاتها[١] .
- اللغة العربية قبل الإسلام[٢] .
- اللهجات العربية القديمة[٣] .
- أثر الصراع اللغوى فى الأمصار[٤] .
- حال اللغة فى القرن الرابع الهجرى[٥] .

(١) مستقبل اللغة العربية المشتركة ، للدكتور إبراهيم أنيس ص ٣ – ٦ ، ٩
(٢) نفس المصدر ، ص ٦ – ٩ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٠ – ٢٤ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٢٤ – ٣١ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٣٢ – ٤٨ .

● دور الإذاعة فى تعليم اللغة[٦] .

● رأى آخر فى « عربية » المستقبل المشتركة [٧] .

وبدورنا سنقف عند أهم ما يثيره الدكتور أنيس من أفكار وآراء حول كل نقطة من تلك النقاط ، على النحو التالى :

معنى وصفات اللغة المشتركة :

تحت هذا العنوان يذكر الدكتور إبراهيم أنيس أن الملاحظة دلت على أنه حين تقوى الصلة بين أفراد الجماعة اللغوية ، وتسهل بينهم وسائل الاتصال والارتباط مادية كانت أو ثقافية ، تتكون لهم مع الزمن « لغة مشتركة » تقرب بينهم ، وتعينهم على تفاهم أسرع وأيسر وتقضى لهم مصالحهم الدنيوية ، ثم قد تصبح بعد ذلك وسيلة للمتعة حين تتخذ للتعبير عن أحاسيسهم وعواطفهم فى كل نتاج أدبى جميل .

وقد يتسع نطاق اللغة المشتركة فيشمل عدة دول ، كاللغة الإنجليزية التى نراها فى إنجلترا وأمريكا وكندا واستراليا ونيوزلندا وغير ذلك من بقاع الأرض[٨]ويرى د . أنيس أن الغالب فى اللغات المشتركة هو أن يقتصر استعمالها على دولة بعينها أو أمة خاصة محدودة المناطق التى يجاور بعضها بعضا .

وفيما يتعلق بصفات تلك اللغة المشتركة ، يوضح د . أنيس أن اللغويين يجمعون على أن أهم معالم كل لغة مشتركة يمكن أن تلخص فى الصفتين التاليتين :

١- أولاهما[٩] : أنها مستوى لغوى أرقى من لهجات الخطاب فى غالب الأحوال ، أى أنها ثابتة الأركان والدعائم ، قد استقر أمرها على قواعد ونظم لاتسمح لها بالتغير أو التطور إلا فى القليل من الأحيان ، وبعد أجيال من الاستعمال ، ولذلك يتخذها الناس مقياسا لحسن القول وإجادة الكلام .

---

(٦) نفس المصدر ، ص ٥٠ - ٦٣ .
(٧) المصدر السابق ، ص ٦٤ - ٧١ .
(٨) المصدر السابق ، ص ٢ .
(٩) المصدر السابق ، ص ٦ .

٢- الصفة الثانية للغة المشتركة هى التى عبر عنها هنرى سويت بقوله : « هى اللغة التى لا يستطيع السامع أن يحكم على المنطقة المحلية التى ينتمى إليها المتكلم بها »[١٠] .

• اللغة العربية قبل الإسلام :

تحت هذا العنوان يذكر الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - أن اللغة العربية - كما نعلم - إحدى اللغات السامية التى منها : العبرية ، السريانية ، والحبشية والأكادية ، وأن المستشرقين تكشفت لهم حقيقة يكادون يجمعون عليها وهى « أن اللغة العربية قد احتفظت لنا بعناصر قديمة كانت فى السامية الأولى أكثر مما احتفظت به شقيقاتها ، كالإعراب وجموع التكسير ، وكثير من صيغ الأسماء وغير ذلك[١١] .

ويرى د . أنيس أن للعامل الدينى دورا فى وجود « نواة لغة مشتركة[١٢] ، تقرب بين القبائل وتؤلف بينهم ، حيث كانت « مكة » وما حولها من المواقع المهد الأول للغة العربية المشتركة .

فالعرب - قبل الإسلام - « كانوا يحجون إلى مكة فى موسم سنوى ويطوفون بالكعبة ويؤدون معظم الشعائر الدينية التى نألفها الآن فى فريضة الحج ، كما جاء بها الإسلام [١٣] .

ولذلك يذهب د . أنيس إلى القول بأن « القرآن الكريم لا يمثل لغة قريش وحدها ، كما يتردد أحيانا فى بعض الكتب والروايات ، وإنما يمثل اللغة المشتركة بين العرب جميعا »[١٤] طبقا لحديث نزل القرآن على سبعة أحرف والأحرف هنا تعنى اللهجات أو (القراءات) القرآنية .

أما صفات هذه اللغة العربية المشتركة ، فهى صفات كل لغة مشتركة تحتل مستوى أرقى من لهجات الخطاب ، كما أنهم لم تكن - أى العربية - ذات طابع

---

(١٠) نفس المصدر .

(١١) المصدر السابق ، ص ٦.

(١٢) المصدر السابق ، ص ٨

(١٣) نفس المصدر ، ص ٧ .

(١٤) المصدر نفسه ، ص ٩ .

محلى ، فهى مزيج منسجم من القواعد والأصول أخذت مع الزمن هذا الشكل العام . ومن ثم عاشت تلك اللغة المشتركة قبل الإسلام مع لهجات القبائل جنبا إلى جنب ، الأولى تصطنع فى المجال الجدى من شعر وخطابة وكتابة ... إلخ ، والأخرى تتخذ أداة للتفاهم بين أفراد القبيلة فى دعاباتهم وفكاهاتهم وبعض أغانيهم ، وفى الحديث العابر بين المرء وأهله وعشيرته وذويه .

ومما يلفت النظر هنا ، حديث د . إبراهيم أنيس – رحمه الله – عن « الإعراب فى اللغة العربية المشتركة » وأنه لم يكن مظهرا من مظاهر السليقة للعرب جميعا ، بحيث يؤديه الفرد منهم غير شاعر بخصائصه ولا منتبه لقواعده ، « ولكنه كان مظهر سليقة للقلة المختارة من خاصة العرب ، أولئك الذين أجادوا هذه اللغة وأتيحت لهم فرصة إتقانها ... إلى أن يقطع مقررا أنه « لا وراثة فى السليقة اللغوية ، وإنما الأمر كله رهن بالاكتساب والتقليد والمران ، وعلى حسب ما تشكله البيئة[١٥] .

أما قول د . أنيس فى نفس الموضع « ولعل أقوى دليل على أن الإعراب فى اللغة العربية المشتركة لم يكن مظهر سليقة لعامة العرب تلك الروايات الكثيرة التى تحدثنا عن وقوع اللحن من العرب قبيل الإسلام وبعده وفى تلك العصور التى تسمى بعصور الاحتجاج[١٦] .

فقد أفردنا مساحة كبيرة من صفحات هذا البحث للرد على هذا الكلام الذى يتعلق بإنكار « الإعراب » من قبل د . أنيس !! .

والغريب أنه رغم أن الدكتور إبراهيم أنيس تناول هذه القضية (الإعراب) فى كتابه (من أسرار اللغة) فلا نعرف لماذا هذا الإصرار من جانبه على إعادته الكلام فيها هنا مرة أخرى ؟

وأغلب الظن أن د . أنيس – ربما – لم يجد من العلماء من يؤيده أو يناصره رأيه هذا ، فأصر على تكرار رأيه ، بل لا أكون مغاليا إذا تصورت أنه إنما يحاول فرض هذا الرأى على الناس ، لاسيما طلبته الذين كان يدرس لهم هذه المادة !

---

(١٥) المصدر السابق ، ص ١٣ .
(١٦) نفس المصدر ، ص ١٤

وإمعانا منه فى التأثير على طلبته وقرائه أيضا وربما بعض زملائه وأصدقائه أنه سعى إلى إثبات « أن بعضا من خاصة العرب وفصحائهم كانوا يقعون فى اللحن ولايكادون يشعرون بهذا » ، ويبنى على ذلك أنه « مما نرجحه هنا أن الإعراب لم يكن مظهر سليقة لهم ... »(١٧) .

والحق أن ما أورده د . أنيس هذا لتعضيد وجهه نظره تلك لا ينهض دليلا على حجته ، بقدر ما هو دليل على عكس ما يقول به ، فكون خاصة العرب كانوا يقعون فى « اللحن » ولا يكادون يشعرون بهذا ، يعنى أن وقوعهم فى اللحن كان من باب « السهو » وليس من باب « العمد » إليه ، وهذا يعنى الاستثناء ، فالأصل إذن أن خاصة العرب كانوا لا يلحنون أو يخطئون فى الإعراب ، أو على الأقل كانوا يحرصون على ألا يلحنوا ، لأنهم « الخاصة » ، فلا يمكن أن يقبلوا – وهم خاصة العرب – أن يتساووا بعامتهم ، هذا من ناحية ، كما أنه لا يصح أن يكون « تصيد » بعض الأخطاء أو الهفوات من جانبهم مقياسا لهدم أحد الثوابت اللغوية وأسسها ألا هو « الإعراب »(*) !!

كذلك مما يمكن أن يعتبر ردا على وجهة نظر الدكتور إبراهيم أنيس فى هذه النقطة ، ما ذكره – هو فى نفس الموضع من كتابه – من أن « المستشرقين يكادون يجمعون على أن اللغة العربية قد احتفظت بعناصر قديمة كانت فى السامية الأولى ، أكثر مما احتفظت به شقيقاتها ، كالإعراب وجموع التكسير وكثير من صيغ الأسماء(١٨) .

فإجماع المستشرقين على احتفاظ العربية بخاصية « الإعراب » تلك من الأدلة المؤكدة على أنه جزأ من السليقة اللغوية ، ومظهر من مظاهر لا شك ، فإذا كان هؤلاء المستشرقين الذين هم أبعد صلة بلغتنا العربية يقررون ذلك « ويكادون يجمعون عليه » ، فما بالنا بذلك نحن أصحاب تلك اللغة نفسها ؟!

بعبارة أخرى إذا كان هذا موقف المستشرقين من ظاهرة « الإعراب » فى لغتنا العربية ، فنحن أولى بهذا الموقف منهم على الأقل ، ولا أريد أن أطيل كثيرا فى هذه القضية ، حيث فصلنا لها فى فصل آخر من هذا البحث .

---

(١٧) المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(*) راجع : فصل مع د . أنيس فى قضايا لغوية ،من هذ الكتاب (قضية الإعراب) .

(١٨) مستقبل اللغة ، د . أنيس ، المصدر السابق ، ص ٦ .

• اللهجات العربية القديمة :

.. ويشير الدكتور إبراهيم أنيس إلى أنه روت كتب اللغة وصفا سريعا لما أسمته باللهجات العربية ، « ونسبت فى كثير من الحالات كل صفة من صفات تلك اللهجات لقبيلة معينة أو مجموعة من القبائل ، وفى بعض الأحيان نسبت الصفة لمنطقة جغرافية من مناطق شبه الجزيرة»[١٩] .. « غير أن تلك الفروق التى كانت بين اللهجات العربية قبل الإسلام قد أخذت تتلاشى فى مطلع الإسلام بفضل التعان والوثيق بين القبائل فى الفتوحات الإسلامية .. »[٢٠] .

• أثر الصراع اللغوى فى الأمصار :

ويذهب د . أنيس فى هذا الصدد إلى أنه بعد الفتوحات الإسلامية استقرت جنود المسلمين بالأمصار ، وكثيرا اختلاط العرب بالأعاجم من أبناء تلك المناطق ، فكان من الطبيعى أن يحدث ما يشبه « الصراع بين اللغة العربية وبين اللغات المغزوة »[٢١] ويدلك على ذلك بأن العربية سادت فى معظم أنحاء تلك المناطق ، حتى أن اللغات المغزوة تلك بدت تنزوى فى الجهات النائية من البلاد المفتوحة .

ومع ذلك لم تخرج العربية – فيما يبدو – من ذلك الصراع خالصة من الشوائب ، بل أحبابها بعض الفروق التى نشهدها الآن بين نطق العرب فى هذه المناطق»[٢٢] .. ومن ذلك أنه لما رحلت العربية إلى بلاد الفرس ، وقام الصراع بينها وبين اللغة الفارسية ، خرجت العربية من هذا الصراع وقد أصابها بعض التغيير الواضح الذى تتميز به العربية فيما وراء النهرين .

ومن ثم يرى د . أنيس أن هذا التأثر للغة العربية من جانب تلك اللغات الأخرى هو مما أدى إلى وجود « حركة تنقية أو تطهير – فى عهد بني أمية – للغة كان أجدادهم من الأعاجم [٢٣] الذين تشبعوا بالروح العربية وتحمسوا للغتها هناك .

---

(١٩) المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٢٠) نفس المصدر ، ص ٢٢ .

(٢١) المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(٢٢) نفس المصدر .

(٢٣) المصدر السابق ، ص ٢٦ .

• **حال اللغة فى القرن الرابع الهجرى :**

أما حال اللغة العربية فى القرن الرابع الهجرى ، فيلخصه كتابان لعالمين متقاربين هناك هما :

١ – صفة جزيرة العرب (للهمدانى) ت ٣٣٤ هـ

٢ – أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (للمقدس) المتوفى سنة ٣٧٥ هـ .

ويعرض المؤلف فى كل من الكتابين – بين ما يعرض من أمور أخرى – وصفا جيدا لحال اللغة العربية فى شبه الجزيرة العربية وغيرها من الأقاليم الإسلامية الأخرى كالعراق والشام ومصر وبلاد المغرب والأندلس ، ونتبين – كما يقول د . أنيس – « من وصف الهمدانى أن اللغة العربية ، حتى فى شبه الجزيرة ، فقدت كثيرا من روعتها وقوتها وبدأ الضعف يتسرب إليها .. »[٢٤] .

أما كتاب (المقدس) فقد كتبه سنة ٣٤٥ هـ ، وفيه حاول أن يبين لنا ما يتميز به كل إقليم من الأقاليم العربية فى لغته ، « ففى رأيه أن لغة التخاطب فى العراق كانت فى عهده تخالف لغة الشام ، وهذه تختلف عن لغة مصر »[٢٥] ، وللأندلس خصائص أخرى ، « ويؤكد لنا المقدس أن أسمى درجات العربية فى عهده كان فى فارس ، لأن الناس هناك – كما يقول – قد بذلوا جهدا كبيرا فى تعلمها وإتقانها ودراستها»[٢٦] .

ويخلص د . أنيس من مناقشته لحال «اللغة فى القرن الرابع الهجرى » إلى القول : » لا غرابة إذن أن يحدثنا دارسو الأدب العربى عن ضعف اللغة العربية وضعف إنتاجها الأدبى فى القرون التى جاءت بعد ذلك »[٢٧] فقد ظل الإنتاج الأدبى التقليدى يتدهور ويضمحل شأنه جيلا بعد جيل حتى أواخر القرن التاسع عشر من الميلاد ، وقد سميت كل تلك القرون « **بعصور ضعف الأدب** » .

---

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٣٢ .

(٢٥) نفس المصدر ، ص ٣٣ .

(٢٦) المصدر نفسه .

(٢٧) المصدر السابق ، وانظر للمزيد والتفصيل فى هذا الموضوع كتابى المصادر الأدبية واللغوية فى التراث العربى ، للدكتور عز الدين اسماعيل ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، ط/١٩٧٩

على أن ما يستدعى الانتباه هنا هو إشارة د . أنيس – رحمه الله – إلى تسلل اللغة العامية الدارجة متمثلة فى « الأدب الشعبى » ومساهمتها فى إضعاف اللغة العربية والتأثير عليها ، ومن ضعف الأدب ، من خلال الأدب الشعبى المحلى الذى اصطنعت له تلك اللغة الدارجة ، واتخذت له قوالب من النظم لم تكن مألوفة من قبل ، تمثلها الموشحات خير تمثيل ، « ولاسيما فى القرن السادس الهجرى الذى شهد موشحات وزجليات ابن قزمان المنظومة بالعامية ، بل لقد أصبح من أهم خصائص الموشح التحلل من الإعراب وإدخال العبارات العامية والكلمات الأعجمية الدخيلة..[٢٨] .

وهكذا قدر للأمم العربية فى القرون العشرة الأخيرة ألا تتطور لغتها إلى صورة مستقرة ، حتى كانت النهضة التعليمية الحديثة ، أواخر القرن التاسع عشر ، حيث دعا بعض المفكرين من المصلحين إلى إحياء اللغة العربية والنهوض بها ، والعودة بها إلى سالف مجدها ، فهى لغة الدين الذى نزل بها القرآن ، ومن أقوى الروابط التى توحد بين هذه الأمم العربية ، وتجعل منها مجتمعا عربيا متماسكا .

● الإذاعة واللغة :

يرى الدكتور إبراهيم أنيس – رحمه الله – أن للإذاعة دورا مهما فى تعليم اللغة العربية إلى جانب المدارس ، فالتعليم الحديث يمكن أن يتم عن طريق الآذان بالسماع إلى الأحاديث ، « فإذا جعلت كل النشرات والأحاديث والتمثيليات باللغة العربية الصحيحة ، وصبر الناس على الاستماع إليها ، وتهودوا هذا ، فأغلب الظن أنه لن تمر مرحلة طويلة قبل أن نشهد نهوض هذه اللغة بين جمهور الناس[٢٩] ولكن فى سبيل تحقيق هذا الهدف / الأمل ، يرى د . أنيس أننا بحاجة إلى وضع « **أسس للغة نموذجية** » بحيث ترضى عنها كل المجتمعات العربية ، سواء فى أصواتها أو ألفاظها وأساليبها ، ثم التأليف الكثير بهذه اللغة « النموذجية » مع جعل تلك المؤلفات فى متناول جمهور الناس ، وهو ما يعرف الآن بالطبعات الشعبية التى تتسم أسعارها بأنها رخيصة فى متناول عامة الجمهور .

ومع ذلك لا يخفى الدكتور أنيس توقعه لبعض العقبات الكئود التى قد تحول دون تحقيق ذلك ، ولعل من أهمها وأكبرها – فى رأيه – هى « تلك اللهجات المحلية التى

---

(٢٨) كتاب : ضحى الإسلام للدكتور أحمد أمين ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٧ ، مكتبة الأسرة (ص ٣٥ – ٦٧) الفصل الثانى ، والفصول : الرابع والخامس والسادس من نفس الكتاب .

(٢٩) المصدر السابق ، ص ٥٠ .

تسيطر الآن على الألسنة فى كل بيئة ، والتى استقرت بها زمنا طويلا فأصبحت الآن بمثابة عنصر من النفس والعقل والعاطفة لدى كل منا »[٣٠] .

على أن د . أنيس يتحفظ فى هذا المقام فيما يتعلق بتلك الصعوبات والجهود التى تحتاج إليها ، من أجل التمسك بلغتنا العربية ، فيذكر أن نجاح المشروع رهن بتيسيره كلما أمكن ، وذلك بترك العناصر والأساليب التى تكلفنا كثيرا من العنت والمشقة ، ويضيف د . أنيس أنه : « لكى تتحقق تلك الوحدة اللغوية يجب على كل الأمم العربية أن يؤمنوا إيمانا قويا بفائدة ونفع ذلك الاتجاه بالنسبة لمستقبلهم السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، وأن تجتمع كلمتهم على العمل لنجاح ذلك »[٣١] .

ولكن د . أنيس يربط أو يقيد نجاح هذا الهدف وتحقيقه بضرورة تدخل هيئة منظمة كالجامعة العربية ، تحديدا ، وإلا كان علينا أن ننتظر أجيالا وأجيالا لنرى ماذا يحدث فى المستقبل .

تلك هى أهم الصفات التى يتصور د . أنيس للغة العربية فى المستقبل ، بحيث تصبح لغة الحديث والخطاب ولغة الناس فى منازلهم ..» وأن ينتظم هذا جميع الأمم العربية ، ومن ثم تصبح كاللغات المشتركة الحقة فى الأمم الأخرى »[٣٢] .

● لغة المستقبل وسماتها

ويختم الدكتور إبراهيم أنيس حديثه عن (مستقبل اللغة العربية المشتركة) ، تلك المحاضرات التى ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية فى عام ١٩٥٩ ، بوضع تصوره الخاص عن « سمات » تلك اللغة العربية فى المستقبل والذى يتلخص فيما يلى :

١- موسيقية اللغة .. [٣٣]

٢- تحديد دلالة الألفاظ ودقتها [٣٤] .

٣ – الصلة الثقافية بين لغتنا وبين الأمم الأوربية الحديثة [٣٥] .

٤ – استعمالات اللغة الأجنبية المترجمة فى اللغة العربية [٣٦] .

---

(٣٠) نفس المصدر ، ٥١ .
(٣١) المصدر السباق ، ص ٥٦ .
(٣٢) المصدر السابق ، ص ٦٣ .
(٣٣) المصدر السابق ، ص ٥٧ – ٦٠ .
(٣٤) نفس المصدر ، ص ٦٠ – ٦١ .
(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٦١ – ٦٣ .
(٣٦) المصدر السابق ، ٦٣ – ٦٨ .

الفصل السادس

الدكتور إبراهيم أنيس بين اللغة القومية والعالمية

- تمهيد .
- أولا : محتويات الكتاب (عرض عام) .
- ثانيا : وقفة مع أهم قضايا الكتاب .

  (أ) اللغة القومية .

  (ب) دور اللغة فى تحقيق القومية .
- ثالثا : اللغة المشتركة .. والعالمية !

الفصل السادس

مع الدكتور إبراهيم أنيس فى قضايا لغوية

اللغة بين القومية والعالمية

« ... ومتى سلمنا بأن النظام القبلى فى تاريخ البشرية لم يكن إلا امتدادا لنظام الأسرة ، وأن نشأة الدول لم تقم إلا على أساس ذلك النظام القبلى ، فليس من الشطط فى التفكير أو الإسراف فى التفاؤل أن نتصور أن الدائرة تتسع مع الزمن ، وأن نظاما عالميا يقوم على أساس المدن والقرى ، ويكون امتدادا للدول ونظمها الحاضرة ، فإذا تحقق هذا وأصبح للعالم نظام سياسى واجتماعى واحد ، نشأت تلك اللغة العالمية من حيث ندرى أو لا ندرى ، وبلغت الإنسانية أقصى ما تصبو إليه » .

(ص ٣٢٧ – من الكتاب) .

تمهيد :

تبدو أهمية تناول كتاب (اللغة بين القومية والعالمية) للدكتور إبراهيم أنيس ومناقشته من عدة وجوه ، يأتى فى مقدمتها أنه آخر ما كتبه المؤلف – كعمل مستقل ومتكامل – فى هذا الموضوع الصعب والشديد التداخل ، وربما الالتباس فى بعض الأحيان !!

وكذلك لأنه يمثل عصارة فكره ، وخلاصة تجاربه ووقفاته الطويلة مع اللغة وأسرارها « وألفاظها » و« دلالاتها » و« لهجاتها » المختلفة .

كما يعد هذا الكتاب ، بالنسبة للدكتور أنيس – رحمه الله – بمثابة نظرية فلسفية » له فى « اللغة ومدى إمكانية تحقق عالميتها على المستوى الإنسانى ، إذا توافرت لها شروط التحقق فى هذا الإطار ، حتى وإن اختلط ذلك عنده – كما سنرى – بسيطرة النزعة العاطفية (النفسية) ومزجها بالأمل والتمنى لديه ، والذى لا يسعفه الواقع الحقيقى الذى تعيشه اللغة – أى لغة – من تلك اللغات « الحية » ، فيما يتعلق بمدى قبولها كلغة عالمية ، على نحو ما يذهب لذلك الدكتور إبراهيم أنيس ، رحمه الله .

وقبل أن نستطرد مع الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابة هذا ، أرى أن نقدم عرضاً موجزاً لأهم فصوله ، حتى نكون على بينة من القضايا والأفكار التى يتضمنها فى هذا الصدد ، والتى سنتناول بالمناقشة والتحليل إن شاء الله ، وذلك على النحو التالى :

أولاً : محتويات الكتاب (عرض عام) :

يقع هذا الكتاب فى (٣٣٥) صفحة من القطع المتوسط ، ويضم بين دفتيه عشرة فصول ، ومقدمة ، وقد خصص المؤلف الفصل الأول للحديث عن (اللغة) والذى استغرق سبعة وعشرين صفحة ، حيث أوضح فيه : تعريف اللغة ، وحدد مقوماتها فى أربعة أمور يقوم عليها كيان « اللغة » ، وهى : النظام ، وعرفية اللغة ، والأصوات ودورها فى صنع اللغة الإنسانية ، ثم المجتمع الإنسانى الذى يتعامل بهذه اللغة أو معها .

ثم تحدث المؤلف فى الفصل الثانى عن (القومية) وموقف القدماء من فكرة القومية ، وأطوار المجتمع الإنسانى بدءا من نظام الأسرة ، والنظام القبلى ، ثم نظام الدولة ومدى دور تلك الأطوار فى « صنع اللغة » !!

وانتقل د . أنيس بعد ذلك – فى نفس الفصل – للحديث عن « التشخيص الصحيح للقومية » من وجهة نظره ، وكيف تم فى ضوء التاريخ الحديث ، وما تلا ذلك من ظهور القوميات الحديثة فى غرب أوربا أولا ، وعوامل نشأتها ، وانتشار تيار القومية فى سائر أوربا وموقف الدول الكبرى منها ، ثم أفريقيا وآسيا ، ثم عقد مقارنة بين الظروف التى نشأت فيها القوميات بأوربا ، وتلك التى نشأت فيها فى أفريقيا وآسيا .

أما الفصلان الثالث والعاشر ، فهما من أهم فصول هذا الكتاب ، حيث خصص أولهما للحديث عن (اللغة والقومية) وثانيهما عن (لغة واحدة للعالم) كيف ؟!!

فى الفصل الثالث ، تناول الدكتور إبراهيم أنيس موقف بعض السياسيين ، وكذلك اختلاف الباحثين فى الدعائم الأساسية للقومية .. وفكرة الأجناس البشرية وإلى أى مدى تسهم فى مسألة القومية ؟

كذلك عرض المؤلف لفكرة (الدين) Relagion أو العقيدة وصلتهما بالقومية ، وأيضا (الثقافة) culture ، ومدى أثرها فى تشكيل القومية ؟ وفى هذا الصدد أوضح د . أنيس أن « اللغة » أس الأساس فى كل قومية ، وكذلك اللغة المشتركة تعد – من وجهة نظره – تعبيرا آخر لما يسمى بالقومية !!

أما الفصل الرابع للكتاب ، فقد عرض فيه المولف لعدة أمثلة « حية » لمشاكل الحدود بين الدول .. ودور « اللغة » فى هذه المشاكل !!

ومن أمثلة ذلك اختلاف اللغة فى الهند فى ولاية « بيهار » بين اللغة الأردية واللغة الهندستانية ، ومطالبة « السيخ » بولاية تسود فيها لغتهم « البنجابية » هذا بالإضافة إلى بيانه لمشاكل اللغة فى كل من أفريقيا ، وقبرص ، وكندا ، ودول أوربا .. إلخ .

وفى الفصل الخامس من الكتاب (اللغة بين القومية والعالمية) – موضوع هذا الفصل من البحث – تحدث د . أنيس عن أشهر اللغات القومية الحديثة ، فى كل أوربا ، وآسيا ، وأفريقيا ... إلخ .

أما الفصل السادس ، فقد خصصه المؤلف للحديث عن « القومية العربية ومقوماتها » ومدى صلتها بالإسلام ، والقومية العربية قبل الإسلام في بلاد فارس ، وختمه بالحديث عن القومية العربية في العصر الحديث ودور اللغة فيها !!

وفي الفصل السابع (العالمية واللغة) أشار د . أنيس إلى فشل المجتمع الإنساني في تحقيق السلام خلال العصور التاريخية ، وما دور اللغة في الربط بين أفراد الأسرة وأفراد القبيلة ؟ ثم عاد د . أنيس مرة أخرى ، للحديث عن دعوة (الإسلام) و (المسيحية) إلى العالمية والروحية ، وموقفهما من اختلاف اللغات !! وتساءل - هناك - : هل تنتصر العالمية على القومية في المستقبل ، وهل تصبح العالمية امتدادا لقومية الدولة ؟ !

وإذا كان المؤلف قد تحدث في الفصل الخامس عن (أشهر اللغات القومية الحديثة) ، فقد تحدث في (الفصل الثامن) عن « لغات عالمية في التاريخ » وذكر منها : اللغة الأكادية واللغة الآرامية ، واللغة الإغريقية ، واللغة اللاتينية ، وختمه باللغة (العربية) حيث تكلم عن ازدهارها قبل الإسلام ، وانتشارها مع الفتوحات الإسلامية ، ثم استقرارها في مناطق متباعدة من المحيط إلى الخليج . وأشار الدكتور إبراهيم أنيس - في هذا الصدد - إلى تغلب العربية على غيرها من اللغات في العراق والشام ومصر وبلاد المغرب ، ثم عرض لسمات العالمية في اللغة العربية ، وختم هذا الفصل بتساؤل : هل يمكن أن تتشعب العربية إلى لغات مستقلة ، كما حدث للاتينية ؟!!

والفصل التاسع (لغات عالمية في العصر الحديث) ، تحدث فيه عن اللغتين العالميين المعروفين في العصر الحديث ، وهما : الفرنسية والإنجليزية ، وأشار المؤلف إلى صراع « الإنجليزية » التاريخي مع « الكلتيه » ، ثم مع « الفرنسية » حتى استكملت على حد تعبيره - كيانها المستقل ، في القرن الرابع عشر ، وأوضح - د . أنيس في ختام هذا الفصل - « الصفات » التي أهلتها للعالمية » هناك !! .

بقي الفصل العاشر والأخير من هذا الكتاب ، وهو بعنوان (لغة واحدة للعالم) ، وهو بيت القصيدة كما يقولون ، لأنه ، في الحقيقة ، حاول فيه د . أنيس الإجابة عن هذا السؤال : **لغة واحدة للعالم كيف ؟!!**

في هذا المقام أوضح المؤلف مزايا الوحدة اللغوية في العالم ، والجهود التي بذلت في وضع « لغة عالمية ، مثل « **الفولابيك** » و « **الإسبرانتو** » ، و « **الأيدو** » .. إلخ . وعرض لأشهر الاقتراحات في وضع اللغة العالمية والصورة التي تكون عليها ، ثم بين كيف تكتب اللغة العالمية ؟ وختم د . أنيس كتابه بسؤال يكشف عن نبرة تشكك في مدى تحقق وجود لغة عالمية ، بقوله : هل يتحقق وجود لغة عالمية تنتظم العالم كله في المستقبل ؟ ولو أنه – رحمه الله – لم يفقد الأمل في هذا !! .

ثانيا : وقفة مع أهم قضايا الكتاب :

ما سبق كان عرضا مجملا لمحتويات كتاب (اللغة بين القومية والعالمية) للدكتور إبراهيم أنيس لكنني سنقف – في هذا الصدد – **على أبرز ثلاث قضايا أثارها المؤلف وهي :**

١ – هل الدين (الإسلام) من مقومات القومية ؟

٢ – ما دور اللغة في تحقيق فكرة القومية ؟

٣ – ما اللغة المشتركة التي يمكن أن تلعب دورا في القومية ؟

وسنفصل ذلك على النحو التالي :

(أ) اللغة والقومية :

في الفصل الثالث (اللغة والقومية) كان أهم تساؤل طرحه فيه د . أنيس هو : (... إذا كانت أشهر الديانات في العالم (يقصد : البوذية ، واليهودية والمسيحية والإسلام) تسمو على كل مايفصل بين الإنسان وأخيه الإنسان ، فهل يعقل مع هذه – أن ندعي أن (الدين) من مقومات القومية ؟

ويعنينا بالطبع في إجابة د . أنيس على هذا التساؤل حديثه عن الدين الإسلامي ، حيث يؤكد أن الإسلام – بما يدعو إليه – من قيم السماحة والبعد عن التعصب إزاء الديانات السماوية الأخرى ، لا يصح – لهذه الأسباب – أن يكون داعيا إلى القومية ، أو (يكون) من مقوماتها ، فهو دين عالمي ، ويعتنقه الآن في العالم أقوام من قوميات متباينة في مشارق الأرض ومغاربها ، وكلهم إخوان في الدين

يتعاطفون روحيا ، وينصر بعضهم بعضا فى صدق هذا الدين الحنيف ، ونشر تعاليمه ، ودعم أركانه .

فالقوميات هى من صنع الإنسان ، ومن النظم الدنيوية التى اهتدى إليها بعقله وتفكير ، وليس بوحى من الله ، ولا يصح أن نربطها بالدين ، وأن نجعله من مقوماتها ، فمن الإسراف إذن أن يقال إن القومية بمعناها الحديث فى السياسة والنظم الاجتماعية تتطلب الدين أو العقيدة كأحد مقوماتها (ص ٩٨ من الكتاب) .

والدكتور أنيس فى هذا يتفق مع ما يقول به الدكتور على حسن الخربوطلى فى كتابه بعنوان (القومية العربية من الفجر إلى الظهر)(*) ، وهو بصدد إجابته عن سؤال مشابه للسؤال المطروح من قبل ، وهو : هل يصلح الإسلام ليكون أساسا لوحدة أو جامعة إسلامية ؟

يرى د . الخربوطلى أن « الدين يصلح ليكون عاملا من عوامل التوحيد إذا ما بقى دينا ، ولم يمسخ إلى سياسة أو طائفية ، فالدين الذى تظهر ثماره فى علاقة الإنسان بالخالق وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان ، فيقيم وزنا لقيمة الفرد وكرامته ، يعزز روابط الأخوة ، ويقرب بين الأفراد حتى ولو اختلفوا فى شعائر الدين وطقوسه(١) ، أما إذا مسخ (حول) إلى سياسة أو طائفية استحال إلى مصلحة من المصالح الدنيوية ، وأصبح أداة للتفريق ، فلا يزال الإسلام ، بعد اللغة العربية ، أعظم عامل مشترك بين العرب فى جميع أقطارهم .

كما يتفق ما يقول به الدكتور إبراهيم أنيس ، فى هذا الصدد ، مع ما يقوله باحث آخر فى نفس الموضوع ، حيث يذهب الشيخ عبد الرحيم فوده - رحمه الله - فى كتابه (الإسلام والقومية العربية) إلى أن الإسلام - دين الفطرة - لا يمكن أن يتناقض مع القومية ، ولا يصادمها ، لأنها من الدوافع الفطرية المذكورة فى النفوس والطبائع ، ما دامت فى اتجاهها السليم ، واستقامتها الطبيعية ، ولكنه يقف منها - مع غيرها - موقف الحارس الأمين العادل ، فيمنعها أن تجوز أن تغدر أو تفجر ،

(*) طبعة دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) القاهرة ، (بدون تاريخ نشر) .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

ويصنع لها الحدود التى تقف عندها فلا تتعداها[٢] ، بل يرسم لها الإطار الذى يجمعها مع غيرها فى صورة جميلة ، كما نلمح ذلك[*] .

ويستند د . أنيس فى ذلك إلى حديث الرسول ، (ﷺ) ، الذى قال فيه : (يا أيها الناس إن الرب واحد والأب واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب أو أم ، وإنما هى اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربى) .. ويعلق على ذلك الحديث بقوله : وهكذا رأى النبى بثاقب بصيرته أن نجاح الدعوة الإسلامية لايتم إلا بالقضاء على مظاهر العصبية الجاهلية ، ومنها : عقدة اللغة فهو الذى يقول : (**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) ، ويقول : كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى) ، وكذلك فى قوله تعالى : « **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**)[٣] .

(ب) دور اللغة فى تحقيق القومية ؟

ينتقل الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - بعد ذلك إلى هذه النقطة الثانية ، حيث يتحدث عن دور اللغة فى تحقيق القومية ، فيقرر : إن « اللغة هى القومية ، أو القومية هى اللغة .. »[٤] ، وهو فى هذا يتفق أيضا مع ما يذهب إليه د . الخربوطلى ، من أن « اللغة هى أساس القومية ومحورها ..[٥] ، ويرى د . أنيس أن اللغة هي أقوى رباط يجمع أواصر الأسرة التى يشعر معها أفرادها أنهم يفكرون

---

(٢) الإسلام والقومية العربية ، للشيخ عبد الرحيم فوده ، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبى - القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م ، ص ٢٢

(*) وانظر كذلك ، د . إبراهيم أنيس حيث يقول : (ولكننا مع هذا) ولا ننصف الدين الإسلامى حين نربطه بالقومية ، العربية أو نقصر أمره عليها ، فهو دين الناس كافة ، ولا تتقصر دعوته على شعب معين ، فهو دعوة روحية ، عالمية ، ولا نقف تعاليمه عند حدوث القوميات ، ولكنها مع هذا لا تناقض القومية ، ولا تعدو إلى تحريمها ، بل ثارت الدعوة الإسلامية جنبا إلى جنب مع الدعوة إلى القومية منذ ظهور الإسلام ، المرجع السابق ، ص ١٧٣ - ١٧٤ ، ص ١٨٠ .

(٣) سورة الحجرات الآية /١٣

(٤) مقدمة الكتاب ، ص ٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٦ .

بطريقة واحدة ، ويحسون بإحساس واحد ، وينطقون نطقا متماثلا[٦] ، فالقومية – فى حقيقة أمرها – ليست إلا الشعور بما يجذب أفراد المجتمع بعضهم إلى بعض لتتألف منهم وحدة متميزة ، وتصورنا للقومية بوصفها رباطا وثيقا بين الأفراد يبدأ من الأسرة التى هى أصغر صورة للقومية ، ثم اتسعت فشملت القبيلة ، ثم زاد اتساعها فضمت القرية أو المدينة .. » وهكذا حتى تكون منها فى العصر الحديث ما يسمى باللغة المشتركة فى شعب من الشعوب ، فاتساع رقعة اللغة عملية حتمية يؤكدها لنا ما نشهده الآن من سعة انتشار بعض اللغات ، حتى لتكاد تطوف بمعظم أنحاء العالم »[٧] .

ثالثا : اللغة المشتركة .. والعالمية ؟!

أما فيما يتعلق باللغة المشتركة ودورها فى تحقيق فكرة العالمية ، فيرى الدكتور أنيس – رحمه الله – أن اللغة المشتركة هى – الحقيقة – تعبير آخر لما يسميه السياسيون بالقومية .. « فالقومية إذن – كما يؤكد د . أنيس ليست إلا تلك الصلة الروحية التى أساسها الأفكار والرغبات والشعور ، وكلها تنتقل من عقل إلى عقل ، ومن نفس إلى نفس ، فى كلمات شائعة وثيقة الاتصال بتلك العقول والنفوس[٨] ، فإذا كان للقومية وجود حقيقى ، أو مفهوم محدد ، وجب أن تلتمسه فى تلك الرابطة الوثقى التى تؤلف بين أفراد المجتمع ، وتوجد بين أفكارهم وأحساسيهم وعواطفهم ، والتى تسمى باللغة أو اللسان [٩] ، أما بالنسبة للغة المشتركة فيشير الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن اللغة المشتركة تخذ فى بدء نشاطها مركزا معينًا يتاح له من الظروف والفرص ما لا يتاح لغيره ، فتتطلع إليه المناطق الأخرى ، وتسلم له الزمام فى النواحى السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية وينزح إليه الناس من كل صوب ، ثم تتبلور علمية الاتصال إلى مزيج لغوى منسجم يقبله الجميع ، وهو ما يسمى باللغة المشتركة [١٠] .

---

(٦) اللغة بين القومية والعالمية ، ص ١٠٢

(٧) المرجع السابق ، ص ٨ .

(٨) د . أنيس ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٩) نفس المرجع ، ص ١٠٢ .

(١٠) اللغة بين القومية والعالمية ، المرجع السابق ، ص ١٠٣

ومن ثم يميل د . أنيس إلى النظرية الألمانية فى القومية ، بزعامة العالم اللغوى (هردر) HERDER ، والتى ترى أن القومية مرادفة للغة ، فقد وحدت ألمانيا على أساس اللغة وحدها ، بعد أن كانت مجزأة إلى دويلات كثيرة ، وكذلك وحدت إيطاليا على أساس اللغة أيضًا .. إلخ(١١) ومع ذلك نجد الدكتور إبراهيم أنيس يتحفظ فيما يشبه التحذير ، فى موضع آخر من كتابه ، فيقول : « والقومية سلاح ذو حدين ، ساعدت الشعوب على النهوض من ناحية ، ولكنها أثارت الشحناء والبغضاء بينها من ناحية أخرى ، فالقومية صفات نبيلة لاشك فى هذا ، إذ تعلم أصحابها الإيثار والشجاعة والتضحية فى سبيل صلاح المجتمع وأمنه ورخائه(١٢) .

ورغم ذلك يشعر كثير من المفكرين فى العصر الحديث أن الوجه الآخر للقومية وجه قبيح شنيع يحمل على اليأس من مستقبلها ، مع مالها من مظاهر النهضة بين الشعوب ، فقد تصرف القومية كل الجهود وألوان النشاط فى طلب الحرية ، فلا يتلفت إلى صوت مصلح ، ولا فيلسوف ولا واعظ قبل نيل هذه الحرية ، كما يعبر برنارد شو فى بعض أقواله ، يضيف : « وقد تؤدى القومية والتعصب لها إلى نوع من العدوان الأنانى الغشوم على شعوب أخرى ، وإلى الشعور بالتفوق والغطرسة ، والانتقاص من حقوق الآخرين أو هضمها ، لا سيما حين يبالغ فيها ، وتسرف فى الدعوة لها وسائل الدعاية والاعلام فى الصحف والكتب والإذاعات والمدارس والمحافل والأندية ، وفى الأغانى والأناشيد ..(١٣) .

ولعل ما يؤكد صحة هذا الرأى ما حدث من قيام العراق بغزو الكويت الدولة العربية المجاورة لها فى أغسطس ١٩٩١ م بقيادة الرئيس العراقى الحالى صدام حسين ، فيما سماه بـ « أم المعارك » والتى انتهت بنهايتها المعروفة بـ « عاصفة الصحراء وعاني العراق – ولا يزال – من جراء هذا الاعتداء الغازى آنذاك !!

غير أن الدكتور إبراهيم أنيس – رحمه الله – يحدد مقصوده باللغة المشتركة فى مجال تحقيق (حلم) الوحدة العربية فى أنه لا يتم ذلك إلا بتحويل لغتنا هذه من لغة

(١١) المرجع السابق ، ص ١٠٨
(١٢) نفس المرجع ، ص ٢٤٦
(١٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٩ .

كتابة إلى لغة أداء ونطق ، بحيث إذا تحدث بها العربى مع أخيه العربى فى مجلس أو ندوة لا يشعر بعد قليل بالملل والسأم ، ولا يحس بالإرهاق الذهنى ، كما هو الشأن الآن[١٤] (*) .

ويضيف أنه لو وجهت كل جهود البلاد العربية إلى هذا الغرض وحده ، وأنفقت عليه مئات الملايين من الجنيهات لجنينا ثماراً له لا تقدر بمال ، ولشهدنا قومية عربية حقيقية متماسكة لا تنفك عراها منيعة عزيزة لا تنال منها أحداث الزمن ، وذلك خير لنا من أن نؤسس قوميتنا على شعارات أقرب إلى الخيال والوهم ، كتوحيد النظم الاقتصادية ، أو المذهب السياسى ، ونحو ذلك مما لا يلبث أن يصطدم بالآمال الشخصية ، ويكتنف بالشكوك والريب فى العلاقات بين البلاد العربية .

ويرى د .أنيس أن مالدينا من الإمكانيات الإذاعية ، ووسائل النشر والإعلام إذا أحسن استخدامه ، وخلصت النية فى توجيهه ، لحقق لنا لغة عربية مشتركة تسود كل البلاد العربية ويحسنها قومها كتابة ونطقاً وأداء ، وتشد أبناءها بعضهم إلى بعض ، فتؤلف منهم مجتمعا عربياً حريصاً على عزته وكرامته .. (ص ٢٣٥ من الكتاب) .

• هل للعربية سمات العالمية ؟

ولعل السؤال الذى يفرض نفسه فى هذا المقام هو : هل للعربية سمات أو مواصفات تتيح لها صفة (العالمية) كلغة تفاهم بين الأمم والشعوب المعاصرة - أم أنها تظل - كما يراها البعض لغة قومية لا تصلح للعالمية ؟

فى الحقيقة يجيب الفصل الثامن من كتاب الدكتور إبراهيم أنيس عن هذا السؤال بوضوح وبموضوعية كبيرة حيث يعدد جملة من سمات اللغة العربية التى

---

(١٤) المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

(*) ويدلل د .أنيس على ذلك بأن الموقف بالنسبة للهجات الخطاب بين العربى وأخيه اليوم فى عالمنا العربى يبعث على المرارة والحسرة ، فقد يذهب المصرى إلى أسواق العراق أو المغرب فيجد التفاهم مستحيلاً ، أو شبه مستحيل ، ولا يكاد يقضى حاجته فى بيع وشراء إلا بشق الأنفس والسبب- كما يذكر د .أنيس - الألفاظ المختلفة ، والتراكيب مختلفة والأصوات مختلفة ، فإذا لجأ إلى اللغة المشتركة الفصيحة أصاب المتكلم والسامع دورا أو إرهاق بعد فترة وجيزة ، .. فالكمثرى فى مصر هى العرموط فى بغداد ، والبرقوق فى مصر هو الخوخ فى الأردن ، والخوخ فى مصر هو الإجاص فى الشام .. إلخ من تلك الكلمات .

تجعلها – بلا تعصب – جديدة بسمات (اللغة العالمية)[١٥] ، ومنها : أنها لغة ديمقراطية ، لا تخاطب الكبير بخطاب والصغير بخطاب آخر ، ولا تخلط بين ضمير الفرد وضمير الجمع ، فيقول سبحانه وتعالى « أنا ربكم الأعلى » ، ويقول الرسول (ﷺ) : « إنما أنا بشر مثلكم » ويقول له الناس « ما أنت إلا بشر مثلنا » (أخذا من القرآن الكريم) ، ومن سمات العالمية فيها كذلك سعة : انتشارها واصطناع شعوب متعددة لها ، منذ أن استقرت الدولة العربية فى أواخر القرن الثانى وأوائل الثالث من الهجرة ، فقد مر حينئذ على انتشار العربية فى أقطار عدة ، وشعوب مختلفة ، زمن كاف لصبغ تلك الشعوب بالصيغة العربية[١٦] ، فأخذت بالطابع العربى دينا ولغة وثقافة وحضارة ، وقد صهرت كل تلك الشعوب التى كانت فى آسيا الصغرى ومصر وشمال أفريقيا فى البوتقة العربية ، وتألفت منها ، فى نهاية الأمر ، فى شعب عربى واحد، بدين واحد ، ويصطنع لغة واحدة .

أما السمة الثالثة العالمية العربية ، فهى أنها وهى فى أوج نهضتها قد رحبت بكثير من الألفاظ التى اقترضتها من اللغات الأخرى ، واستغلتها فى المصطلحات العلمية ولغة الكلام ، وينتهى د . أنيس من ذلك إلى القول بأنه : « فإذا سلمنا أن المسئولية فى نشأة القوميات الحديثة تقع أولا وبالذات على ظاهرة الاشتراك فى اللغة ، تصورنا كيف أن مجال اللغة يمتد ، ونطاقها يتسع ، منه الأسرة إلى القبيلة ، إلى القرية والمدينة ، ثم إلى عدة مدن يطلق عليها اسم الدولة . فإذا امتد نطاق اللغة إلى عدة دول بدأ بهذا ما تتطلع إليه الإنسانية من سيادة عالمية ، ونشأت القومية الإنسانية ، أى أن ما يسمى بالعالمية ليس فى حقيقة أمره إلا نوعا من القومية قد اتسع نطاقها اتساعا كبيرا فشمل مناطق متباعدة من العالم ، ومن هنا بدأ تفكير بعض المصلحين فى اللغة العالمية والدعوة لها[١٧] .

---

(١٥) المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .

(١٦) اللغة بين (القومية والعالمية ، د . إبراهيم أنيس ، ص ٢٨٠ .

(١٧) المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

• هل يرغب الناس فى لغة عالمية ؟

بقى أن نختم هذا الموضوع من كتاب الدكتور إبراهيم أنيس هذا ، بالإجابة عن هذا السؤال المطروح ، حيث يشير د . أنيس إلى ذلك فى الفصل العاشر والأخير من كتابه فيقرر أن الاستفتاء الذى قامت به مؤسسة « جالوب » يذكر أن ٨٠٪ ممن أدلوا بآرائهم قد تحمسوا لفكرة « اللغة العالمية » ، ولم يقتصر هذا على أمريكا ، بل بدت هذه الرغبة واضحة جلية فى مناطق أخرى من العالم ، ذلك لأنهم رأوا أن الفكرة تكفل لأبنائهم وأحفادهم مستقبلا سعيدا ، وأحسوا أن اللغات فى تشتتها الحالى تقيم حواجز وحوائل بين الناس[١٨] .

بيد أن الدكتور أنيس – رحمه الله – لا يقف عند هذا الحد ، وإنما قدم جملة مميزات لتلك العالمية ، من أهمها أنها ستخلصنا من مشاكل الترجمة ، وما تثيره فى كثير من الأحوال من سوء التفاهم والشقاق ، ولا سيما فى المجالات الدولية ، ومن ثم يخلص إلى القول : « .. ليس من الإسراف أو المغالاة أن نقرر أنه لو اهتدى العالم إلى تلك اللغة التى تنظم الناس جميعا فوق سطح الأرض ، فقد اهتدى إلى السلام والأمن والرخاء فى كل مكان !!

وكما يقرر M.M.LEWIS « لويس » صاحب كتاب (اللغة فى المجتمع)[١٩] (.. يجب ألا ننسى أن لدينا الآن من الوسائل المادية وآلات الاتصال ما يمكن معها أن تنشأ لغة عالمية وأن تبقى ، وأننا الآن نحس أكثر من ذى قبل بحاجة إلى إيجاد تلك اللغة العالمية فى المستقبل) .

ويدلل الدكتور إبراهيم أنيس على ذلك بأن : الشعور بالحاجة إلى لغة عالمية له جذوره التاريخية ، وأن الحاجة إلى هذه اللغة قد بدت للناس فيما مضى شبه ضرورة ملحة ، ولكنها الآن – وفى العصر الحديث – أصبحت أشد إلحاحًا ، بل هى فى نظر بعض المفكرين واجب إنسانى ، لأنها الملاذ الوحيدة لإنقاذ الإنسانية من كثير من

---

(١٨) المرجع السابق ، د . أنيس ، ص ٢٩٨ وما بعدها .
(١٩) ترجمة تمام حسن . ص ٨٨ – ٩٤ .

المآسي والويلات ، فهي في رأيهم تمنع الحروب العالمية ، أو على الأقل تحد من نطاقها ، ويوضح د . أنيس أنه في سبيل تحقيق هدف الوصول إلى لغة عالمية في عصرنا هذا حدثت عدة محاولات لخلق تلك اللغة العالمية ، وتمثل ذلك في أمرين :

أولهما : البحث عن لغة مصنوعة منطقية ، وخالية من الشواذ ، وتلك هي التي تطلع إليها معظم مفكري القرن السابع عشر .

وثانيهما : اصطناع لغة فيها بعض عناصر من اللغات الحية مثل « الفولابيك » التي معناها « كلام العالم » والتي اخترعها أحد رجال الدين في « بافاريا » وهو « مارتن سلير سنة ١٨٧٩م[٢٠] .

ولكن لم يكد يمضي على إنشائها ثماني سنوات حتى هجرها أنصارها ، والتفوا حول لغة أخرى هي لغة « الإسبرانتو » التي اعتمدت في تشكيلها على لغات أربع هي : اللاتينية ، الإنجليزية ، والفرنسية والألمانية[٢١] ، وقد وضعها لغوي بولندي سنة ١٨٨٧ م ، تحت هذا الاسم [*] .

وهكذا ينتهي بنا الدكتور إبراهيم أنيس من هذا الطواف الطويل حول اللغة العالمية عبر فصول كتابه هذا إلى اقول : (فإذا شاء القدر أن يقتنع الإنسان بفكرة الحكومة العالمية التي تسوس الناس جميعًا ، فلن يكون ذلك الامتداد لنظام الدولة ليصبح نظام الدولة الحديثة .. وحينئذ يتحقق للبشرية ذلك الحلم السعيد بأن تصبح للإنسان لغة عالمية أو قومية إنسانية للناس كافة ، وفي جميع بقاع الأرض)[٢٢] ، ثم يقول : أما بعد ، فقد أدليت – أي د .أنيس – بدلوي في الدلاء ، وأسهمت بنصيف في موضوع القومية والعالمية [٢٣] .

---

(٢٠) المرجع السابق ، ص ٣١١ .م
(٢١) نفس المرجع ، ص ٣١١ – ٣١٢ .
(*) ويدعى « لازاروس زمنهوف » وتعد « الإسبرانتو » أشهر اللغات العالمية المصنوعة .
(٢٢) المرجع السابق ، ص ٩ .
(٢٣) نفس المرجع .

مراجع الكتاب

أولا : المصادر المباشرة(*) .

١- **إيناس أو ضحية المجتمع** ، تأليف إبراهيم أنيس ، مخطوطة لم تنشر ، كتبها فى عام ١٩٣٢ م .

٢ – **اللغة بين القومية والعالمية** ، للدكتور إبراهيم أنيس ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

٣ – **الأصوات اللغوية** ، للدكتور إبراهيم أنيس ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط / ١٩٩٥ م .

٤ – **المنصور الأندلسى** (صفحات مجيدة من تاريخ أجدادنا العرب الأمجاد ، للدكتور إبراهيم أنيس ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، (د . ت) .

٥ – **دلالة الألفاظ** ، للدكتور إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط/١٩٩٧ م .

٦ – **طرق تنمية الألفاظ فى اللغة** ، محاضرات للدكتور إبراهيم أنيس ، قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية ، مطبعة النهضة الجديدة ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

٧ – **فى اللهجات العربية** ، للدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط/٩ ، ١٩٩٥ م .

٨ – **من أسرار اللغة** ، للدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط/ ٧ ، ١٩٩٤ م .

٩ – **محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة** ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية ، معهد الدراسات العربية العالمية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٥٩/١٩٦٠ م .

(*) راعيت فى تنسيق المراجع الترتيب الأبجدى وتاريخ النشر للكتاب ماأمكن .

١٠ – **موسيقى الشعر** ، للدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط/٥ ، ١٩٨١ م .

١١ – **ابراهيم أنيس لغويا** ، للدكتور على سيد جعفر ، رسالة ماجستير (غيرمنشورة) ، كلية اللغة العربية ، (قسم أصول اللغة) ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م (مجلدان) .

١٢ – **التراث المجمعى فى خمسين عاما** ، تأليف : الأستاذ إبراهيم الترزى ، مجمع اللغة العرية ، القاهرة، ١٩٢٣ م – ١٩٨٤ م .

١٣– **المجمعيون فى خمسين عاما** ، للدكتور محمد مهدى علام ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .

١٤– **فى أصول اللغة** ، محمد أحمد خلف الله ، محمد شوقى أمين ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩ م (ثلاث أجزاء) .

١٥– **مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما** (١٩٣٢ – ١٩٦٢) ، الجزء الأول ، ماضيه وحاضره ، للدكتور إبراهيم مدكور ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٤ م .

١٦– **مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما(٢)** ، «المجمعيون » ، للدكتور محمد مهدى علام ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م .

١٧ – **مجمع اللغة العربية فى خمسين عاما** (١٩٣٤ – ١٩٨٤) للدكتور شوقى ضيف ، طبعة المجمع ، القاهرة ، ط/١ ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .

١٨– **مجموعة القرارات العلمية فى خمسين عاما** ، (١٩٣٤ – ١٩٨٤) ، أخرجها وراجعها ، محمد شوقى أمين وإبراهيم الترزى ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .

١٩ – **مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة** ، الأجزاء التالية : ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ . والأعداد من الجزء (٢٧–ج ٤٠) .

٢٠ – **مجموعة البحوث والمحاضرات** ، مؤتمر مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، من الدورة السادسة والعشرين (١٩٥٩ – ١٩٦٠) السادسة والعشرين (١٩٥٩ – ١٩٦٠) ، و د/٢٩ ، (١٩٦٢ – ١٩٦٣) ، د/٣٠ ، (١٩٦٣ – ١٩٦٤) ود/٣١ (١٩٦٤ – ١٩٦٥) والبحوث والمحاضرات ، مؤتمر الدورة الثانية والثلاثين – ببغداد ، مطبوعات المجمع العلمى العراقى ، (١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م) .

٢١ – **البحوث والمحاضرات** ، **للدورة الثالثة والثلاثين** ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٨ م .

٢٢ – **البحوث والمحاضرات** ، **مجمع اللغة العربية** ، الدورة الرابعة والثلاثين ، القاهرة ، ١٩٦٧ – ١٩٦٨ م .

٢٣ – **البحوث والمحاضرات** ، **مجمع اللغة العربية** ، للدورة السادسة والثلاثين ، القاهرة ، ١٩٦٩ – ١٩٧٠ م .

٢٤– **مؤتمر الدورة الحادية والأربعين** ، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م ، أشرف على إخراجها ، للدكتور إبراهيم بيومى مدكور ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦ م .

ثانياً : المراجع المباشرة :

(أ) المعاجم :

١- **المعجم اللغوى التاريخى** ، تأليف أ . فيشر ، القسم الأول ، من أول « حرف الهمزة » إلى « أبد » نشره مجمع اللغة العربية الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، بالقاهرة ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

٢- **المعجم الكبير** ، مجمع اللغة العربية ، مطبعة دارالكتب ، القاهرة ، ١٩٧٠ م ، (ثلاثة أجزاء) .

٣ - **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٠٤٥ هـ - ١٩٨٥م (مجلدان) .

٤ - **المعجم العربى الأساسى (لاروس)** ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تأليف جماعة من كبار اللغويين العرب ، تونس ، ١٩٨٨ م .

٥ - **المعاجم العربية دراسة تحليلية** ، الكتاب الأول ، للدكتور عبد السميع محمد أحمد ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

٦ - **المعاجم العربية المجنسة** ، للدكتور محمد عبد الحفيظ العريان ، دار المسلم للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٧ - **أوس بن حجر معجمه اللغوى** ، للدكتورة سهام عبد الوهاب الفريج ، قسم اللغة العربية ، جامعة الكويت ، حوليات كلية الآداب ، ١٣١/١٩ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

٨ - **معجم ألفاظ القرآن الكريم** ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٠٤٩ هـ - ١٩٨٩ م ، (جزءان).

٩ - **معجم التعبيرات القرآنية** ، تأليف ، الأستاذ محمد عتريس ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م .

١٠ – **موسوعة علم الإنسان** ، تأليف : شارلوت سيمور – سميث ، ترجمة : مجموعة من أساتذة علم الاجتماع ، باشراف الدكتور محمد الجوهرى ، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومى للترجمة ، القاهرة ، ١٩٩٨ م .

١١ – **مصطلحات فكرية** ، تأليف : سامى خشبة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (مكتبة الأسرة) القاهرة ، ١٩٩٧ م .

١٢ – قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفولكلور ، تأليف أيكه هو لتكرانس ، ترجمة : الدكتور محمد الجوهرى و د . حسن الشامى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة (ذاكرة الكتابة) القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩ م

(ب) كتب اللغة وعلومها وفقهها :

١– **المزهر فى علوم اللغة وأنواعها** ، للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطى ، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه : محمد أحمد جاد المولى بك ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى ، (جزءان) ، طبعة دار التراث ، القاهرة ، الطبعة الثالثة (د . ت) .

٢ – **الأضداد** ، تأليف محمد بن قاسم الأنبارى ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الكويت ، ١٩٦٠ م .

٣ – **العربية . . دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب** ، يوهان فك ، نقله إلى العربية وحققه وفهرس له ، دكتور عبد الحليم النجار ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٣٧٠ هـ – ١٩٥١ م .

٤ – **الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية** ، جورجى زيدان ، دار الهلال ، ١٩٦٩ م .

٥ – **المنهج الصوتى للبنية العربية** ، رؤية جديدة فى الصرف العربى ، للدكتور عبد الصبور شاهين ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٧٧ م .

٦ – **البحث اللغوى** ، للدكتور محمود فهمى حجازى ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة (د . ت) .

٧ – **اللغة والمجتمع** ، للدكتور على عبد الواحد وافى ، دار النهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، (د . ت).

٨ – **أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية** ، للشيخ أحمد حسن الباقورى ، دار المعارف ، القاهرة ، ط/ ٤ ، ١٩٨٧ م .

٩ – **أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب** ، عباس محمود العقاد ، دار المعارف ، القاهرة ، ط/٦ ، ١٩٨٨ م .

١٠ – **اللغة الشاعرة** ، تأليف عباس محمود العقاد ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٨٨ م .

١١ – **المدخل السلوكى لدراسة اللغة** ، فى ضوء المدارس والاتجاهات الحديثة فى علم اللغة ، للدكتور مصطفى زكى التونى ، حوليات كلية الآداب ، ١٠/٦٤ ، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م .

١٢ – **الأسس اللغوية لعلم المصطلح** ، للدكتور / محمود فهمى حجازى ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٩٣ م .

١٣ – **اتجاهات البحث اللسانى** ، تأليف :ميلكا إفيتسش ، وترجمة دكتور سعد مصلوح ، وفاء كامل فايد ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٦ م .

١٤ – **الحصيلة اللغوية** ، أهميتها – مصادرها – وسائل تنميتها ، للدكتور أحمد محمد المعتوق ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، (عالم المعرفة) العدد /٢١٢ ، ١٩٩٦م .

١٥ – **اللغة العربية** ، معناها ومبناها ، للدكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط/٣ ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م .

١٦ – **اللسانيات العامة وقضايا العربية** ، تأليف : مصطفى حركات ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م .

١٧- **الكتابة من موقع العدم** (مساءلات حول نظرية الكتابة) للدكتور عبد الملك مرتاض ، « كتاب : الرياض » العدد ٦١/٦٢ ، مؤسسة اليمامة الصحفية ، السعودية ، ١٩٩٩ م .

١٨ - **اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم** ، للدكتور كمال بشر ، دار غريب ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

١٩ - **إشكالية اللغة العربية** ، عالم الفكر ، الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والإعلام ، الكويت ، المجلد الثامن والعشرون ، العدد الثالث ، يناير/ مارس ٢٠٠٠ م .

٢٠ - **تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها فى مصر** ، للدكتورة نفوسة زكريا ، الناشر ، طبعة الإسكندرية ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .

٢١ - **خاطرات مؤتلفات فى اللغة والثقافة** ، للدكتور كمال محمد بشر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٥ م .

٢٢ - **دراسات لغوية** : للدكتور عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .

٢٣ - **دور الكلمة فى اللغة** ، ترجمة الدكتور كمال بشر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط/١٢ ، ١٩٩٧ م .

٢٤ - **دراسات فى علم اللغة** ، للدكتور كمال بشر ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

٢٥ - **دفاع عن القرآن الكريم** .. أصالة الإعراب ودلالته على المعانى فى القرآن الكريم ، واللغة العربية .

٢٦ - **دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح** ، باستخدام الكمبيوتر ، للدكتور على حلمى موسى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

٢٧ - **علم اللغة** ، الدكتور على عبد الواحد وافى ، ط/٣ ، طبعة لجنة البيان العربى ، القاهرة ، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .

٢٨ – **علم الأصوات** ، تأليف : برتيل مالمبرج ، تعريب ودراسة الدكتور عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٨٥ م

٢٩ – **علم اللغة العربية** – مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية ، للدكتور محمود فهمي حجازى ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د . ت .

٣٠ – **علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة** ، للدكتور محمود فهمي حجازى ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د . ت .

٣١ – **فقه اللغة العربية** ، تأليف : إبراهيم نجا ، دار النيل للطباعة ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .

٣٢ – **فى علم اللغة العام** ، للدكتور عبد الصبور شاهين ط/٣ مكتبة الشباب ، القاهرة ، د . ت .

٣٣ – **فقه اللغة** ، للدكتور على عبد الواحد وافى ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ط / ١٩٨٨ م .

٣٤ – **فى علم اللغة التاريخى** ، دراسة تطبيقية على عربية العصور الوسطى ، للدكتور البدراوى زهران ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٨ م .

٣٥ – **فى التطور اللغوى** ، للدكتور عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٩٢ م .

٣٦ – **فى شرف العربية** ، للدكتور إبراهيم السامرائى ، (كتاب الأمة) ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، قطر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.

٣٧ – **فى الأدب واللغة** ، للدكتور أحمد هيكل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، (مكتبة الأسرة) ١٩٩٨م .

٣٨ – **قصة الكتابة العربية** ، للدكتور إبراهيم جمعة ، ط/٣ ، دار المعارف ، ١٩٨١ م .

٣٩ – **قضية اللفظ والمعنى وأثرها فى تدوين البلاغة العربية** ، للدكتور على محمد حسن العمارى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

٤٠ – **لغتنا السمحة** ، تأليف : محمد خلفية التونسى ، (كتاب العربى) ، الكويت ، الكتاب التاسع ، أكتوبر ١٩٨٥ م .

٤١ – **لغتنا والحياة** ، للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٩٩١ م .

٤٢ – **من قضايا اللغة والنحو** ، تأليف ، على النجدى ناصف ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٣٧٦ هـ ١٩٧٥ م .

٤٣ – **مناهج البحث فى اللغة** ، للدكتور تمام حسن ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٠م .

٤٤ – **نظرات فى علم دلالة الألفاظ** عند أحمد بن فارس اللغوى ، للدكتور غازى مختار طليمات ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، ٦٨/١١ ، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م .

٤٥ – **مقدمة فى علوم اللغة** ، للدكتور البدراوى زهران ، دار المعارف ، القاهرة ، ط/٥ ، ١٩٩٣ م .

٤٦ – **مصادر عربية وقراءات** فى مراجع تراثية ، للدكتور البدراوى زهران ، دار المعارف القاهرة ، ط/٢ ، ١٩٩٣ م .

٤٧ – **موجز تاريخ علم اللغة (فى الغرب)** تأليف د . هـ . روبنز ، ترجمة الدكتور أحمد عوض ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، (عالم المعرفة) العدد / ٢٧٧ ، ١٩٩٧ م .

٤٨ – **نحو تقويم جديد للكتابة العربية** ، للدكتور طالب عبد الرحمن ، وزارة الأوقاف والشئون الدينية ، (كتاب الأمة) قطر ، العدد /٦٩ ، المحرم ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

٤٩ – **مراجعات لسانية** ، للدكتور حمزة بن قبلان المزيني ، كتاب الرياض العدد /٧٥/ مؤسسة اليمامة الصحفية ، الرياض ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

(جـ) كتب النحو والصرف .

١ – **إحياء النحو** ، لإبراهيم مصطفى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥١ م .

٢ – **القياس فى اللغة العربية** ، تأليف : محمد الخضر حسين ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ .

٣ – **المدارس النحوية** ، للدكتور شوقى ضيف ، دار المعار ف، القاهرة ، ط/٤ ، ١٩٧٩ م .

٤ – **التطور النحوى للغة العربية** ، سلسلة محاضرات ألقاها الجامعة المصرية ، BERGSIRAESSER ، جمعها محمد توفيق البكرى ، نشر مطبعة حسن الأكبر ١٩٢٩ م ، والمركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ، ١٩٨١م .

٥ – **العوامل المائة النحوية** فى أصول علم العربية للجرجانى م ١٤٧١ هـ ، شرح الشيخ خالد الأزهرى الجرجاوى م ٩٠٥ هـ ، تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور البدراوى زهران ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣ .

٦ – **المذاهب النحوية فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة** ، للدكتور مصطفى عبد العزيز السنجرجى ، المكتبة الفيصلية – مكة المكرمة – الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

٧ – **إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين** ، تأليف : عبد الباقى بن عبد

المجيد اليمامى ، تحقيق الدكتور عبد المجيد دياب ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م .

٨ - **إعراب الأفعال ،** للدكتور على أبو المكارم ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

٩ - **الجمل فى النحو ،** تصنيف أبى بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى ت ١٤٧١ هـ . تحقيق وتقديم الدكتور عبد الحليم عبد الباسط المرصفى ، دار الهانى للطباعة ، القاهرة ، ١٩٨٨ م .

١٠ - **العمدة : كتاب فى التصريف ،** تأليف : الشيخ الإمام أبى بكر عبد القاهر ابن عبد الرحمن الجرجانى ، حققه وقدم له وعلق عليه ، الدكتور البدراوى زهران ، دار المعارف ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٩٩٥ م .

١١ - **تأملات فى بعض ظواهر الحذف الصرفى ،** الدكتور فوزى حسن الشايب ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، ٦٢/١٠ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

١٢- **شذا العرف فى فن الصرف ،** تأليف الشيخ أحمد الحملاوى ، شرحه وصححه وأعد فهارسه ، الدكتور حسنى عبد الجليل يوسف ، مكتب الآداب ، القاهرة ، ١٩٩١ م .

١٣ - **علل التغير اللغوى ،** للدكتور مصطفى زكى التونى ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، ٨٤/١٣ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

١٤ - **قواعد اللغة العربية ،** تأليف : العلامة حفنى ناصف وفضيلة الشيخ مصطفى طموم ، (وآخرون) .. الدكتور محمد محيى الدين أحمد محمود، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٩٧ م .

١٥ - **كفاية الإعراب ،** لابن الخباز النحوى الموصلى : ت ٦٣٩ هـ والكافية لابن الحاجب ، ت :٦٤٦ هـ عرض وموازنة وتقويم للدكتور عبد الجليل محمد عبد الجليل ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٩٨ م .

١٦ – **موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف** ، للدكتورة خديجة الحديثي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١ م .

١٧ – **من صيغ العربية وأوزانها « أفعل »** ، تأليف عبد الحليم عبد الباسط المرصفي ، دار مرجان للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

(د) كتب البلاغة والأدب والنقد :

١ – **الوسيط في الأدب العربي وتاريخه** ، تأليف : حفني بك ناصف .

٢ – **البلاغة تطور وتاريخ** ، للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٩٦٥ م .

٣ – **اللباب في العروض والقافية** ، تأليف : كامل السيد شاهين ، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٤ – **التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم** ، للدكتور عبد العظيم إبراهيم المطعني مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٩٨ م (مجلدان) .

٥ – **بين الكتب والناس** ، تأليف : عباس محمود العقاد ، دار المعارف ، القاهرة ، ط/٤ ، ١٩٨٥ م .

٦ – **تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م .

٧ – **تطور النقد المسرحي في مصر** ، تأليف : السيد حسن عيد ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف (الدار المصرية للتأليف والترجمة) ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .

٨ – **ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي** ، إميليو غرسية غومس ، داماسو ألونسو ، ماريا خليسوس بيجيرا ، ترجمة وتقديم : الدكتور محمود علي مكي ، المجلس الأعلى للثقافة ، (المشروع القومي للترجمة) ، القاهرة ، ١٩٩٩ م .

٩ – **ديـوان الأدب** ، تـأليـف : أبـى إبراهيـم اسـحاق بن إبـراهـيم الفارابـى ، ت ٣٥٠ هـ . (أربـعة أجـزاء) ، تحـقـيق الدكتـور أحمـد مـختـار عمـر ، مـراجعة الدكتور إبراهيم أنيس ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٣٤٩ – ١٩٧٤ م .

١٠ – **الأدب العربى المعاصر فى مصر** ، للدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط/٧ ، ١٩٧٩ م .

١١ – **البحث الأدبى** – طبيعته – مناهجه – أصوله – مـصادره ، للدكتور شوقى الضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط/٤ ، ١٩٧٩ م .

١٢ – **النقـد الأدبى** ، أصـوله ومناهـجه ، تـأليف : سـيـد قطب ، دار الشـروق ، القاهرة ، ط/٥ ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

١٣ – **المصادر الأدبية واللغوية فى التراث العربى** ، للدكتور عز الدين اسماعيل ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د . ت .

١٤ – **القـصـة فى الأدب الحـديث** ، تأليف : مـحـمـد يوسف نجم ، دار مـصـر للطباعة ، القاهرة ١٩٥٢ م .

١٥ – **المسرحية من إبسن إلى أليوت** ، تأليف : ريموند وليمز ، ترجمة الدكتور فـايز إسكندر مـراجـعـة : سـعـيد مـحـمـد خطاب ، المؤسـسـة المصرية العامـة للتـأليف والترجمة ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٦٣م .

١٦ – **التراث القصصى عند العرب** ، للدكتور مصطفى الشورى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ط/٢ ، ١٩٩٩ م .

١٧ – **فى النقد الأدبى** ، للدكتور شوقى ضيف ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف ، القاهرة ، ط/٤ ، ١٩٧٦ م .

١٨ – **مبادئ النقد الأدبى** ، ترجمة الدكتور محمد مصطفى بدوى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

١٩ – **منهج الفن الإسلامى** ، تأليف : محمد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط/٤ ، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .

٢٠ – **مدخل رياضى إلى عروض الشعر العربى** ، للدكتور أحمد مستجير ، القاهرة ، الناشر المؤلف ، ط /١ ، ١٩٨٧ م .

٢١ – **نقد الحداثة – الآن تورين** ، ترجمة الدكتور أنور مغيث ، المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومى للترجمة) القاهرة ، ١٩٩٧ م .

(هـ) كتب أخرى :

● **الإسلام والقومية العربية** ، بقلم : عبد الرحيم فوده ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٠ هـ – ١٩٦١م .

● **القومية العربية من الفجر إلى الظهر** : للدكتور على حسن الخربوطلى ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة (د . ت) .

● **الأمة الإسلامية وقضية القومية** : تأليف : أبى الأعلى المودودى ، ترجمة وإعداد دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٩٨١ م .

● **فلسفة القومية العربية** : تأليف : ماهر نسيم المكتبة الدولية رقم (٩) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

● **فى العربية والقرآن** ، للدكتورعبد الصبور شاهين مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٩٨ م .

● **تاريخ القرآن** ، للدكتور عبد الصبور شاهين دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م .

● **ضحى الإسلام** ، تأليف : أحمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (مكتبة الأسرة) ، القاهرة ، ١٩٩٧ م (الجزء الأول) .

● **محاضرات مجمعية** ، للدكتور شوقى ضيف ، ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .

السيرة الذاتية للمؤلف

- **السيد أحمد إبراهيم الخزنجي ، وشهرته (السيد الخزنجي)**

– ولد في ١٩٥٧/٣/٢٧ ، بمحافظة الشرقية ، بمصر .

– حصل على ليسانس في الحقوق ، من جامعة الزقازيق ، عام ١٩٨٢ م

– أدى الخدمة العسكرية بمصر ، في الفترة من / أكتوبر /١٩٨٣ وحتى / يناير ١٩٨٥

- متزوج وله ثلاثة أولاد وبنت .

- **عمله في الفترة من (١٩٨٤ – ١٩٨٨ م) .**

– تفرغ للكتابة والبحث والتأليف ، والمشاركة في مسابقات الهيئات الثقافية الرسمية بمصر ، وحصل خلال تلك الفترة على عدة جوائز (أولى) على مستوى الجمهورية منها :

- جائزة لجنة الدراسات الأدبية واللغوية للمجلس الأعلى للثقافة – القاهرة – ١٩٨٤ م .
- جائزة المجلس الإعلى للشئون الإسلامية – القاهرة – ١٩٨٥ م .
- جائزة (علم النفس والتربية) للمجلس الأعلى للثقافة – القاهرة – ١٩٨٦ م .

- **مجلات ودوريات علمية نشرت له في الفترة من (١٩٨٤ – ١٩٨٨م) :**

– نشر له العديد من المقالات والأبحاث والدراسات في المجلات والدوريات العربية المتخصصة ، منها : مجلة (الوعي الإسلامي) الكويتية ، (المنهل) السعودية ، (الفيصل) السعودية ، (منار الإسلام) أبو ظبي ، (العلوم الإنسانية) ، جامعة الكويت ، (العلوم الاجتماعية) ، جامعة الكويت ، (الوحدة) ، الرباط / المغرب ، و (الدراسات الإعلامية) ، القاهرة ، (الأزهر) مجمع البحوث الإسلامية ، و (منبر الإسلام) ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة – .... وغيرها .

- **مؤلفاته فى الفترة من (١٩٨٧ - ١٩٩١) م**

- العدل والتسامح الإسلامى - رابطة العالم الإسلامى - مكة المكرمة (دعوة الحق) ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- نظرة تحليلية فى كتابات د . محمد حسين هيكل - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٧ م .

- الأثر السيكولوجى والتربوى لعمل المرأة على شخصية الطفل العربى - مكتب التربية العربى لدول الخليج ، الرياض - ١٤١٠ - ١٩٩١ م .

- فى ظلال سيرة الرسول (ﷺ) - رابطة العالم الإسلامى - مكة المكرمة (دعوة الحق) ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

- **أعمال حرة له فى الفترة من (١٩٨٨ - ١٩٩٣ م) :**

- اشتغل بمهنة (المحاماة) فى الفترة من ١٩٨٨/٦/١ م - وحتى ١٩٩١/٢/٥ م (لمدة ٣ سنوات ونصف السنة) وظل مقيداً بالجدول العام بنقابة المحامين ، بالقاهرة ، فى نفس المهنة، حتى ١٩٩٣/٨/١٥ م .

- عين فى وظيفة (محرر صحفى) بالقسم الأدبى بجريدة « المساء » بدار الجمهورية للصحافة ، القاهرة ، فى ١٩٩١/٢/٥ م .

- **عضويته بالنقابات الآتية :**

- عضو نقابة (المحامين) فى الفترة من ١٩٨٨/٦/١ - ١٩٩٣/٨/١٥ م .
- عضو اتحاد الكتاب المصرى فى ١٩٩٠/١٢/٢٥ م .
- عضو نقابة الصحفيين بالقاهرة « تحت التمرين » ، فى ١٩٩٢/٥/١٧ م .
- عضو نقابة الصحفيين جدول (مشتغلين) فى ١٩٩٤/٦/٥ م .

- **جوائز ثقافية وأدبية فاز بها فى الفترة من (١٩٩٥ - ٢٠٠٠ م) :**

– جائزة خدمة الدعوة والفقه الإسلامى (وقف د . الفنجرى) عام ١٩٩٥ م .

– جائزة خدمة الدعوة والفقه الإسلامى « وقف د . الفنجرى » ، لعام ١٩٩ م .

– جائزة مجمع اللغة العربية ، بالقاهرة لعام ٢٠٠٠ م .

- **مؤلفات صدرت له فى الفترة من : (١٩٩٣ - ١٩٩٩ م) .**

– تنمية القيم التربوية والنفسية للأبناء – الهيئة المصرية العامة للكتاب – (المكتبة الثقافية) ، القاهرة ١٩٩٣ م .

– شخصية الطفل وثقافته ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، سلسلة « مكتبة الشباب » ، ١٩٩٣م .

– الطفل العربى واقعه وحاجاته الأساسية ، القاهرة ١٩٩٧ م .

– الزكاة وتنمية المجتمع ، رابطة العالم الإسلامى ، مكة المكرمة ، « دعوة الحق » ١٤١٩ هـ .

– التأصيل التربوى للأبناء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩ م.

- **مؤلفات أخرى تصدر له قريباً :**

– السرقات الفكرية المعاصرة .. انتحالات التأليف وتحقيق التراث .. فى ضوء الحماية القانونية لحق المؤلف « تحت الطبع » .

– الإنسان ... حقوقه وواجباته فى الإسلام فى مجال النشر .

– قراءات تحليلية فى كتب أدبية .

– حواراتى مع المشاهير فى مصر .

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة

تابع الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢٠٠١/١١٧٣٣



هذا الكتاب له أهميته للقارىء العربى المثقف ، فيه عرض واضح لحياة عالم لغوى مرموق ولجهوده الرائدة والمتميزة والمؤثرة فى تكوين جيل من الباحثين العرب فى علوم اللغة .

وقد بذل مؤلفه جهداً كبيراً حيث رجع إلى مؤلفات الدكتور إبراهيم أنيس وتتبع أبحاثه ومقالاته التى نشر معظمها فى مطبوعات مجمع اللغة العربية، بالإضافة لعدد من الحوارات الخاصة التى أجراها الباحث مع أفراد أسرته .

وفى الكتاب أيضاً اهتمام خاص بمشكلة الإعراب التى أثارت جدلاً كبيراً حول رأى أنيس فيها ، كما اتسم هذا البحث بجملة أمور إيجابية من أهمها : المسح الشامل لمؤلفات د/ إبراهيم أنيس وتتبع جهوده العلمية وأنشطته المجمعية ، والتوفيق فى عرض سيرة ذاتية مركزة للدكتور أنيس والتدخل بالرأى - تأييداً أو مخالفة من جانب مؤلفه - فى كثير من الأحيان .

ومن ثم فالكتاب دراسة جديدة ومهمة فى التعريف بصاحب هذه الجهود العلمية واللغوية الرائدة فى تاريخ الأدب العربى المعاصر .